سياحة المسيحي

القسم الاول

A.U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

A.U.B. LIBRARY

VRAGOU & UA

سِيَاحَةُ ٱلْمَسِيحِي

CA
828
B942pR
V.1
1921
C.1

THE PILGRIM'S PROGRESS

القسم الاول

طُبع في المطبعة الاميركانية في بيروت ١٩٢١

1435-1436

بِسْمِ ٱلْآبِ وَٱلِٱبْنِ وَٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي لَا تُدْرِكُهُ عُيُونُ ٱلْأَنَامِ فِي يَقْظَةٍ وَلَا فِي مَنَامٍ * أَمَّا بَعْدُ فَهٰذَا كِتَابُ سَهْلُ ٱلْعِبَارَاتِ جَيِّدُ ٱلْإِشَارَاتِ. وَضَعَهُ يُوحَنَّا بُنْيَانُ أَحَدُ ٱلْكَهَنَةِ ٱلْمُخْلِصِينَ فِي ٱلْعَمَلِ وَٱلنِّيَّةِ كَمَا وُضِعَتِ ٱلْمَقَامَاتُ ٱلْحَرِيرِيَّةُ. إِلَّا أَنَّ تِلْكَ لِتَنْزِيهِ ٱلنَّوَاظِرِ وَتَسْلِيَةِ ٱلْخَوَاطِرِ وَهٰذَا لِلتَّنْبِيهِ عَلَى سَلَامَةِ ٱلْحَيَاةِ ٱلرُّوحِيَّةِ وَٱحْتِمَالِ ٱلتَّجَارِبِ وَرَفْضِ ٱلْمَكَايِدِ ٱلشَّيْطَانِيَّةِ وَحِفْظِ ٱلنِّعْمَةِ فِي ٱلْقَلْبِ لِنَيْلِ ٱلْحَيَاةِ ٱلْأَبَدِيَّةِ. وَكَانَ هٰذَا ٱلْمُؤَلِّفُ يَوْمَئِذٍ مَسْجُونًا كَمَا سُجِنَ يُوسُفُ ٱلصِّدِّيقُ. فَذَكَرَ تِلْكَ ٱلْأَحْلَامَ ٱلَّتِي نَجَا بِهَا مِنْ ذٰلِكَ ٱلضِّيقِ. فَكَنَى عَنْ ذٰلِكَ ٱلسِّجْنِ بِمَغَارَةٍ أَوَى إِلَيْهَا فِي دَارِ هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا. وَذَكَرَ مَا جَالَ فِي خَاطِرِهِ مِنْ فَوَائِدِ ٱلْآخِرَةِ عَلَى سَبِيلِ ٱلرُّؤْيَا. فَقَالَ

بَيْنَمَا أَنَا عَابِرٌ فِي تِيهِ هٰذَا ٱلْعَالَمِ وَجَدْتُ كَهْفًا فِي مَكَانٍ

فَاسْتَظْلَلْتُ بِهِ . ثُمَّ أَخَذَتْنِي سِنَةُ ٱلنَّوْمِ فَنِمْتُ وَإِذَا بِرَجُلٍ قَدْ تَرَاءَى لِي فِي ٱلْحُلْمِ لَابِسًا ثِيَابًا رَثَّةً وَوَجْهُهُ مُنْحَرِفٌ عَنْ بَيْتِهِ وَعَلَى ظَهْرِهِ حِمْلٌ ثَقِيلٌ[1] وَفِي يَدِهِ كِتَابٌ قَدْ فَتَحَهُ وَطَفِقَ يَقْرَأُ فِيهِ وَعِنْدَ ذٰلِكَ بَكَى مُرْتَعِدًا وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَضْبُطَ نَفْسَهُ فَصَرَخَ مُوَلْوِلًا وَقَالَ مَاذَا أَعْمَلُ[2]

ثُمَّ مَضَى إِلَى بَيْتِهِ وَضَبَطَ نَفْسَهُ بِكُلِّ جَهْدِهِ لِئَلَّا تَشْعُرَ زَوْجَتُهُ وَأَوْلَادُهُ بِٱضْطِرَابِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ أَنْ يَثْبُتَ عَلَى تَجَلُّدِهِ. فَكَاشَفَهُمْ بِمَا فِي نَفْسِهِ وَقَالَ إِنِّي قَدْ تَلَاشَيْتُ مِنْ جَرَى حِمْلٍ ثَقِيلٍ قَدْ شَقَّ عَلَيَّ وَأَيْقَنْتُ أَنَّ مَدِينَتَنَا هٰذِهِ سَتُحْرَقُ بِنَارٍ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَأَنَّنَا نَهْلِكُ جَمِيعًا إِنْ لَمْ نَجِدْ طَرِيقًا لِلْهَرَبِ وَهٰذَا لَا أَطْمَعُ أَنْ نَظْفَرَ بِهِ . فَتَعَجَّبَ أَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ كَلَامِهِ وَظَنُّوا أَنَّ بِهِ خَيَالًا قَدْ أَزْعَجَهُ . وَلَمَّا كَانَ ٱللَّيْلُ أَخَذُوهُ إِلَى مَضْجَعِهِ يَرْجُونَ أَنْ

---

(١) لو ١٤: ٣٣ (٢) اع ٢: ٣٧ هذا هو حال صراخ الخاطئ المنتبه لخطاياهُ الذي يرى برّ نفسهِ كخرقة نجسة ويرى نفسهُ في حال الشقاء مشرفةً على الهلاك الابدي فيصرف وجههُ عن بيتهِ وعن ذاتهِ وعن كل آمالهِ الكاذبة متوجهًا بكليتهِ نحو الملجإ الامين . ويأخذ كتاب الله بيدهِ دليلاً يهديهِ الى طريق ذلك الملجإ ليهرب اليهِ . وعلى قدر ما يتلوهُ يطَّلع على شقاء نفسهِ غير المائتة وعلى لزوم الهرب الى المسيح طلبًا للحياة الابدية والخلاص . وعند ذلك يبكي ويرتعد

يَصْحُو فَمَا ٱزْدَادَ إِلَّا قَلَقًا وَأَرَقًا وَأَحْيَا ذٰلِكَ ٱللَّيْلَ بِٱلنَّوْحِ وَٱلْبُكَاءِ. وَلَمَّا أَصْبَحُوا أَرَادُوا أَنْ يَعْلَمُوا حَالَهُ فَقَالَ قَدْ عَظُمَ ٱلْخَطْبُ عَلَيَّ وَٱشْتَدَّ ٱلْأَمْرُ. وَعَادَ إِلَى مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِهِ بِٱلْأَمْسِ. فَٱحْتَالُوا عَلَيْهِ بِٱلْعُبُوسِ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ بِٱلْهُزْءِ عَلَيْهِ ثُمَّ بِٱلتَّهْدِيدِ لَهُ فَلَمْ يُغْنِ ذٰلِكَ شَيْئًا. وَجَعَلَ يَنْفَرِدُ فِي مُخْدَعِهِ وَيَطْلُبُ مِنَ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمَةَ لَهُمْ وَيَنُوحُ عَلَى شَقَائِهِ. وَكَانَ أَحْيَانًا يَتَمَشَّى فِي ٱلْبَسَاتِينِ. وَهُوَ يَقْرَأُ تَارَةً وَيُصَلِّي أُخْرَى (١) فَدَامَ عَلَى

---

(١) كما ان الذين كانوا في ايام الانبياء والرسل والسيد المسيح يرونهم كأنَّ بهم خيالات كذلك الناس في كل زمانٍ ومكانٍ متى رأوا رجلاً ينفر عن ملاهي العالم التي يأنسون بها متهيباً في نفسهِ من عواقبها يتهمونهُ بوسواس في ضميرهِ ولاسيما الاقرباء الادنون اليهِ فانهم غالبًا يظنون بهِ فساد المخيلة ويخترعون لهُ علاجاتٍ مختلفة لكي يسكّنوا قلق ضميرهِ فيقدمون لهُ الملاهي والولائم وذوي الفكاهة من الاصحاب ويبعدونهُ عن احبابهِ المخلصين ويمنعونهُ عن الكتب. ولكن الذي يكون قد وقف على سماجة الخطية ورأى عظم شرورها لاتقدر هذه الحيل ان تسكن انزعاجهُ بل تزيدهُ بالحري رغبةً واجتهاداً في تخليص نفسهِ وانفس سواهُ. وذلك يجعل في قومهِ قساوةً ويولّد عناداً وعوض الشفقة يداخلهم السخط الذي يحملهم على الاهانة والطرد لهُ. فيكون حينئذٍ المؤمن قد اضطرَّ ان يخلو بنفسهِ فيأخذ يجتهد في تخفيف حمل ضميرهِ بتلاوة الكتب الالهية مصليًا بحرارةٍ لاجل من يظلمهُ وعلى هذه الحال يزرع بالدموع ذلك الزرع الذي منهُ يحصد اخيرًا الفرح الابدي

ذٰلِكَ أَيَّامًا. وَقَدْ رَأَيْتُهُ مَرَّةً يَتَمَشَّى هُنَاكَ مُكْتَئِبًا وَهُوَ يَقْرَأُ فِي كِتَابِهِ. ثُمَّ أَعْوَلَ بِٱلْبُكَاءِ وَقَالَ مَاذَا أَعْمَلُ لِأَخْلُصَ[1]. وَرَأَيْتُهُ أَيْضًا مُتَلَفِّتًا إِلَى هُنَا وَهُنَاكَ كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَرْكُضَ لٰكِنَّهُ ثَبَتَ مَكَانَهُ لِأَنَّهُ كَمَا ظَنَنْتُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ إِلَى أَيْنَ يَمْضِي. وَرَأَيْتُ عِنْدَ ذٰلِكَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ ٱلْإِنْجِيلِيُّ قَدْ أَتَى إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ مَا بَالُكَ تَبْكِي. فَقَالَ قَدِ ٱسْتَبَانَ لِي يَا سَيِّدِي مِنَ ٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي فِي يَدِي وُقُوعُ ٱلْحُكْمِ عَلَيَّ بِٱلْمَوْتِ ثُمَّ بِٱلذَّهَابِ إِلَى ٱلدَّيْنُونَةِ فَٱلْأَوَّلُ لَا أُرِيدُهُ وَٱلثَّانِي لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ[2]. قَالَ لِمَاذَا لَا تُرِيدُ أَنْ تَمُوتَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هٰذِهِ ٱلْحَيَاةَ مُمْتَزِجَةٌ بِشُرُورٍ كَثِيرَةٍ قَالَ أَخَافُ أَنْ يَحْدُرَنِي حِمْلِي هٰذَا ٱلثَّقِيلُ إِلَى مَكَانٍ أَعْمَقَ مِنَ ٱلْقَبْرِ فَأَهْبِطَ إِلَى تُفْتَةَ[3] وَإِنْ لَمْ أَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِلْحَبْسِ فَلَا أَكُونُ مُسْتَعِدًّا لِلدَّيْنُونَةِ وَٱلْهَلَاكِ. وَٱلتَّفَكُّرُ فِي هٰذَا يَجْعَلُنِي أَبْكِي. قَالَ إِنْ كُنْتَ هٰكَذَا فَلِمَاذَا تَقِفُ. قَالَ لِأَنِّي لَا أَعْرِفُ إِلَى أَيْنَ أَمْضِي. فَأَعْطَاهُ دَرْجًا مَلْفُوفًا

---

(١) اع ١٦: ٣٠ (٢) عب ٩: ٢٧ واي ١٦: ٢١ و٢٢ وحز ٢٢: ١٠

(٣) اش ٣٠: ٣٣ ان حلول روح الله في قلب الانسان يجعله يشعر بجبل الخطايا غير المحتمل الموضوع على ظهره ويرتعد من سخط الله المنصبّ من السماء للخطيئة

مَكْتُوبًا فِيهِ أَهْرُبْ مِنَ ٱلْغَضَبِ ٱلآتِي[١] فَقَرَأَهُ وَٱلْتَفَتَ إِلَى ٱلرَّجُلِ وَقَالَ إِلَى أَيِّ مَكَانٍ أَهْرُبُ. فَأَشَارَ إِلَى مَا وَرَاءَ بُقْعَةٍ وَاسِعَةٍ وَقَالَ أَتَنْظُرُ ذٰلِكَ ٱلْبَابَ ٱلضَّيِّقَ[٢]. قَالَ لَا. قَالَ أَتَنْظُرُ ذٰلِكَ ٱلضَّوْءَ ٱلْمُنِيرَ[٣]. قَالَ نَعَمْ كَمَا أَظُنُّ. قَالَ فَٱذْهَبْ مُسْتَقِيمًا إِلَيْهِ وَهُنَاكَ تَرَى ٱلْبَابَ فَإِذَا قَرَعْتَهُ تَعْلَمُ مَا يَجِبُ أَنْ تَعْمَلَهُ

قَالَ صَاحِبُ ٱلرُّؤْيَا ثُمَّ رَأَيْتُ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلَ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ ٱلْمَسِيحِيُّ قَدْ أَخَذَ فِي ٱلرَّكْضِ وَمَا أَبْعَدَ إِلَّا قَلِيلًا عَنْ دَارِهِ حَتَّى رَأَتْهُ زَوْجَتُهُ وَأَوْلَادُهُ فَصَاحُوا بِهِ يُرِيدُونَ أَنْ يَرُدُّوهُ فَسَدَّ أُذُنَيْهِ وَٱشْتَدَّ فِي عَدْوِهِ وَهُوَ يَقُولُ ٱلْحَيَاةَ ٱلْحَيَاةَ حَيَاةَ ٱلأَبَدِ[٤] وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى وَرَائِهِ[٥] بَلْ هَرَبَ إِلَى وَسَطِ تِلْكَ ٱلْبُقْعَةِ. وَأَنَى أَيْضًا جِيرَانُهُ لِيَنْظُرُوهُ وَهُوَ يَرْكُضُ[٦] وَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْخَرُ بِهِ وَمِنْهُمْ

---

(١) مت ٣:٧ (٢) مت ٧:١٣ و١٤ (٣) مز ١١٩:١٠٥ و٢بط ١: ١٩ ان الخاطئ المنتبه لنفسه قد يبقى زمانًا لا يقدر ان يرى طريق الخلاص بالايمان بالمسيح لان الانارة الالهية مرارًا كثيرة تكون بالتدريج. فان هذا السائح مثلاً لم يقدر ان يرى الباب الذي اشار اليه الانجيلي لكنهُ ظن انهُ يرى الضوء المنير لان المفتشين المستقيمين يصغون الى تعاليم الكتب الالهية وينظرون رحمة الله العميمة التي تقودهم شيئًا فشيئًا الى معرفة المسيح والايمان بهِ

(٤) يو ١٤:٢٦ (٥) تك ١٩:١٧ (٦) ار ٢٠:١٠

مَنْ يَتَهَدَّدُهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُوهُ أَنْ يَرْجِعَ[1] . وَكَانَ مِنْهُمْ رَجُلَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا ٱلْمُعَانِدُ وَلِلْآخَرِ ٱلْمُذْعِنُ فَطَلَبَاهُ يُرِيدَانِ أَنْ يَرُدَّاهُ كَرْهًا . وَكَانَ قَدْ تَبَاعَدَ عَنْهُمَا فَأَدْرَكَاهُ بَعْدَ قَلِيلٍ فَقَالَ لَهُمَا يَا جَارَيَّ لِمَاذَا تَطْلُبَانِنِي . قَالَا نُرِيدُ أَنْ تَعُودَ مَعَنَا . قَالَ هَيْهَاتَ إِنَّ ذٰلِكَ لَا يُمْكِنُ لِأَنَّكُمَا تَسْكُنَانِ مَدِينَةَ ٱلْهَلَاكِ[2] ٱلَّتِي أَرَى أَنَّهَا هَالِكَةٌ لَا مَحَالَةَ وَإِذَا مُتُّمَا فِيهَا تَهْبُطَانِ إِلَى مَكَانٍ أَعْمَقَ مِنَ ٱلْقَبْرِ مُلْتَهِبٍ بِٱلنَّارِ وَٱلْكِبْرِيتِ . فَأَرَى لَكُمَا أَنْ تُطَاوِعَانِي وَتَتْبَعَانِي أَيْضًا[3] قَالَ ٱلْمُعَانِدُ أَنَتْرُكُ أَهْلَنَا وَمَنَازِلَنَا

(١) مت ١٠ : ٣٤ و٣٦ ان الخاطئ حينما يأخذ في الهرب من الهلاك يأخذ اقرباؤُهُ من اهل العالم في صدِّهِ عنهُ . ولكن الافضل ان نسدَّ آذاننا لكي لا نسمع احتجاجات اللحم والدم . وتلك العواطف الجسدية لا تغلب الاقناعات الروحية . والخاطئُ الراغب في الخلاص لا يبالي بمن يدعوهُ ليرجع عن رغبتهِ وبمقدار ما يزدادون لجاجًا في ارجاعهِ يزداد اسراعًا في الفرار منهم

(٢) مدينة الهلاك كنايةٌ عن هذا العالم الشرير باعتبار انهُ محكوم عليهِ بالنار او عن حالة الخطاة المنهمكين في مهمات هذا العالم ولذاتهِ والغافلين عن العواقب الابدية . فهم مشرفون على النار الجهنمية التي لا تطفأُ في يوم القضاء وهلاك المنافقين

(٣) هذه سيرة الخاطئ الشاعر بالخطيئة والهارب من الهلاك . فانهُ يرغب بحرارةٍ ان يقنع غيرهُ من الخطأة المساكين لكي يذهبوا معهُ في طريق النجاة فان اصغر شرارةٍ من نعمة الله في القلب تكشف ذاتها بارادةٍ صالحةٍ للناس

وَنَتْبَعُكَ[١] قَالَ إِنَّ كُلَّ مَا نَتْرُكَانِهِ لَا يُوَازِي جُزْءًا صَغِيرًا مِمَّا أَطْلُبُهُ[٢] وَإِذَا تَبِعْتُمَانِي وَتَمَسَّكْتُمَا بِذٰلِكَ تُشَارِكَانِنِي فِي نَصِيبِي لِأَنَّهُ حَيْثُ أَنَا مُنْطَلِقٌ كِفَايَةٌ وَزِيَادَةٌ[٣] فَهَلُمَّ وَامْتَحِنَا كَلَامِي. قَالَ ٱلْمُعَانِدُ وَمَا هُوَ ٱلَّذِي تَطْلُبُهُ وَقَدْ تَرَكْتَ ٱلْعَالَمَ وَمَا فِيهِ لِتَجِدَهُ. قَالَ إِنِّي أَطْلُبُ مِيرَاثًا لَا يَبْلَى وَلَا يَتَدَنَّسُ وَلَا يَضْمَحِلُّ وَهُوَ مَذْخُورٌ فِي ٱلسَّمَاءِ بِأَمْنٍ[٤] لِيُعْطَى فِي ٱلْوَقْتِ ٱلْمُعَيَّنِ مَنْ يَطْلُبُهُ بِٱجْتِهَادٍ. وَإِنْ كُنْتَ فِي رَيْبٍ مِنْ ذٰلِكَ فَٱفْحَصْ عَنْهُ فِي كِتَابِي هٰذَا تَجِدْهُ. فَقَالَ ٱسْكُتْ وَدَعْنَا مِنْ كِتَابِكَ أَتَرْجِعُ مَعَنَا أَمْ لَا[٥]. قَالَ كَلَّا لِأَنِّي وَضَعْتُ يَدِي عَلَى ٱلْمِحْرَاثِ[٦]. فَقَالَ ٱلْمُعَانِدُ لِصَاحِبِهِ فَلْنَرْجِعْ وَحْدَنَا لِأَنَّهُ يُوجَدُ جَمَاعَةٌ مِنْ هٰؤُلَاءِ ٱلْهَجَانِينَ ٱلَّذِينَ إِذَا تَخَيَّلُوا شَيْئًا يَكُونُونَ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ أَحْكَمَ

---

(١) ما دام حب هذا العالم مستوليًا على القلب لا تقدر النصائح ولا البراهين ان تقنع الانسان ليطلب الميراث الافضل

(٢) ٢كو ٤: ١٨ (٣) لو ٥: ١٧ (٤) ابط ١: ٤ وعب ١١: ١٦

(٥) اذا جادلت الناس الدنيويين حسب طريقتهم فانهم يتعبونك بالاعتراضات والحجج. واما اذا اتيت بهم الى الكتاب الالهي فانهم حالاً يفحمون فانهُ لا الشيطان ولا الذين يطغيهم من الناس يقدرون ان يقاوموا قوة كلمة الله

(٦) لو ٩: ٦٢

مِنْ سَبْعَةِ فَلاَسِفَةٍ . فَقَالَ يَا أَخِي لاَ تَشْتُمْهُ لِأَنَّهُ إِنْ صَدَقَ فِي دَعْوَاهُ فَقَدْ طَلَبَ أَفْضَلَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ وَأَنَا أَمِيلُ إِلَى مُرَافَقَتِهِ . فَقَالَ ٱلْمُعَانِدُ يَا عَجَبًا قَدْ كَثُرَتِ ٱلْحَمْقَى ٱرْجِعْ بِنَا وَتَعَقَّلْ فَمَنْ يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَقْتَادُكَ هٰذَا ٱلْأَحْمَقُ(١) . فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ لِلْمُذْعِنِ رَافِقْنِي يَا مَوْلاَيَ فَتُصِيبَ فَوْقَ مَا أُخْبِرْتَ عَنْهُ وَإِنْ كُنْتَ لاَ تُصَدِّقُنِي فَٱنْظُرْ تَفْصِيلَ ذٰلِكَ فِي كِتَابِي ٱلَّذِي لِحَقِيقَةِ مَا حَوَاهُ قَدْ ثَبَتَ بِدَمِ مَنْ أَنْزَلَهُ(٢) فَقَالَ ٱلْمُذْعِنُ لِلْمُعَانِدِ إِنِّي قَدْ صِرْتُ أَقْنَعُ بِقَوْلِ ٱلْمَسِيحِيِّ وَأُرِيدُ أَنْ أُرَافِقَ هٰذَا ٱلرَّجُلَ ٱلصَّالِحَ وَأَجْعَلَ نَصِيبِي مَعَهُ . وَٱلْتَفَتَ إِلَى ٱلْمَسِيحِيِّ وَقَالَ لَهُ يَا صَاحِ أَتَعْرِفُ ٱلطَّرِيقَ إِلَى هٰذَا ٱلْمَكَانِ ٱلْبَهِجِ قَالَ إِنَّ رَجُلاً يُقَالُ لَهُ ٱلْإِنْجِيلِيُّ أَمَرَنِي بِٱلْمُبَادَرَةِ إِلَى بَابٍ صَغِيرٍ أَمَامَنَا حَيْثُ نَسْتَدِلُّ عَلَى ٱلطَّرِيقِ . فَقَالَ ٱلْمُذْعِنُ ٱذْهَبْ بِنَا . وَٱنْطَلَقَنَا مَعًا . أَمَّا ٱلْمُعَانِدُ فَقَالَ أَرْجِعُ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتُ وَلاَ أُرَافِقُ أَحْمَقَيْنِ مِثْلَكُمَا(٣)

---

(١) من لا يصر احمق في اعين الناس لا يصر حكيمًا في امر الخلاص بالايمان بيسوع المسيح (٢) عب ٩: ١٧–٢٢

(٣) اعتبر هنا اختلاف مفاعيل حقائق الانجيل في الناس حسب الطبيعة.

قَالَ وَرَأَيْتُ فِي تِلْكَ ٱلرُّؤْيَا ذَيْنِكَ ٱلرَّجُلَيْنِ عِنْدَ رُجُوعِ ٱلْمُعَانِدِ قَدْ عَبَرَا إِلَى ٱلْبُقْعَةِ وَٱلْمَسِيحِيُّ يَقُولُ لِلْمُذْعِنِ كَيْفَ حَالُكَ يَا أَخِي إِنَّنِي مُبْتَهِجٌ بِمُصَاحَبَتِكَ لِي وَلَوْ كَانَ ٱلْمُعَانِدُ يَشْعُرُ بِمَا شَعَرْتُ بِهِ فِي نَفْسِي مِنَ ٱلْمَخَاوِفِ غَيْرِ ٱلْمَنْظُورَةِ وَسَطْوَتِهَا ٱلْهَائِلَةِ لَمَا رَجَعَ مُسْتَخِفًّا بِنَا كَمَا رَأَيْتَ . فَقَالَ ٱلْمُذْعِنُ أَخْبِرْنِي ٱلْآنَ عَلَى ٱنْفِرَادٍ مَا هِيَ ٱلطَّيِّبَاتُ ٱلَّتِي حَيْثُ نَمْضِي وَكَيْفَ نَمْتَلِكُهَا . قَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ إِنَّ تَصَوُّرَهَا بِٱلْفِكْرِ أَيْسَرُ عَلَيَّ مِنْ وَصْفِهَا بِٱللِّسَانِ وَلٰكِنْ لِأَجْلِ ٱهْتِمَامِكَ فِي مَعْرِفَتِهَا أَقْرَأُ لَكَ شَرْحَهَا فِي كِتَابِي قَالَ ٱلْمُذْعِنُ أَتَظُنُّ كَلِمَاتِ كِتَابِكَ صَادِقَةً بِٱلْحَقِّ . قَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ نَعَمْ لِأَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِمَّنْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكْذِبَ (١) قَالَ ٱلْمُذْعِنُ أَحْسَنْتَ فَمَا هِيَ هٰذِهِ ٱلْأَشْيَاءُ . قَالَ

فان المعاند يرفضها على الخط المستقيم خلافًا للمذعن فانهُ يسمعها بفرحٍ ويصدق بعضها الى زمان ويرافق المسيحي بعض المسافة

(١) تي ١ : ٢ اذا كانت الكتب الالهية كلام الله يجب ان تكون صادقة لا محالة ولكن كيف يكون الوصول الى معرفة ذلك . فان الفلاسفة يبرهنونهُ ببراهين فلسفية لا يقدر اكثر الناس المتنبهين ان يطّلعوا عليها . لان الانجيل يبشر بهِ على الخصوص الاميُّون الساذجون . غير ان هولاء عندهم البرهان الاثبت والاكفى وهو حكم هذا الكتاب الشريف واستيلاؤهُ على ضمائرهم وموافقتهُ

ٱلْمَسِيحِيُّ مَمْلَكَةٌ بِغَيْرِ ٱنْتِهَاءٍ وَحَيَاةٌ نُعْطَاهَا لِنَسْكُنَ تِلْكَ ٱلْمَمْلَكَةَ إِلَى ٱلْأَبَدِ[١]. ٱلْمُذْعِنُ وَمَاذَا يُوجَدُ غَيْرَ ذٰلِكَ. ٱلْمَسِيحِيُّ أَكَالِيلُ ٱلْمَجْدِ نُعْطَاهَا وَحُلَلٌ نَتَلَأْلَأُ بِهَا كَٱلشَّمْسِ فِي كَبِدِ ٱلسَّمَاءِ[٢]. ٱلْمُذْعِنُ نِعِمَّا ذٰلِكَ[٣] ثُمَّ مَاذَا. ٱلْمَسِيحِيُّ إِنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ بُكَاءٌ وَلَا حُزْنٌ لِأَنَّ رَبَّ ٱلْمَكَانِ يَمْسَحُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ أَعْيُنِنَا[٤]. ٱلْمُذْعِنُ وَمَعَ مَنْ نَكُونُ هُنَاكَ. ٱلْمَسِيحِيُّ إِنَّنَا نَكُونُ مَعَ ٱلسَّرَافِينَ وَٱلْكَرُوبِينَ[٥] ٱلَّذِينَ تَبْهَرُ عَيْنَاكَ مِنْ نَظَرِهِمْ وَنَجْتَمِعُ مَعَ أُلُوفٍ وَأُلُوفِ أُلُوفٍ مِمَّنْ تَقَدَّمُونَا إِلَى ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ وَهُمْ عَشِيرَةٌ

لاحوالهم في مخاوفهم ومطامعهم وحاجاتهم واشواقهم والرسم الذي يجدونهُ فيهِ لكل ما يجري في قلوبهم من النور الذي يتجلّى بهِ على كل ما يُناط بهم فان كل ذلك يشهد لهم بانهُ موحًى بهِ من الله

(١) اش ٦٥:١٧ ويو ١٠:٢٧-٢٩ (٢) ٢ تي ٤:٨ ورؤ ٢٢:٥ ومت ١٣:٤٣ (٣) ان التعبير عن السماء بكونها مملكةً وحياةً ونحوها قد يؤثر تأثيرًا عارضًا في القلب الذي يسرّ بالاكاليل والحلل البهيَّة والالحان المطربة والحالة البريئة من الآلام والاحزان. ولكن من كانت هذه حالهُ فلا معرفة لهُ بغبطة السماء الحقيقية التي تقوم بالنظر الى مجد يسوع المخلّص وبمماثلتهِ في القداسة والمحبة. ولا ريب ان الخاطئ اذا لم يتجدَّد بالنعمة لايكون مغبوطًا في السماء ولوكان فيها لان سماءهُ هي على الارض التي قد تعلّق قلبهُ بلذاتها ونعيمها

(٤) اش ٢٥:٨ ورؤ ٧:١٦ و١٨ و٢١:٤ (٥) اش ٦:٢ و اتس ٤:١٦ و١٧ ورؤ ٥:١١

مُبَارَكَةٌ أَنِيسَةٌ لَا يَلْحَقُنَا مِنْهُمْ أَذًى وَلَا سُوءٌ وَكُلٌّ يَتَرَدَّدُ أَمَامَ اللهِ وَيَقِفُ بِحَضْرَتِهِ مَلْحُوظًا بِعَيْنِ الرَّأْفَةِ وَالْقَبُولِ إِلَى دَهْرِ الدَّاهِرِينَ. وَبِالْاخْتِصَارِ أَقُولُ إِنَّنَا سَوْفَ نُعَايِنُ الشُّيُوخَ بِأَكَالِيلِهِمِ الذَّهَبِيَّةِ وَالْعَذَارَى الْقِدِّيسَاتِ بِقِيَاثِيرِهِنَّ الْعَسْجَدِيَّةِ (١) وَالَّذِينَ قَطَّعَتْهُمُ الْأُمَمُ وَأَحْرَقَتْهُمْ بِالنَّارِ وَأَكَلَتْهُمُ الْوُحُوشُ وَطُرِحُوا فِي الْبِحَارِ لِمَحَبَّتِهِمْ سَيِّدَ ذٰلِكَ الْمَكَانِ (٢) يَتَمَتَّعُونَ مُتَسَرْبِلِينَ كُلُّهُمْ بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ (٣). الْمُذْعِنُ. حَقًّا إِنَّ سَمَاعَ هٰذِهِ الْأَحَادِيثِ يَخْلِبُ الْأَلْبَابَ. فَهَلْ يُمْكِنُنَا امْتِلَاكَ هٰذِهِ الْخَيْرَاتِ وَمَا هُوَ السَّبِيلُ إِلَى اشْتِرَاكِنَا فِيهَا. الْمَسِيحِيُّ. إِنَّ رَبَّ الْمَكَانِ وَمُدَبِّرَهُ قَدْ رَسَمَ ذٰلِكَ فِي هٰذَا الْكِتَابِ. وَخُلَاصَتُهُ أَنَّهُ يُعْطِينَا إِيَّاهُ مَجَّانًا إِذَا كُنَّا نُرِيدُ امْتِلَاكَهُ مِنْ كُلِّ قُلُوبِنَا (٤). الْمُذْعِنُ. قَدْ سُرِرْتُ يَا أَخِي بِاسْتِمَاعِي هٰذِهِ الْمَوَاعِيدَ فَلْنُسْرِعْ مُتَقَدِّمَيْنِ نَحْوَهَا. الْمَسِيحِيُّ لَا يُمْكِنُنِي الْإِسْرَاعُ كَمَا أُرِيدُ لِسَبَبِ هٰذَا الْحِمْلِ الْوَاقِعِ عَلَيَّ (٥)

---

(١) رؤ ١٤: ١–٥ (٢) يو ١٢: ٢٥ (٣) ٢ كو ٥: ٢–٤

(٤) رؤ ٢١: ٦ و ٢٢: ١٧ واش ٥٥: ١–٨

(٥) ان من لا يشعر بشرّ الخطية ولا يخبث قلبهِ قد يكون الى حينٍ اكثر

قَالَ وَرَأَيْتُهُمَا فِي ذٰلِكَ ٱلْحُلْمِ بَعْدَ أَنْ فَرَغَا مِنْ حَدِيثِهِمَا قَدْ قَرُبَا مِنْ بَالُوعَةٍ مُتَوَحِّلَةٍ جِدًّا فِي وَسَطِ تِلْكَ ٱلْبُقْعَةِ يُقَالُ لَهَا بَالُوعَةُ ٱلْيَأْسِ فَمَا لَبِثَا أَنْ سَقَطَا فِيهَا عَلَى غَفْلَةٍ وَجَعَلَا يَتَقَلَّبَانِ فِيهَا مُتَمَرِّغَيْنِ بِتِلْكَ ٱلْحَمْأَةِ (١) . وَغَاصَ ٱلْمَسِيحِيُّ مِنْ جَرَى حِمْلِهِ فَوَقَعَتِ ٱلرِّيبَةُ فِي نَفْسِ ٱلْمُذْعِنِ وَغَضِبَ نَادِمًا وَقَالَ لِصَاحِبِهِ أَهٰذِهِ هِيَ ٱلْغِبْطَةُ ٱلَّتِي حَدَّثْتَنِي بِهَا كُلَّ هٰذَا ٱلزَّمَانِ إِنْ كَانَ هٰذَا أَوَّلَ نَعِيمٍ ٱفْتَتَحْنَا بِهِ ٱلسَّفَرَ فَمَاذَا نَنْتَظِرُ فِي ٱلْخَاتِمَةِ . لَيْتَنِي أَخْرُجُ مِنْ هُنَا حَيًّا وَدَعْ هٰذَا ٱلْمُلْكَ ٱلْكَبِيرَ لَكَ وَحْدَكَ . ثُمَّ جَذَبَ نَفْسَهُ جَذْبَةً مُنْكَرَةً حَتَّى تَخَلَّصَ مِنْ تِلْكَ ٱلْوَرْطَةِ وَوَافَقَ خُرُوجُهُ جِهَةَ بَيْتِهِ فَٱنْطَلَقَ هَائِمًا عَلَى وَجْهِهِ وَلَمْ يَرَهُ ٱلْمَسِيحِيُّ بَعْدَ ذٰلِكَ (٢)

غيرةً من المسيحي بالحق الذي يمشي متمهلاً ولكن بطمأنينةٍ وذلك لاجل ما يناله من الحزن والاضطراب لاجل خطيئتهِ وتوبيخ ضميرهِ لهُ

(١) بالوعة اليأس كناية عن المخاوف التي تقطع رجاءنا من الخلاص والشكوك التي توقعنا في حال القنوط . ولا ريب ان ذلك يصيبنا من عدم تصديقنا لما قالهُ في كتابهِ ومن وساوس الشرّير وتملّقات طبيعتنا المجبولة على الفساد ونفورها عما اوحى بهِ الله من الحقائق وتكذيبها لمواعيدهِ الصادقة . ولا يخفى ان ذلك مما يثلم صدق يقيننا وخلوص ايماننا

(٢) يتّضح من ذلك ان الاذعان لا يكفي بدون الثبات لان اول مشقّةٍ اصابت المذعن جعلتهُ ينكص على اعقابهِ خائبًا لانها خمدت حرارة عزمهِ واماتت

وَأَقَامَ ٱلْمِسْكِينُ يَخْبِطُ فِي تِلْكَ ٱلْهَاوِيَةِ وَحْدَهُ وَكَانَ مَعَ كُلِّ ذٰلِكَ يَجْتَهِدُ مُلْتَمِسًا أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلَى جِهَةِ ٱلْبَابِ ٱلضَّيِّقِ ٱلْمُشَارِ إِلَيْهِ دُونَ جِهَةِ بَيْتِهِ (١) وَمَا زَالَ كَذٰلِكَ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ٱلْخُرُوجِ لِسَبَبِ حِمْلِهِ

قَالَ وَبَيْنَمَا هُوَ فِي ذٰلِكَ ٱلْجِهَادِ إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ ٱلْمُنْجِدُ وَقَالَ لَهُ مَا شَأْنُكَ هٰهُنَا (٢). قَالَ إِنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ ٱلْإِنْجِيلِيُّ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَسْلُكَ هٰذِهِ ٱلطَّرِيقَ وَدَلَّنِي عَلَى ذٰلِكَ ٱلْبَابِ لِأَنْجُوَ مِنَ ٱلْغَضَبِ ٱلْآتِي وَبَيْنَمَا أَنَا مَاضٍ إِلَى هُنَاكَ سَقَطْتُ هٰهُنَا . قَالَ وَلِمَاذَا لَمْ تُلَاحِظْ طَرِيقَكَ . قَالَ قَدْ غَلَبَ عَلَيَّ خَوْفٌ شَدِيدٌ فَهَرَبْتُ فِي ٱلطَّرِيقِ ٱلْأَقْرَبِ وَسَقَطْتُ هُنَا . فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ ٱلْمُنْجِدُ وَقَالَ لَهُ أَمْدُدْ يَدَكَ فَمَدَّهَا وَأَخْرَجَهُ وَأَقَامَهُ عَلَى أَرْضٍ يَابِسَةٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يَمْضِيَ فِي طَرِيقِهِ (٣)

ايمانهُ فرجع الى مدينة الهلاك

(١) ان المسيحي ولو وقع في بليَّةٍ لا يزال يطلب الفرار من بيتهِ والابتعاد عنهُ. وهذا هو الفرق بين من يشعر بخطاياهُ ومن لا يشعر بها . فان الذي يشعر بخطاياهُ ينظر دائمًا الى المسيح طالبًا منهُ المعونة والامداد. واما الذي لا يشعر بها فانهُ يرجع الى مدينة الهلاك طمعًا في التعزية (٢) المراد بالمنجد هنا نعمة المسيح التي تنشل الخطاة من غرق الهلاك بيد قوية (٣) مز ٤٠ : ٢

قَالَ فَتَقَدَّمْتُ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْمُنْجِدِ وَقُلْتُ لَهُ يَا مَوْلَايَ إِذَا كَانَتْ هٰذِهِ ٱلْعَثْرَةُ فِي طَرِيقِ مَدِينَةِ ٱلْهَلَاكِ إِلَى ٱلْبَابِ ٱلضَّيِّقِ فَلِمَاذَا لَمْ يُنْظَرْ فِي تَمْهِيدِهَا لِيَأْمَنَ ٱلْمُسَافِرُونَ فِي عُبُورِهِمْ عَلَيْهَا. فَقَالَ إِنَّهَا قَدْ خُلِقَتْ عَلَى وَجْهٍ لَا يَقْبَلُ ٱلْإِصْلَاحَ لِأَنَّهَا سَرَبٌ تَنْصَبُّ إِلَيْهِ دَائِمًا ٱلْأَدْنَاسُ وَٱلْأَقْذَارُ ٱلصَّادِرَةُ عَنْ آلَامِ ٱلْخَطِيئَةِ وَلِذٰلِكَ يُقَالُ لَهَا بَالُوعَةُ ٱلْيَأْسِ لِأَنَّ ٱلْخَاطِئَ عِنْدَمَا يَسْتَفِيقُ لِحَالِ هَلَاكِهِ تَتَوَلَّدُ فِي نَفْسِهِ مَخَاوِفُ وَشُكُوكٌ كَثِيرَةٌ وَأَوْهَامٌ هَائِلَةٌ تَجْتَمِعُ وَتَرْسُبُ فِي هٰذَا ٱلْمَكَانِ وَهٰذَا هُوَ سَبَبُ سَمَاجَتِهِ فَلَا يُسَرُّ ٱلْمَلِكُ بِبَقَاءِ هٰذَا ٱلْمَكَانِ هٰكَذَا (١) بَلْ إِنَّ أَهْلَ ٱلصِّنَاعَةِ بِأَمْرِ مُهَنْدِسِيهِ قَدِ ٱشْتَغَلُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَسِتِّ مِئَةِ سَنَةٍ فِي هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ لَعَلَّهَا تَجِفُّ وَيَسْتَقِيمُ أَمْرُهَا (٢) وَعَلَى مَا أَعْلَمُ أَنَّهَا قَدِ ٱبْتَلَعَتْ أَقَلَّ مَا يَكُونُ عِشْرِينَ أَلْفَ حِمْلٍ مِنَ ٱلتَّعَالِيمِ ٱلشَّافِيَةِ ٱلْمَجْلُوبَةِ كُلَّ وَقْتٍ مِنْ كُلِّ مَمْلَكَةِ ٱلْمَلِكِ وَذَوُو ٱلْخِبْرَةِ يَقُولُونَ إِنَّ مِثْلَ هٰذِهِ ٱلْأَحْمَالِ أَفْضَلُ مَا يَكُونُ لِإِصْلَاحِ هٰذَا ٱلْمَكَانِ وَمَعَ ذٰلِكَ لَمْ يَزَلْ كَذٰلِكَ وَلَنْ يَزَالَ

(١) اش ٣٥: ٣ و ٤ و ٨ (٢) ذلك من الميلاد الى وقت كتابة هذه الرؤيا التي كانت سنة الف وست مئة وستين للمسيح

وَلَوْ بَذَلُوا كُلَّ جِدٍّ وَجُهْدٍ إِلَى مَا شَاءَ ٱللهُ مِنَ ٱلزَّمَانِ (١) وَقَدْ يُوجَدُ بِأَمْرِ ٱلشَّرْعِ بَعْضُ ٱلصُّخُورِ قَدْ نُصِبَتْ فِي وَسَطِ هٰذِهِ ٱلْبَالُوعَةِ (٢) إِلَّا أَنَّهَا إِذَا تَنَاوَشَتِ ٱلرِّيَاحُ تِلْكَ ٱلْأَوْضَارَ غَمَرَتْهَا فَلَا تَكَادُ تَبِينُ (٣) وَإِذَا بَانَتْ لَا يَتَمَالَكُ ٱلْجَائِرُ أَنْ يُصِيبَهَا لِمَا يَأْخُذُهُ مِنَ ٱلدُّوَارِ فَيَتَلَطَّخُ بِتِلْكَ ٱلْأَوْحَالِ . وَلٰكِنَّهُ مَتَى دَخَلَ ٱلْبَابَ كَانَتِ ٱلْأَرْضُ جَيِّدَةً (٤)

قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُ ٱلْمُذْعِنَ قَدْ وَصَلَ إِلَى بَيْتِهِ وَأَتَى جِيرَانُهُ يَفْتَقِدُونَهُ . وَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ يَصِفُهُ بِٱلْحِكْمَةِ لِأَنَّهُ نَظَرَ فِي أَمْرِهِ وَرَجَعَ عَنْ تِلْكَ ٱلْهَلَكَةِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَصِفُهُ بِٱلْحُمْقِ لِأَنَّهُ خَاطَرَ

---

(١) يبين من ذلك ان طبيعة الانسان الساقط لا يرجى منها الاَّ السقوط ولا ينتظر الاَّ قطع الرجاء من النهوض ولهذا مهما عملنا من الوسائط لا نقدر من تلقاء انفسنا ان نخرج من مَوْحِل اليأس

(٢) هذه الرموز تشير الى مواعيد الله للخطاة بخلصهم يسوع المسيح

(٣) هبوب هذه الرياح كناية عن احاطة البلايا والآلام من قبل الخطايا بضمائر المرتدين حديثًا وهي التي لاجلها يسقطون في بالوعة اليأس ويغوصون فيها لعدم ثقتهم بمواعيد الله

(٤) ذلك يدل على السيد المسيح فانهُ لاسبيل لنا الى وجود ارض جيدة ولا موقف سليم ولا طريق سهل الاَّ بدخولنا الى مملكتهِ بالايمان والقاء انفسنا عليهِ لانهُ الصخرة الوطيدة

بِنَفْسِهِ فِي مُصَاحَبَةِ ٱلْمَسِيحِيِّ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَهْزَأُ بِهِ لِأَنَّهُ نَكَصَ جُبْنًا بَعْدَ جَسَارَتِهِ لِأَجْلِ مَشَقَّةٍ يَسِيرَةٍ . وَكَانَ بَيْنَهُمْ خَجِلًا مُنْكَسِرًا إِلَّا أَنَّهُ تَجَلَّدَ فِي ٱلْمُحَاوَرَةِ فَكَفُّوا عَنْهُ وَأَخَذُوا يَثْلِبُونَ ٱلْمَسِيحِيَّ وَيَلُومُونَهُ

قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُ ٱلْمَسِيحِيَّ وَهُوَ يَمْشِي مُنْفَرِدًا قَدِ ٱلْتَقَى فِي مَفْرِقِ ٱلطَّرِيقِ بِرَجُلٍ قَدْ عَبَرَ ٱلْبُقْعَةَ مُقْبِلًا إِلَيْهِ . وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلُ يُقَالُ لَهُ ٱلْحَكِيمُ ٱلدُّنْيَوِيُّ كَانَ يَسْكُنُ فِي بَلْدَةٍ عَظِيمَةٍ يُقَالُ لَهَا ٱلْفِطْنَةُ ٱلْجَسَدِيَّةُ مُجَاوِرَةٍ لِلْمَكَانِ ٱلَّذِي أَتَى مِنْهُ ٱلْمَسِيحِيُّ . وَكَانَ خُرُوجُ ٱلْمَسِيحِيِّ قَدْ شَاعَ خَبَرُهُ فِي تِلْكَ ٱلْأَطْرَافِ وَتَحَدَّثَتْ بِهِ ٱلنَّاسُ وَبَلَغَ هٰذَا ٱلْحَكِيمَ . فَلَمَّا ٱلْتَقَى بِٱلْمَسِيحِيِّ وَرَأَى ٱنْزِعَاجَهُ وَسَمِعَ تَنَهُّدَهُ قَالَ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ يَا أَخِي فِي هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ ٱلْمُنْكَرَةِ[1] فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ نَعَمْ إِنَّ هٰذِهِ ٱلْحَالَةَ مُنْكَرَةٌ لَا أَظُنُّ أَحَدًا ٱحْتَمَلَ أَشَدَّ مِنْهَا لٰكِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى

---

(١) ان مشورة الحكيم الدنيوي على المسيحي رسم حقيقي للواعظين المبررين انفسهم بانفسهم الذين يزعمون ان الشعور بالخطايا يدل على ضعف العقل وان طرق الله شاقة بعيدة المسافة عادمة البهجة ويتوهمون ان ممارسة الآداب تكفي للتقرب الى نعمة الله

ذٰلِكَ ٱلْبَابِ ٱلضَّيِّقِ وَهُنَاكَ أَهْتَدِي إِلَى طَرِيقَةٍ بِهَا أُعْتَقُ مِنْ ثِقَلِ حِمْلِي. قَالَ ٱلْحَكِيمُ هَلْ لَكَ زَوْجَةٌ وَأَوْلَادٌ. قَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ نَعَمْ لٰكِنَّنِي مُرْتَبِكٌ بِهٰذَا ٱلْحِمْلِ فَلَا يَأْنَسُ قَلْبِي بِهِمْ وَلَا تَطِيبُ نَفْسِي فَأَنَا كَمَنْ لَا زَوْجَةَ لَهُ وَلَا أَوْلَادَ(١). قَالَ ٱلْحَكِيمُ أَتَقْبَلُ مَشُورَتِي إِذَا أَشَرْتُ عَلَيْكَ. قَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ نَعَمْ إِنْ كَانَتْ صَالِحَةً لِأَنَّنِي مُحْتَاجٌ إِلَى مِثْلِهَا. ٱلْحَكِيمُ. إِنِّي أَنْصَحُكَ أَنْ تُلْقِيَ عَنْكَ هٰذَا ٱلْحِمْلَ إِذْ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَصْحُوَ وَلَا أَنْ تَتَنَعَّمَ بِٱلْخَيْرَاتِ ٱلَّتِي أَسْبَغَهَا ٱللّٰهُ عَلَيْكَ إِلَّا بَعْدَ ذٰلِكَ. ٱلْمَسِيحِيُّ. لَيْسَ لِي مَطْلُوبٌ سِوَى إِلْقَاءِ هٰذَا ٱلْحِمْلِ عَنِّي لٰكِنَّنِي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُلْقِيَهُ بِنَفْسِي وَلَيْسَ فِي بَلَدِنَا أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يُلْقِيَهُ عَنِّي وَلِذٰلِكَ أَنَا مُنْطَلِقٌ فِي هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ لِأُعْتَقَ مِنْهُ. ٱلْحَكِيمُ. مَنْ أَمَرَكَ أَنْ تَمْضِيَ فِي هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ لِتُعْتَقَ مِنْهُ. ٱلْمَسِيحِيُّ. رَجُلٌ جَلِيلٌ يُقَالُ لَهُ ٱلْإِنْجِيلِيُّ. ٱلْحَكِيمُ. تَبًّا لَهُ إِنَّهُ لَيْسَ فِي ٱلدُّنْيَا أَعْسَرُ وَلَا أَخْطَرُ مِنْ هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ ٱلَّتِي دَلَّكَ عَلَيْهَا وَسَوْفَ تَتَحَقَّقُ ذٰلِكَ إِنْ تَقَدَّمْتَ وَأَنَا أَرَى أَنَّكَ قَدْ صَادَفْتَ بَعْضَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ فَإِنِّي أَنْظُرُ عَلَيْكَ وَحَلَ بَالُوعَةِ ٱلْيَأْسِ. وَلٰكِنِ ٱعْلَمْ أَنَّ هٰذِهِ ٱلْبَالُوعَةَ هِيَ

(١) اكو ٧: ٢

أَوَّلُ ٱلشَّدَائِدِ وَأَيْسَرُهَا فَٱقْبَلْ نَصِيحَتِي لِأَنَّنِي أَكْبَرُ مِنْكَ سِنًّا وَأَنَا أُنْذِرُكَ بِأَنَّكَ سَتُصَادِفُ فِي هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ تَعَبًا وَأَلَمًا وَجُوعًا وَعُرْيًا وَسَيْفًا وَنَابًا وَمِخْلَبًا وَظَلَامًا. وَبِٱلْإِجْمَالِ إِنَّكَ تُكَابِدُ ٱلْمَوْتَ ٱلْأَحْمَرَ وَكُلَّ طَارِقَةٍ مِنَ ٱلْبَلَايَا وَٱلْأَهْوَالِ. وَكُلُّ هٰذَا قَدْ ثَبَتَ وَتَقَرَّرَ عَنْ أَلْسِنَةِ ٱلثِّقَاتِ فَلِمَاذَا تُلْقِي نَفْسَكَ فِي هٰذِهِ ٱلْمَهَالِكِ بِٱسْتِمَاعِكَ مِنْ رَجُلٍ غَرِيبٍ. ٱلْمَسِيحِيُّ. يَا سَيِّدِي إِنَّ ٱلْحِمْلَ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ هٰذِهِ ٱلشَّدَائِدِ فَلَا أُبَالِي بِهَا إِنْ أَصَبْتُ بَعْدَهَا مَنْ يُعْتِقُنِي مِنْهُ. ٱلْحَكِيمُ. أَخْبِرْنِي مِنْ أَيْنَ أَتَاكَ هٰذَا ٱلْحِمْلُ. ٱلْمَسِيحِيُّ. مِنْ قِرَاءَةِ هٰذَا ٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي فِي يَدِي. ٱلْحَكِيمُ. هٰكَذَا ظَنَنْتُ وَقَدْ أَصَابَكَ مُصَابُ أُنَاسٍ ضُعَفَاءِ ٱلْعُقُولِ يَتَعَرَّضُونَ لِأُمُورٍ فَوْقَ أَطْوَارِهِمْ فَيَسْقُطُونَ فِي مَا لَا يَحْتَمِلُونَهُ طَمَعًا فِي ٱمْتِلَاكِ مَا لَا يَعْلَمُونَ (١). ٱلْمَسِيحِيُّ. إِنِّي أَعْلَمُ مَا أُرِيدُ أَنْ أَمْتَلِكَهُ وَهُوَ ٱلرَّاحَةُ مِنْ هٰذَا ٱلْحِمْلِ. ٱلْحَكِيمُ. وَكَيْفَ تَطْلُبُ هٰذِهِ ٱلطَّرِيقَ لِلرَّاحَةِ وَأَنْتَ تَرَى أَخْطَارَهَا وَمَخَاوِفَهَا. وَلَوْ أَطَعْتَنِي لَهَدَيْتُكَ إِلَى سَبِيلِ ٱلظَّفَرِ بِمَا تُرِيدُ هَنِيًّا مَرِيًّا سَالِمًا مِنْ هٰذِهِ

(١) الحكيم الدنيوي لا يرتضي رغبة الناس في تلاوة الكتاب المقدس

ٱلْمَخَاطِرِ وَٱلْأَهْوَالِ وَهُوَ حَاضِرٌ مَيْسُورٌ لَدَيْكَ. ٱلْمَسِيحِيُّ. أَنْشِدُكَ يَا مَوْلَايَ أَنْ تَكْشِفَ لِي هٰذِهِ السَّرِيرَةَ. ٱلْحَكِيمُ. هُوَذَا فِي تِلْكَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي يُقَالُ لَهَا ٱلْآدَابُ (١) رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ ٱلنَّامُوسِيُّ وَهُوَ شَهْمٌ ثَاقِبُ ٱلْعَقْلِ حَسَنُ ٱلسِّيرَةِ خَبِيرٌ بِرَفْعِ ٱلْأَحْمَالِ عَنْ أَكْتَافِ مَنْ كَانَ مِثْلَكَ. وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ قَدِ ٱصْطَنَعَ أُجُورًا كَثِيرَةً فِي هٰذَا ٱلْعَمَلِ وَهُوَ فَضْلًا عَنْ ذٰلِكَ بَصِيرٌ فِي عِلَاجِ مَنْ تَزَعْزَعَتْ عُقُولُهُمْ بِسَبَبِ أَحْمَالِهِمْ. فَبَادِرْ إِلَيْهِ كَمَا أَشَرْتُ عَلَيْكَ وَلَكَ مِنْهُ كُلُّ مَا تُحِبُّ. وَهُوَ لَا يَبْعُدُ عَنْكَ أَكْثَرَ مِنْ مَسَافَةِ مِيلٍ فَإِنْ ظَفِرْتَ بِهِ أَصَبْتَ ٱلْمُرَادَ وَإِلَّا فَإِنَّ لَهُ وَلَدًا يُقَالُ لَهُ ٱللُّطْفُ سَتَجِدُهُ هُنَاكَ وَهُوَ عَلَى جَانِبٍ عَظِيمٍ مِنَ ٱلْوَدَاعَةِ وَٱللَّطَافَةِ وَلَهُ يَدٌ فِي مُسَاعَدَتِكَ كَأَبِيهِ وَهُنَاكَ تَسْتَرِيحُ مِنْ حِمْلِكَ وَتَطْمَئِنُّ. وَإِنْ كُنْتَ بَعْدَ ذٰلِكَ لَا تُرِيدُ ٱلرُّجُوعَ إِلَى وَطَنِكَ

(١) قرية الآداب كناية عن الجماعة الكبيرة التي تجتنب الرذائل المذمومة وتمارس الفضائل الممدوحة ولكن بدون تقوى الله ومحبتهِ . ومن المعلوم ان هذا السلوك معيبٌ في مبدإهِ وقيامهِ ومقصودهِ لانهُ ينتج من محبة الذات وينحصر في العوائد الخارجية والمقصود منهُ اكتساب الاسم الحسن والمنافع الزمنية مع التفات يسير الى جهة العواقب الاخيرة. ولذلك يختلف اختلافًا عظيمًا عن الطاعة الخالصة المقترنة بالتواضع والتجرُّد عن العالميات ولا يؤهل احدًا للتعليم السماوي

ٱلْقَدِيمِ كَمَا لَا أُرِيدُ لَكَ فَأَحْضِرْ زَوْجَتَكَ وَأَوْلَادَكَ إِلَيْكَ وَأَقِمْ هُنَاكَ. فَإِنَّهُ مَكَانٌ طَيِّبٌ فِيهِ دِيَارٌ فَسِيحَةٌ وَجِيرَةٌ كِرَامٌ لَا يُغَالُونَ فِي ثَمَنٍ وَلَا أُجْرَةٍ وَلَا يُنْكَرُ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنْ عَادَاتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ (١)

قَالَ فَٱشْتَغَلَ قَلْبُ ٱلْمَسِيحِيِّ عِنْدَ سَمَاعِهِ ذٰلِكَ ٱلْحَدِيثَ وَقَالَ إِنْ كَانَ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ فَٱلْأَجْدَرُ بِي قَبُولُ ٱلنَّصِيحَةِ. وَقَالَ لِلْحَكِيمِ أَيْنَ ٱلطَّرِيقُ يَا مَوْلَايَ إِلَى مَنْزِلِ هٰذَا ٱلرَّجُلِ ٱلْجَلِيلِ. فَقَالَ ٱلْحَكِيمُ ٱقْصُدْ تِلْكَ ٱلْأَكَمَةَ ٱلَّتِي تَرَاهَا وَأَوَّلُ مَنْزِلٍ تَصِلُ إِلَيْهِ هُوَ هُوَ. فَمَا كَذَّبَ ٱلْمَسِيحِيُّ أَنْ عَرَّجَ عَنْ طَرِيقِهِ ٱلْأُولَى وَأَخَذَ فِي طَرِيقِ ٱلنَّامُوسِيِّ (٢) حَتَّى دَنَا مِنْ تِلْكَ ٱلْأَكَمَةِ وَإِذَا هِيَ شَامِخَةٌ جِدًّا وَرَأَى لَهَا مُنْحَنًى يَتَّصِلُ بِٱلطَّرِيقِ مُعَلَّقًا فَوْقَهَا

(١) الحكيم الدنيوي يؤثر الآداب على الباب الضيق المرموز به الى المسيح. ولاشك ان ذلك من حق الجسد الذي يضادُّ الحق الروحي وان وهمنا اننا نتبرر بطاعة شريعة الله نقيم على مضادَّة طريقة التبرُّر بطاعة المسيح. والتبرُّر الذاتي يضادُّ ايمان المسيح كمضادَّة التمتع بشهوات الجسد لهُ على حدٍّ سوى

(٢) صار ذلك الرجوع عندهُ محزنًا لانهُ ارتدَّ عن عمل المسيح لاجل نجاتهِ الى اعمالهِ وطاعتهِ. فخاف من سقوط تلك الاكمة المكنيّ بها عن طور سينا اي سقوط جميع لعنات الشريعة الهائلة على رأسهِ

فَخَشِيَ أَنْ يَمُرَّ بِهِ فَيَهْبِطَ عَلَيْهِ فَوَقَفَ مُرْتَبِكًا لَا يَدْرِي مَاذَا يَصْنَعُ وَتَرَاءَى لَهُ أَنَّ حِمْلَهُ قَدْ صَارَ أَثْقَلَ مِمَّا كَانَ وَخَرَجَ أَيْضًا مِنْ تِلْكَ ٱلْأَكَمَةِ جَمَرَاتُ نَارٍ (١) خَافَ أَنْ يَحْتَرِقَ بِهَا وَمِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ كَانَ يَعْرَقُ وَيَرْتَعِشُ فَنَدِمَ عَلَى ٱنْقِيَادِهِ لِمَشُورَةِ ٱلْحَكِيمِ وَٱمْتَلَأَتْ نَفْسُهُ مِنَ ٱلْكَآبَةِ (٢). وَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذَا بِٱلْإِنْجِيلِيِّ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَسَقَطَ فِي يَدِهِ وَخَجِلَ. وَدَنَا ٱلْإِنْجِيلِيُّ مِنْهُ وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ ٱلْعُبُوسِ وَٱلْغَضَبِ. وَقَالَ لَهُ مَا تَصْنَعُ هُنَا أَيُّهَا ٱلْمَسِيحِيُّ. فَلَمْ يَعْرِفْ بِمَاذَا يُجِيبُهُ وَوَقَفَ صَامِتًا أَمَامَهُ فَقَالَ لَهُ ٱلْإِنْجِيلِيُّ أَمَا أَنْتَ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي وَجَدْتُهُ صَارِخًا عِنْدَ مَدِينَةِ ٱلْهَلَاكِ. قَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ بَلَى أَنَا هُوَ يَا سَيِّدِي قَالَ ٱلْإِنْجِيلِيُّ أَمَا هَدَيْتُكَ إِلَى طَرِيقِ ٱلْبَابِ ٱلضَّيِّقِ. قَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ بَلَى يَا مَوْلَايَ. قَالَ ٱلْإِنْجِيلِيُّ فَكَيْفَ رَجَعْتَ عَنْهَا عَاجِلًا. قَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ إِنَّنِي لَمَّا خَرَجْتُ مِنْ بَالُوعَةِ ٱلْيَأْسِ صَادَفْتُ رَجُلًا أَقْنَعَنِي أَنِّي

---

(١) خر ١٩: ١٦ الى ١٨ وعب ١٢: ٢١

(٢) لابدَّ للمسيحي ان يجتاز بجبل سيناء وهو منطلق الى قرية الآداب لان التائب الامين يرى كل محاولةٍ في اقامة برّ نفسهِ باطلة بالكلية وبمقدار ما يجتهد في مقابلة سلوكهِ واخلاقهِ مع شريعة الله بمقدار ذلك يخاف ويرتعد خشيةً من ان تسقط عليهِ حالاً جميع لعناتها بنقمة شديدة

أَجِدُ فِي ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي أَمَامِي مَنْ يُعْتِقُنِي مِنْ حِمْلِي . ٱلْإِنْجِيلِيُّ . كَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلُ . ٱلْمَسِيحِيُّ . كَانَ كَأَنَّهُ رَجُلٌ جَلِيلٌ أَطَالَ ٱلْكَلَامَ مَعِي وَأَخِيرًا جَعَلَنِي أَنْقَادُ لَهُ فَأَتَيْتُ إِلَى هُنَا وَرَأَيْتُ هٰذَا ٱلْمُنْحَنَى مُعَلَّقًا مِنْ جَانِبِ ٱلطَّرِيقِ فَخَشِيتُ أَنْ أَتَقَدَّمَ فَيَهْبِطَ عَلَيَّ . ٱلْإِنْجِيلِيُّ . مَاذَا قَالَ لَكَ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلُ . ٱلْمَسِيحِيُّ إِنَّهُ سَأَلَنِي عَنْ طَرِيقِي وَأَهْلِي فَأَخْبَرْتُهُ فَأَنْذَرَنِي وَحَذَّرَنِي مِنْ مَخَاوِفِ تِلْكَ ٱلطَّرِيقِ وَضَمِنَ لِي قَضَاءَ حَاجَتِي عَنْ يَدِ رَجُلٍ وَصَفَهُ لِي فِي هٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ وَسَهَّلَ لِي طَرِيقَهَا فَٱغْتَرَرْتُ بِكَلَامِهِ وَقَصَدْتُهَا حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى هُنَا كَمَا تَرَى فَوَقَفْتُ وَلَا أَعْلَمُ مَاذَا أَعْمَلُ . فَقَالَ لَهُ ٱلْإِنْجِيلِيُّ قِفْ قَلِيلًا لِأُرِيَكَ كَلَامَ ٱللهِ . فَوَقَفَ مُرْتَعِدًا . ثُمَّ قَالَ لَهُ ٱلْإِنْجِيلِيُّ لَا تَسْتَعْفِ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّمِ فَإِنْ كَانَ أُولٰئِكَ لَمْ يَنْجُوا إِذِ ٱسْتَعْفَوْا مِنَ ٱلْمُتَكَلِّمِ عَلَى ٱلْأَرْضِ فَبِٱلْأَوْلَى جِدًّا لَا نَنْجُو نَحْنُ ٱلْمُرْتَدِّينَ عَنِ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاءِ (١) ثُمَّ قَالَ أَيْضًا أَمَّا ٱلْبَارُّ فَبِٱلْإِيمَانِ يَحْيَا وَإِنِ ٱرْتَدَّ لَا تُسَرُّ بِهِ نَفْسِي (٢) ثُمَّ قَالَ أَمَّا أَنْتَ فَمُنْطَلِقٌ إِلَى ٱلشَّقَاءِ وَقَدِ ٱسْتَعْفَيْتَ مِنْ مَشُورَةِ ٱلْعَلِيِّ وَصَدَدْتَ خُطُوَاتِكَ عَنْ سَبِيلِ ٱلسَّلَامِ وَتَبِعْتَ طَرِيقَ ٱلْهَلَاكِ . فَخَرَّ

(١) عب ١٢ : ٢٥ (٢) عب ١٠ : ٣٨

ٱلْمَسِيحِيُّ لِلْوَقْتِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ كَٱلْمَيْتِ وَقَالَ ٱلْوَيْلُ لِي فَإِنِّي هَالِكٌ. وَلَمَّا رَأَى ٱلْإِنْجِيلِيُّ ذٰلِكَ مِنْهُ أَمْسَكَهُ بِيَمِينِهِ وَقَالَ إِنَّ كُلَّ خَطِيئَةٍ وَتَجْدِيفٍ يُغْفَرُ لِلنَّاسِ فَلَا تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا (١) فَٱنْتَعَشَ ٱلْمَسِيحِيُّ عِنْدَ ذٰلِكَ وَنَهَضَ يَرْتَعِدُ قُدَّامَ ٱلْإِنْجِيلِيِّ كَعَادَتِهِ ٱلْأُولَى

فَقَالَ لَهُ ٱلْإِنْجِيلِيُّ أَرْعِنِي سَمْعَكَ فَأُرِيَكَ مَنْ غَرَّكَ وَإِلَى مَنْ أَرْسَلَكَ أَمَّا ٱلَّذِي غَرَّكَ فَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلدُّنْيَوِيُّ وَهُوَ إِنَّمَا يُعْرَفُ بِذٰلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَعْتَدُّ إِلَّا بِتَعْلِيمِ هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا (٢) وَلِذٰلِكَ يَسْكُنُ فِي قَرْيَةِ ٱلْآدَابِ وَلِأَنَّهُ يُحِبُّ ذٰلِكَ ٱلتَّعْلِيمَ لِكَوْنِهِ يُخَلِّصُهُ مِنَ ٱلصَّلِيبِ (٣) وَلِأَنَّهُ ذُو أَخْلَاقٍ جَسَدِيَّةٍ وَلِذٰلِكَ يَحْتَالُ أَنْ يُعَوِّجَ سُبُلِي ٱلْمُسْتَقِيمَةَ. وَٱعْلَمْ أَنَّ مَشُورَةَ هٰذَا ٱلرَّجُلِ تَتَضَمَّنُ ثَلَاثَ خِصَالٍ شِرِّيرَةٍ يَنْبَغِي أَنْ تَرْفِضَهَا عَلَى ٱلْإِطْلَاقِ وَهِيَ رَدُّهُ لَكَ عَنْ طَرِيقِ ٱلْخَلَاصِ وَٱجْتِهَادُهُ فِي جَعْلِكَ كَارِهًا لِلصَّلِيبِ وَٱقْتِيَادُهُ إِيَّاكَ إِلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلْمُؤَدِّيَةِ إِلَى سُلْطَةِ ٱلْمَوْتِ (٤) فَيَجِبُ

---

(١) مت ١٢: ٣١ و يو ٢٠: ٢٧ (٢) ايو ٤: ٥ (٣) غل ٦: ١٢

(٤) لا يحصل احد على التعزية الانجيلية الّا بعد ان يشعر بسوء الاتكال على برّهِ ويرفض اعمال الناموس. فلنحذر من اتباع الناموسي في امر التبرُّر

عَلَيْكَ أَوَّلًا أَنْ تَرْفِضَ ٱمْتِثَالَكَ طَرِيقَتَهُ لِأَنَّكَ وَٱلْحَالَةُ هٰذِهِ قَدْ رَفَضْتَ مَشُورَةَ ٱللهِ لِأَجْلِ مَشُورَةِ حَكِيمٍ دُنْيَوِيٍّ. فَإِنَّ ٱللهَ يَقُولُ ٱجْتَهِدُوا فِي ٱلدُّخُولِ مِنَ ٱلْبَابِ ٱلضَّيِّقِ (١) وَهُوَ ٱلْبَابُ ٱلَّذِي أَرْسَلَتْكَ إِلَيْهِ. وَيَقُولُ أَيْضًا مَا أَضْيَقَ ٱلْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ ٱلَّذِي يُؤَدِّي إِلَى ٱلْحَيَاةِ وَقَلِيلُونَ هُمُ ٱلَّذِينَ يَجِدُونَهُ (٢) وَهٰذَا ٱلْخَبِيثُ رَدَّكَ بِمَكْرِهِ عَنْ هٰذَا ٱلْبَابِ وَهٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ لِيُفْضِيَ بِكَ إِلَى ٱلْهَلَاكِ. ثَانِيًا أَنْ تَرْفِضَ ٱجْتِهَادَهُ فِي كَرَاهَتِكَ لِلصَّلِيبِ ٱلَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُفَضِّلَهُ عَلَى كُنُوزِ مِصْرَ (٣) فَقَدْ قَالَ رَبُّ ٱلْمَجْدِ مَنْ أَحَبَّ نَفْسَهُ فَإِنَّهُ يُهْلِكُهَا وَمَنْ يَأْتِي إِلَيَّ وَلَا يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَٱمْرَأَتَهُ وَبَنِيهِ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ حَتَّى نَفْسَهُ فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا (٤). ثَالِثًا أَنْ تَرْفِضَ ٱقْتِيَادَهُ إِيَّاكَ إِلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلْمُؤَدِّيَةِ إِلَى سُلْطَةِ ٱلْمَوْتِ وَتَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ مَكَرَ بِكَ وَصَرَفَكَ إِلَى مَنْ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُحَرِّكَ حِمْلَكَ. وَأَمَّا هٰذَا ٱلَّذِي أَرْسَلَكَ إِلَيْهِ

اولاً بالنعمة ثم بالاعمال لان ذلك يمزج النعمة والاعمال معًا حتى يجعلنا نرفع انفسنا ونضع يسوع وبرَّهُ

(١) لو ١٣:٢٤ (٢) مت ٧:١٤ (٣) عب ١١:٢٥ و٢٦

(٤) لو ١٤:٢٦ ومت ١٠:٣٧ الى ٣٩ ويو ١٢:٢٥ ومر ٨:٣٤ و٣٥

أَيِ ٱلنَّامُوسِيِّ فَهُوَ ٱبْنُ ٱلْأَمَةِ ٱلْمُسْتَعْبَدَةِ مَعَ بَنِيهَا وَهِيَ عَلَى نَوْعٍ سِرِّيٍّ جَبَلُ سِينَاءَ ٱلَّذِي خِفْتَ أَنْ يَهْبِطَ عَلَيْكَ وَإِذَا كَانَتْ مَعَ بَنِيهَا فِي ٱلْعُبُودِيَّةِ فَكَيْفَ تَرْجُو أَنْ يُعْتِقُوكَ (١) وَهٰذِهِ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَى أَنَّ ٱلنَّامُوسِيَّ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُعْتِقَكَ مِنْ حِمْلِكَ وَهُوَ لَمْ يُعْتِقْ أَحَدًا قَطُّ وَلَا يُعْتِقُ أَحَدًا أَبَدًا وَأَنْتُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَتَبَرَّرُوا بِأَعْمَالِ ٱلنَّامُوسِ لِأَنَّهُ بِأَعْمَالِ ٱلنَّامُوسِ لَا يُعْتَقُ أَحَدٌ مِنْ حِمْلِهِ. فَقَدْ تَقَرَّرَ أَنَّ ٱلْحَكِيمَ ٱلدُّنْيَوِيَّ كَذَّابٌ وَٱلنَّامُوسِيَّ غَاشٌّ وَٱبْنُهُ ٱللُّطْفَ مُرَاءٍ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْدِرُ أَنْ يُسْعِفَكَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ. قَالَ ٱلْإِنْجِيلِيُّ هٰذَا وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ نَحْوَ ٱلسَّمَاءِ لِإِثْبَاتِ مَا قَالَهُ وَإِذَا كَلِمَاتٌ وَنَارٌ مِنَ ٱلْجَبَلِ ٱلَّذِي كَانَ ٱلْمَسِيحِيُّ جَالِسًا تَحْتَهُ قَدْ خَرَجَتْ فَٱرْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُ وَٱقْشَعَرَّتْ أَعْضَاؤُهُ وَكَانَتْ تِلْكَ ٱلْكَلِمَاتُ "كُلُّ مَنْ كَانَ مِنْ أَعْمَالِ ٱلنَّامُوسِ فَإِنَّهُ تَحْتَ ٱللَّعْنَةِ لِأَنَّهُ قَدْ كُتِبَ مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لَا يَثْبُتُ بِجَمِيعِ مَا كُتِبَ فِي كِتَابِ ٱلنَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ" (٢) وَٱشْتَدَّ

---

(١) غل ٤: ٢١ الى ٢٧ (٢) غل ٣: ١٠ ان الاتكال على مجرّد الناموس عداوة عظيمة لصليب المسيح لانهُ يصدُّنا عن الاتيان الى دم المسيح والاتكال عليهِ في امر الغفران وعن برّ المسيح لاجل التبرر حتى انهُ يمسك انفسنا

ٱلْأَمْرُ عَلَى ٱلْمَسِيحِيِّ فَلَمْ يَكُنْ يَنْتَظِرُ إِلَّا ٱلْمَوْتَ وَجَعَلَ يَبْكِي وَيَلْعَنُ ٱلسَّاعَةَ ٱلَّتِي جَمَعَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْحَكِيمِ ٱلدُّنْيَوِيِّ مُسْتَجْهِلًا نَفْسَهُ ٱلَّتِي أَثَّرَتْ فِيهَا ٱلْأَبَاطِيلُ ٱلْجَسَدِيَّةُ وَصَرَفَتْهَا عَنِ ٱلطَّرِيقِ ٱلْمُسْتَقِيمَةِ. وَقَالَ لِلْإِنْجِيلِيِّ يَا مَوْلَايَ هَلْ لِي رَجَاءٌ بَعْدَ هٰذَا وَلَعَلِّي أَقْدِرُ أَنْ أَرْجِعَ ٱلْآنَ وَأَمْضِيَ إِلَى ٱلْبَابِ ٱلضَّيِّقِ وَهَلْ تُغْفَرُ خَطِيئَتِي. فَقَالَ ٱلْإِنْجِيلِيُّ إِنَّ خَطِيئَتَكَ عَظِيمَةٌ جِدًّا لِأَنَّكَ تَرَكْتَ طَرِيقَ ٱلصَّلَاحِ وَتَبِعْتَ ٱلطَّرِيقَ ٱلْمُحَرَّمَةَ إِلَّا أَنَّ بَوَّابَ هٰذَا ٱلْبَابِ يَقْبَلُكَ لِأَنَّهُ شَفُوقٌ عَلَى ٱلْبَشَرِ. وَأَمَّا أَنْتَ فَٱحْذَرْ أَنْ تَحِيدَ ثَانِيَةً لِئَلَّا تَضِلَّ عَنِ ٱلطَّرِيقِ عِنْدَمَا يَتَّقِدُ غَضَبُهُ بِسُرْعَةٍ (١)

وَعِنْدَ ذٰلِكَ عَوَّلَ ٱلْمَسِيحِيُّ عَلَى ٱلرُّجُوعِ فَقَبَّلَهُ ٱلْإِنْجِيلِيُّ وَدَعَا لَهُ بِٱلنَّجَاحِ وَٱنْطَلَقَ ٱلْمَسِيحِيُّ مُسْرِعًا لَا يَلْتَفِتُ إِلَى أَحَدٍ وَلَا يُجِيبُ سَائِلًا. وَمَا صَدَّقَ أَنْ صَارَ إِلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلَّتِي تَرَكَهَا حَتَّى أَخَذَ فِيهَا مُجْتَهِدًا إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى ٱلْبَابِ ٱلضَّيِّقِ وَكَانَ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ ٱقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ فَقَرَعَ ٱلْبَابَ مِرَارًا (٢) وَقَالَ

---

(١) مز ٢: ١٢ في رقّ العبودية ويلاً نا افتخاراً لا يليق

(٢) مت ٧: ٧ هذه هي الصلاة لله والاستشفاع به بايمان طلباً للرحمة

يَا صَاحِبَ ٱلْبَابِ تُرَى هَلْ مِنْ جَوَابٍ مِنْكَ لِي
وَهَلْ أَرَاكَ فَاتِحًا تَقُولُ يَا ضَيْفُ ٱدْخُلِ

فَأَتَى شَخْصٌ وَقُورٌ يُقَالُ لَهُ ٱلْجُودَةُ وَقَالَ لَهُ مَنْ أَنْتَ وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ وَمَاذَا تُرِيدُ قَالَ إِنِّي مِسْكِينٌ خَاطِئٌ مُثْقَلٌ قَادِمٌ مِنْ مَدِينَةِ ٱلْهَلَاكِ ذَاهِبٌ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ لِأَنْجُوَ مِنَ ٱلْغَضَبِ ٱلْآتِي وَقَدْ قِيلَ لِي إِنَّ ٱلطَّرِيقَ مِنْ هٰذَا ٱلْبَابِ . فَهَلْ تَأْذَنُ لِي فِي ٱلدُّخُولِ . قَالَ حُبًّا وَكَرَامَةً إِنِّي أُرِيدُ ذٰلِكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِي (١) وَفَتَحَ ٱلْبَابَ فَدَخَلَ ٱلْمَسِيحِيُّ وَلَمَّا أَلْقَى رِجْلَهُ إِلَى دَاخِلِ ٱلْبَابِ ٱجْتَذَبَهُ ٱلرَّجُلُ مُخْتَطِفًا إِيَّاهُ فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ مَا هٰذَا يَا مَوْلَايَ قَالَ إِنَّ هُنَا بُرْجًا قُبَالَةَ ٱلْبَابِ يَنْزِلُهُ بَعْلَزْبُوبُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ يَرْصُدُونَ ٱلدَّاخِلِينَ وَيَرْمُونَهُمْ بِٱلسِّهَامِ لَعَلَّهُمْ يَقْتُلُونَهُمْ عَلَى ٱلْبَابِ (٢) قَالَ

وغفران الخطايا بدم المسيح

(١) ان الله يفتح الباب للخطاة المنسحقي القلوب . ومن هذا تظهر محبة يسوع بقبولهِ مجانًا من كل قلبهِ لكل خاطئ يقبل اليهِ وهو لا يعتبر مقدار تدنسهِ السابق ولا يلتفت الى الخطايا التي ارتكبها فانهُ يحب الخطاة مجانًا ويقبلهم عفوًا لانهُ لا يريد لهم سوى الخير (٢) ان الشيطان لا يحارب الذين يصلُّون بالرياء لانهم لا يضادُّون ارادتهُ ولهذا لا يزعجهم في اتمام ما يدعونهُ عبادةً . لكنهُ يكره على الخصوص صلاة المؤمن المنسحق القلب ولهذا يرميهِ بسهامهِ ويلقي في

ٱلمَسِيحِيُّ إِنِّي قَدْ سُرِرْتُ بِهٰذَا وَٱضْطَرَبْتُ مِنْهُ. ثُمَّ سَأَلَهُ ٱلْبَوَّابُ عَمَّنْ هَدَاهُ إِلَى هُنَاكَ. قَالَ إِنَّ ٱلْإِنْجِيلِيَّ أَمَرَنِي أَنْ أَجِيءَ إِلَى هُنَا وَأَقْرَعَ ٱلْبَابَ. وَقَالَ لِي إِنَّكَ أَنْتَ تَقُولُ لِي مَاذَا أَفْعَلُ. قَالَ إِنَّ أَمَامَكَ بَابًا مَفْتُوحًا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُغْلِقَهُ. فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ ٱلْآنَ أَبْتَدِئُ أَحْصُدُ أَثْمَارَ شَدَائِدِي. قَالَ ٱلْبَوَّابُ لِمَاذَا أَتَيْتَ وَحْدَكَ. قَالَ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ جِيرَانِي ٱطَّلَعَ عَلَى خَطَرِهِ كَمَا ٱطَّلَعْتُ. قَالَ وَهَلْ عَرَفَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِمَجِيئِكَ. قَالَ نَعَمْ إِنَّ ٱمْرَأَتِي وَأَوْلَادِي رَأَوْنِي أَوَّلًا ثُمَّ ٱلْبَعْضُ مِنْ جِيرَانِي وَكُلُّهُمْ كَانُوا يَصِيحُونَ فِي أَثَرِي لِأَرْجِعَ فَلَمْ ٱلْتَفِتْ وَلَمْ أَقِفْ. قَالَ أَلَمْ يَتْبَعْكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِيَرُدَّكَ قَالَ قَدْ تَبِعَنِي ٱلْمُعَانِدُ وَٱلْمُذْعِنُ حَتَّى قَطَعَا ٱلرَّجَاءَ مِنْ رُجُوعِي فَرَجَعَ ٱلْمُعَانِدُ حَنِقًا وَأَمَّا ٱلْمُذْعِنُ فَرَافَقَنِي قَلِيلًا. قَالَ وَلِمَاذَا لَمْ يَثْبُتْ مَعَكَ. قَالَ ٱعْتَرَضَتْنَا فِي ٱلطَّرِيقِ بَالُوعَةُ ٱلْيَأْسِ فَسَقَطْنَا فِيهَا وَلَمَّا تَيَسَّرَ لَهُ ٱلْخُرُوجُ أَجْفَلَ رَاجِعًا فِي طَرِيقِهِ وَقَالَ لِي دَعْ هٰذَا ٱلْمُلْكَ ٱلْعَظِيمَ لَكَ وَحْدَكَ (١) قَالَ ٱلْوَيْلُ لَهُ هَلِ ٱسْتَصْغَرَ ٱلْمُلْكَ ٱلسَّمَاوِيَّ هٰكَذَا

ضميره وساوس كاذبة ليقطع مناجاته لله

(١) قد يكون للانسان رفاق في طريق السماء ومع ذلك يصل اليها وحده

حَتَّى لَمْ يَحْتَمِلْ لِأَجْلِهِ مَشَقَّةً يَسِيرَةً . قَالَ إِنِّي قُلْتُ ٱلْحَقَّ مِنْ أَمْرِ ٱلْمُذْعِنِ وَلَوْ قُلْتُ ٱلْحَقَّ مِنْ أَمْرِ نَفْسِي لَظَهَرَ أَنِّي مِثْلُهُ لِأَنَّهُ ٱنْصَرَفَ إِلَى بَيْتِهِ وَأَمَّا أَنَا فَٱنْقَلَبْتُ عَنْ طَرِيقِ ٱلْخَلَاصِ إِلَى طَرِيقِ ٱلْهَلَاكِ بِٱتِّبَاعِي رَأْيَ ٱلْحَكِيمِ ٱلدُّنْيَوِيِّ قَالَ (١) أَلَعَلَّهُ صَادَفَكَ وَأَشَارَ عَلَيْكَ بِطَلَبِ ٱلرَّاحَةِ عَنْ يَدِ ٱلنَّامُوسِيِّ ٱلْغَاشِّ مِثْلَهُ . قَالَ نَعَمْ قَدْ كَانَ ذٰلِكَ وَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى تِلْقَاءِ ٱلْجَبَلِ ٱلْمَبْنِيِّ بَيْتُ ٱلنَّامُوسِيِّ بِجَانِبِهِ خِفْتُ أَنْ يَهْبُطَ عَلَيَّ فَوَقَفْتُ . قَالَ إِنَّ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلَ قَدْ أَمَاتَ وَسَيُمِيتُ كَثِيرِينَ فَقَدْ أَصَبْتَ بِفِرَارِكَ مِنْهُ وَلَوْلَا ذٰلِكَ لَهَلَكْتَ . قَالَ نَعَمْ وَلَوْ لَمْ يَتَدَارَكْنِي ٱللّٰهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَيُرْسِلْ إِلَيَّ ٱلْإِنْجِيلِيَّ لَمَا وَصَلْتُ إِلَى هُنَا . وَأَشْهَدُ لِلّٰهِ أَنَّنِي أَسْتَحِقُّ ٱلْمَوْتَ تَحْتَ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ أَكْثَرَ مِنْ لِقَاءِ سَيِّدِي وَمُخَاطَبَتِي لَهُ . وَأَشْكُرُ ٱللّٰهَ ٱلَّذِي أَنْعَمَ عَلَيَّ بِدُخُولِي إِلَى هٰذَا

لان المدعوين كثيرون والمنتخبين قليلون مت ٢٠ : ١٦

(١) من حاز نعمة حقيقية في قلبهِ فانهُ يحمل الخزي على نفسهِ وينسب كل المجد الى نعمة الله الفائقة في ما يوجد من الفرق بينهُ وبين الغير . والنعمة المجانية تميت الكبرياء وتضع الخاطئ وترفع المسيح وتجعل الخطاة يفرحون ببرهِ وخلاصهِ الابدي

(٢) هذه علامة حقيقية لعمل النعمة الخالص اذ ينسب القلب كل شيء الى

ٱلْمَكَانِ وَلَمْ يُؤَاخِذْنِي بِمَا فَرَطَ مِنِّي. قَالَ لَا بَأْسَ إِنَّنَا لَا نُبَكِّتُ أَحَدًا عَلَى مَا فَعَلَ قَبْلَ إِتْيَانِهِ إِلَى هٰهُنَا. مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ لَا أُخْرِجْهُ خَارِجًا (١) فَٱذْهَبْ بِنَا أَيُّهَا ٱلْمَسِيحِيُّ قَلِيلًا وَأُرِيكَ ٱلطَّرِيقَ ٱلَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَسْلُكَهَا وَهِيَ تِلْكَ ٱلطَّرِيقُ ٱلضَّيِّقَةُ أَمَامَكَ ٱلَّتِي فَتَحَهَا ٱلْآبَاءُ وَٱلْأَنْبِيَاءُ وَٱلْمَسِيحُ وَرُسُلُهُ وَهِيَ عَلَى ٱلْخَطِّ ٱلْمُسْتَقِيمِ مَحْضًا (٢) فَٱلْزَمْهَا مُسْتَوِيًا قَالَ أَلَيْسَ فِيهَا شُعَبٌ وَمَعَارِجُ يَضِلُّ بِهَا ٱلْغَرِيبُ قَالَ لَا تَخْلُو مِنْ طُرُقٍ تَتَفَرَّعُ مِنْهَا إِلَّا أَنَّهَا وَاسِعَةٌ مُعْوَجَّةٌ وَطَرِيقُكَ مُسْتَقِيمَةٌ ضَيِّقَةٌ (٣)

قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُ فِي ٱلْحُلْمِ ٱلْمَسِيحِيَّ يَسْأَلُهُ بَعْدَ ذٰلِكَ هَلْ يَقْدِرُ أَنْ يَرْفَعَ حِمْلَهُ عَنْهُ لِأَنَّهُ كَانَ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ فَقَالَ ٱصْبِرْ حَتَّى تَصِلَ إِلَى مَكَانِ ٱلْخَلَاصِ وَهُنَاكَ يَسْقُطُ مِنْ ذَاتِهِ فَبَرَزَ

النعمة. فانهُ لا يذكر شيئًا من وفائهِ وامانتهِ ولا يوجه شيئًا الى حرية ارادتهِ او الى قوَّتهِ. بل ينسب نجاتهُ من الهلاك وثباتهُ في طريق الخلاص الى الله ونعمتهِ المجانية وقدرتهِ الباهرة (١) يو ٦: ٣٧

(٢) ان المسيحي لما دخل الى الباب الضيّق دلّوهُ على الطريق الضيقة. واما الطريق الواسعة فكل انسان يقدر ان يختار فيها لنفسهِ ما يناسبهُ من المسالك ويتخذ لهُ رفاقًا يوافقونهُ بخلاف المسيحيين فان الواحد منهم يلتزم ان يقفو اثر خطوات الآخر في الطريق الضيق (٣) مت ٧: ١٤

ٱلْمَسِيحِيُّ مُتَأَهِّبًا لِلسَّفَرِ وَقَالَ لَهُ ٱلْبَوَّابُ إِنَّكَ بَعْدَ قَلِيلٍ تَنْتَهِي إِلَى بَيْتِ ٱلْمُفَسِّرِ فَٱقْرَعْ بَابَهُ وَهُوَ يُرِيكَ مَا يَشَاءُ ٱللهُ مِنْ عَظَائِمِ ٱلْأُمُورِ فَشَكَرَهُ ٱلْمَسِيحِيُّ وَوَدَّعَهُ وَٱنْطَلَقَ يَعْدُو إِلَى بَيْتِ ٱلْمُفَسِّرِ حَتَّى أَتَاهُ فَجَعَلَ يَقْرَعُ ٱلْبَابَ وَإِذَا بِسَائِلٍ يَقُولُ مَنْ هٰذَا قَالَ إِنِّي سَائِحٌ قَدْ هَدَانِي مَنْ يَعْرِفُ رَبَّ هٰذَا ٱلْبَيْتِ إِلَيْهِ فَٱدْعُهُ إِلَيَّ. فَحَضَرَ وَقَالَ لِلْمَسِيحِيِّ مَاذَا تُرِيدُ. قَالَ إِنِّي قَدْ خَرَجْتُ مِنْ مَدِينَةِ ٱلْهَلَاكِ طَالِبًا جَبَلَ صِهْيَوْنَ وَقَدْ قَالَ لِيَ ٱلرَّجُلُ ٱلْوَاقِفُ عَلَى ٱلْبَابِ عِنْدَ رَأْسِ هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ إِنِّي إِذَا أَتَيْتُكَ ٱسْتَفَدْتُ مِنْكَ مَا أَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى سَفَرِي. فَقَالَ ٱلْمُفَسِّرُ ٱدْخُلْ وَلَكَ مَا تُحِبُّ (١) وَأَمَرَ غُلَامَهُ فَأَوْقَدَ لَهُ مِصْبَاحًا وَأَدْخَلَهُ إِلَى سَاحَةٍ وَفَتَحَ بَابًا هُنَاكَ فَنَظَرَ ٱلْمَسِيحِيُّ وَإِذَا عَلَى ٱلْحَائِطِ صُورَةُ شَخْصٍ مَهِيبٍ قَدْ شَخَصَتْ عَيْنَاهُ نَحْوَ ٱلسَّمَاءِ وَفِي يَدِهِ كِتَابٌ حَسَنٌ وَنَامُوسُ ٱلْحَقِّ مَكْتُوبٌ عَلَى شَفَتَيْهِ وَٱلْعَالَمُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَهُوَ وَاقِفٌ كَأَنَّهُ يَسْتَعْطِفُ ٱلنَّاسَ وَفَوْقَ رَأْسِهِ إِكْلِيلٌ مِنْ ذَهَبٍ. فَقَالَ مَا هٰذَا

(١) المراد بالمفسّر هنا تعليم الروح القدس وانارته اللذان يشترك فيهما من يأتي الى المسيح والمناظر التي رآها المسيحي في بيت المفسّر كناية عما يتعلمهُ جميع المتعلمين من الله

يَا مَوْلَايَ. قَالَ صَاحِبُ هٰذِهِ ٱلصُّورَةِ رَجُلٌ عَظِيمٌ لَا يُقَاسُ بِٱلرِّجَالِ. وَشُخُوصُ عَيْنَيْهِ وَٱلْكِتَابُ ٱلَّذِي فِي يَدِهِ وَٱكْتِنَابُ ٱلنَّامُوسِ دَلِيلٌ عَلَى ٱجْتِهَادِهِ فِي أَنْ يُعَرِّفَ وَيَكْشِفَ ٱلْغَوَامِضَ لِلْخَطَأَةِ كَمَا يَتَّضِحُ مِنْ حَالَةِ وُقُوفِهِ. وَأَمَّا إِدْبَارُهُ عَنِ ٱلْعَالَمِ وَتَعْلِيقُ إِكْلِيلِ ٱلذَّهَبِ فَوْقَ رَأْسِهِ فَدَلِيلٌ عَلَى ٱسْتِخْفَافِهِ بِٱلْأُمُورِ ٱلْحَاضِرَةِ وَإِزْرَائِهِ بِهَا حُبًّا لِسَيِّدِهِ وَثِقَتِهِ بِٱلْجَزَاءِ ٱلْوَافِرِ فِي ٱلْعَالَمِ ٱلْآتِي. ثُمَّ قَالَ أَعْلَمْ أَنَّنِي أَرَيْتُكَ هٰذِهِ ٱلصُّورَةَ فِي أَوَّلِ ٱلْأَمْرِ لِأَنَّ رَبَّ ٱلْمَكَانِ ٱلْمَاضِي إِلَيْهِ أَنْتَ قَدْ فَوَّضَ إِلَى صَاحِبِهَا ٱلْهِدَايَةَ فِي جَمِيعِ ٱلْمَسَالِكِ ٱلشَّاغِرَةِ (١) ٱلَّتِي تَمُرُّ بِهَا فَٱحْتَفِظْ عَلَى مَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ لِئَلَّا يُصَادِفَكَ مَنْ يَتَرَاءَى لَكَ كَمُرْشِدٍ مَعَ أَنَّ طَرِيقَهُ مُحْدِرَةٌ إِلَى ٱلْجَحِيمِ (٢)

---

(١) الشاغرة الارض التي لا احد يحميها ويضبطها

(٢) الامر الاول هنا يُشير الى صفات الراعي الصادق . واعلم ان من اهم الامور واضرّها لمن يبحث عن طريق السماء ان يعرف كيف يميز الرعاة الامناء من الاجراء والمعلمين الكذبة الذين هم قهارمة ابليس لاجل غدر الناس وافساد حسن تصرُّفهم ولا يخفى ان من كان دنيويًا منافقًا مفسدًا ولو كان في لباس الرعاة لا يمكن ان يكون مرشدًا امينًا يُوثَق بهِ . لان من لا يطالع كتاب الله لا يقدر ان يكشف للخطاة ما غمض من الامور . وكذلك من يعتبر الارباح

ثُمَّ أَمْسَكَ بِيَدِهِ وَأَدْخَلَهُ إِلَى غُرْفَةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ فُرِشَ ٱلْغُبَارُ عَلَى أَرْضِهَا لِطُولِ عَهْدِهَا بِٱلْكَنْسِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا قَلِيلًا وَدَعَا ٱلْمُفَسِّرُ رَجُلًا يَكْنُسُهَا . وَلَمَّا شَرَعَ فِي كَنْسِهَا ثَارَ ذٰلِكَ ٱلْغُبَارُ وَغَشَّى ٱلْمَسِيحِيَّ حَتَّى كَادَ يَخْتَنِقُ بِهِ فَدَعَا ٱلْمُفَسِّرُ جَارِيَةً وَأَمَرَهَا أَنْ تَرُشَّ ٱلْغُرْفَةَ بِٱلْمَاءِ فَرَشَّتْ وَحِينَئِذٍ ٱنْقَطَعَ ٱلْغُبَارُ . قَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ وَمَا هٰذَا يَا سَيِّدِي. قَالَ ٱلْغُرْفَةُ كِنَايَةٌ عَنْ قَلْبِ إِنْسَانٍ لَمْ يَتَقَدَّسْ بِنِعْمَةِ ٱلْإِنْجِيلِ وَٱلْغُبَارُ كِنَايَةٌ عَنِ ٱلْخَطِيَّةِ ٱلْأَصْلِيَّةِ وَٱلْأَدْنَاسِ ٱلْقَلْبِيَّةِ ٱلْمُفْسِدَةِ لِلنَّفْسِ وَٱلَّذِي كَنَسَ أَوَّلًا هُوَ ٱلنَّامُوسُ وَٱلَّتِي رَشَّتِ ٱلْمَاءَ كِنَايَةٌ عَنْ بِشَارَةِ ٱلْإِنْجِيلِ وَهِيَاجِ ٱلْغُبَارِ مِنْ دُونِ أَنْ تُنَقَّى ٱلْغُرْفَةُ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ ٱلنَّامُوسَ لَا يُنَقِّي ٱلْقَلْبَ مِنَ ٱلْخَطِيَّةِ بَلْ إِنَّهُ يُحْيِيهَا وَيُقَوِّيهَا فِيهِ وَيَزِيدُهَا فِي ٱلنَّفْسِ (١) لِأَنَّهُ يَكْشِفُهَا وَلَا يُعْطِي قُوَّةً لِإِذْلَالِهَا . وَسُكُونُ ٱلْغُبَارِ بِرَشِّ ٱلْمَاءِ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ ٱلْإِنْجِيلَ حِينَمَا يَدْخُلُ ٱلْقَلْبَ بِعُذُوبَتِهِ وَتَأْثِيرِهِ تَخْمُدُ ٱلْخَطِيَّةُ وَتَذِلُّ وَتُنَقَّى ٱلنَّفْسُ بِإِيمَانِهَا وَتَسْتَحِقُّ أَنْ يَحِلَّ بِهَا

والراحة اكثر من رعيته يكون اتباعه امرًا خطرًا ناتجًا عن جهالة وغباوة . كما ان المريض لا يليق به ان يتخذ لنفسه طبيبًا جاهلاً متوانيًا ماكرًا لمجرَّد كونه من ارباب صناعة الطب

(١) رو ٥ : ٢٠ و ٧ : ٩ و اكو ١٥ : ٥٦

مَلِكُ ٱلْمَجْدِ (١)

قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُ فِي ٱلْحُلْمِ أَنَّ ٱلْمُفَسِّرَ بَعْدَ هٰذَا ٱلْكَلَامِ أَخَذَ بِيَدِ ٱلْمَسِيحِيِّ وَأَدْخَلَهُ إِلَى مَخْدَعٍ قَدْ جَلَسَ فِيهِ غُلَامَانِ عَلَى كُرْسِيَّيْنِ ٱسْمُ أَكْبَرِهِمَا ٱلضَّجَرُ وَٱسْمُ ٱلْأَصْغَرِ ٱلصَّبْرُ. وَكَانَ ٱلْكَبِيرُ مُتَزَعْجًا وَٱلصَّغِيرُ مُطْمَئِنًّا. فَسَأَلَهُ ٱلْمَسِيحِيُّ عَنْ سَبَبِ ٱضْطِرَابِ ذَاكَ وَٱطْمِئْنَانِ هٰذَا فَقَالَ إِنَّ وَلِيَّ أَمْرِهِمَا يُرِيدُ أَنْ يُؤَخِّرَ جَزَاءَ ذَاكَ إِلَى ٱفْتِتَاحِ ٱلسَّنَةِ ٱلْقَادِمَةِ وَهُوَ لَا يَصْبِرُ فَيَضْطَرِبُ لَجَاجًا بِخِلَافِ صَاحِبِهِ فَإِنَّهُ طَوِيلُ ٱلْأَنَاةِ. قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلًا قَدْ أَتَى بِأَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ فِي كِيسٍ فَأَلْقَاهَا قُدَّامَ ٱلضَّجَرِ فَتَنَاوَلَهَا وَسُرَّ بِهَا ضَاحِكًا عَلَى ٱلصَّبْرِ لِأَنَّهُ فَاتَهُ ٱلْمَالُ بِتَأَنِّيهِ. ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَدَّدَ تِلْكَ

---

(١) يو ١٥: ٢ واف ٢٦:٥ واع ٩:١٥ الخص ايها القارئ أتحت الناموس انت ام تحت الانجيل. وسل نفسك هل شعرت بان شهواتك الفاسدة اشتدّت عليك بالوصية فصارت الخطية تهيج فيك كل الشهوة. وبعد ما كانت الخطية بدون الوصية ميتة هل احيت الشريعة فيك الخطية فمتّ عن رجائك السابق في التبرُّر بطاعة الشريعة رو ٧:٧ الى ٩ والاّ فانت لم تزل ميتًا بالخطية ومنعكفًا على الثقة الباطلة. ولكن اذا كنت قد متّ عن الشريعة وقد زادك الانجيل بقوّته المحيية تعزيةً وتقديسًا وجعل دم المسيح وبرّه كريمين عندك ونصرك الايمان على الخطيئة والموت فاذهب في سبيلك مطمئنًا مبتهجًا

ٱلْأَمْوَالَ فَلَمْ يَبْقَ فِي يَدِهِ إِلَّا ٱلْكِيسُ ٱلَّذِي كَانَتْ فِيهِ. فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ لِلْمُفَسِّرِ زِدْنِي إِيضَاحًا فِي مَا أَرَى. قَالَ إِنَّ ٱلضَّجَرَ نَمُوذَجُ أَهْلِ هٰذَا ٱلْعَالَمِ وَإِنَّ ٱلصَّبْرَ نَمُوذَجُ أَهْلِ ٱلْعَالَمِ ٱلْآتِي لِأَنَّ ٱلْأَوَّلَ يُرِيدُ نَيْلَ ٱلْحَسَنَاتِ فِي عَامِهِ أَيْ فِي هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا كَمَا يَفْعَلُ أَهْلُ هٰذَا ٱلْعَالَمِ ٱلَّذِينَ لَا يَنْظُرُونَ ٱلْجَزَاءَ ٱلْمُسْتَقْبَلَ فِي ٱلسَّنَةِ ٱلْقَادِمَةِ أَيْ فِي ٱلْعَالَمِ ٱلْآتِي وَيُفَضِّلُونَ قَوْلَ ٱلْمَثَلِ عُصْفُورٌ فِي ٱلْيَدِ خَيْرٌ مِنِ ٱثْنَيْنِ فِي ٱلشَّجَرَةِ عَلَى جَمِيعِ ٱلشَّهَادَاتِ ٱلْإِلٰهِيَّةِ ٱلْمُعَبِّرَةِ عَنْ خَيْرَاتِ ٱلْعَالَمِ ٱلْآتِي وَهُوَ قَدْ بَدَّدَ جَمِيعَ خَيْرَاتِهِ فِي ٱلْحَالِ كَمَا تُبَدِّدُ خَيْرَاتُ هٰذَا ٱلْعَالَمِ بِخِلَافِ ٱلصَّبْرِ ٱلَّذِي أَحْرَزَ نَصِيبَهُ إِلَى مَوْعِدِهِ. قَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ إِنِّي أَرَى ٱلصَّبْرَ أَحْكَمَ لِأَنَّهُ ٱنْتَظَرَ مَا هُوَ أَفْضَلُ فَتَكُونُ فِي يَدِهِ ٱلْجَوَائِزُ حِينَ لَا يَكُونُ فِي يَدِ صَاحِبِهِ إِلَّا خِرْقَةُ ٱلْكِيسِ (١) قَالَ نَعَمْ وَزِدْ عَلَى ذٰلِكَ أَنَّ

(١) ان الناس الجسديين لا يسألون الا عن تمتع حواسهم باللذات الجسدية. واما عاقبتهم فتكون خسارة جميع الاشياء وهلاك نفوسهم خلافاً للابرار فانهم يعيشون بالايمان متكلين على المسيح اذ ينتظرون الغبطة الآتية. فتكون آخرتهم مغبوطة لانهم ينالون غاية ايمانهم التي هي خلاص انفسهم والتمتع بالمسيح الى الابد بمجدٍ لا يُوصَف

جَوَائِزَ ٱلْعَالَمِ ٱلْآتِي بَاقِيَةٌ وَجَوَائِزَ هٰذَا ٱلْعَالَمِ فَانِيَةٌ فَلَا يَحِقُّ لِلْمُضَجَّرِ أَنْ يَضْحَكَ عَلَى ٱلصَّبْرِ لِإِدْرَاكِهِ جَوَائِزَهُ أَوَّلًا كَمَا يَحِقُّ لِلصَّبْرِ لِإِدْرَاكِهِ إِيَّاهَا أَخِيرًا. لِأَنَّ ٱلْأَوَّلَ لَا بُدَّ أَنْ يَعْقُبَهُ ٱلْآخِرُ فَهُوَ رَهِينٌ لَهُ وَأَمَّا ٱلْآخِرُ فَلَا يَعْقُبُهُ شَيْءٌ فَهُوَ حُرٌّ مُطْلَقٌ. وَلِذٰلِكَ قِيلَ لِلْغَنِيِّ إِنَّكَ ٱسْتَوْفَيْتَ خَيْرَاتِكَ فِي حَيَاتِكَ وَكَذٰلِكَ لِعَازَرُ ٱلْبَلَايَا وَٱلْآنَ هُوَ يَتَعَزَّى وَأَنْتَ تَتَعَذَّبُ[1] قَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ إِنِّي أَرَى ٱنْتِظَارَ ٱلْآجِلِ خَيْرًا مِنْ أَعْتَبَارِ ٱلْعَاجِلِ. فَقَالَ ٱلْمُفَسِّرُ قَدْ أَصَبْتَ لِأَنَّ ٱلْأَشْيَاءَ ٱلْمَنْظُورَةَ زَمَنِيَّةٌ وَتَزُولُ وَغَيْرَ ٱلْمَنْظُورَةِ أَبَدِيَّةٌ وَتَدُومُ[2] وَلٰكِنْ لِأَجْلِ ٱلْمُجَاوَرَةِ بَيْنَ شَهَوَاتِنَا ٱلْعَالَمِيَّةِ وَمَرْغُوبَاتِهَا ٱلْحَاضِرَةِ وَٱلْمُبَاعَدَةِ بَيْنَ حَوَاسِّنَا ٱلْهَيُولِيَّةِ وَمَأْمُولَاتِهَا ٱلْمُزْمِعَةِ تُوجَدُ ٱلْأُلْفَةُ بَيْنَ ٱلْأَوَّلَيْنِ وَٱلتَّبَاعُدُ بَيْنَ ٱلْآخِرَيْنِ[3]

قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُ ٱلْمُفَسِّرَ قَدْ أَخَذَ بِيَدِ ٱلْمَسِيحِيِّ وَأَدْخَلَهُ إِلَى مَكَانٍ بِجَانِبِ حَائِطِهِ نَارٌ مُضْطَرِمَةٌ وَبِجَانِبِهَا رَجُلٌ يَصُبُّ

---

(١) لو١٦: ٢٥ (٢) ٢كو٤: ١٨

(٣) رو٧: ١٥ و٢٥ انظر هنا عظم قيمة الايمان وسموّ جلالهِ. لانهُ يجعل صاحبهُ يعتبر الاشياء كما هي ويتجاوز الامور الحسّيَّة الزمنيَّة ويطلب الامور الابدية

عَلَيْهَا مَاءً كَثِيرًا لِيُخْمِدَهَا وَهِيَ تَزْدَادُ لَهِيبًا وَٱشْتِعَالًا . فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ مَا هٰذَا يَا مَوْلَايَ فَأَجَابَهُ ٱلْمُفَسِّرُ إِنَّ ٱلنَّارَ هِيَ عَمَلُ ٱلنِّعْمَةِ ٱلْمُؤَثِّرُ فِي ٱلْقَلْبِ وَٱلَّذِي يَصُبُّ عَلَيْهَا ٱلْمَاءَ لِيُطْفِئَهَا هُوَ إِبْلِيسُ وَأَمَّا ٱزْدِيَادُ ٱشْتِعَالِهَا بِالْمَاءِ فَسَتَعْلَمُهُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ .

ثُمَّ أَخَذَهُ إِلَى وَرَاءِ ذٰلِكَ ٱلْحَائِطِ فَرَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ إِنَاءُ زَيْتٍ يَنْضَحُ مِنْهُ عَلَى تِلْكَ ٱلنَّارِ شَيْئًا فَشَيْئًا خِفْيَةً . فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ وَمَا هٰذَا قَالَ هٰذَا هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱلْمُوَاظِبُ عَلَى ٱلِٱجْتِهَادِ فِي أَنْ يَحْفَظَ بِوَاسِطَةِ زَيْتِ نِعْمَتِهِ ٱلْعَمَلَ ٱلْمُبْتَدَأَ فِي ٱلْقَلْبِ وَبِذٰلِكَ لَا تَزَالُ ٱلنِّعْمَةُ مَحْفُوظَةً فِي أَنْفُسِ شَعْبِهِ وَلَوِ ٱسْتَفْرَغَ ٱلشَّيْطَانُ ٱلْمَجْهُودَ فِي مُقَاوَمَتِهَا (١) وَأَمَّا جُلُوسُهُ وَرَاءَ ٱلْحَائِطِ يَحْفَظُ ٱلنَّارَ فَهُوَ يُفِيدُ أَنَّ ٱلَّذِي ٱسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ ٱلتَّجَارِبُ يَعْسُرُ عَلَيْهِ أَنْ يَرَى كَيْفَ يُحْفَظُ عَمَلُ ٱلنِّعْمَةِ فِي ٱلنَّفْسِ (٢)

برغبةٍ واجتهاد . وهذا هو حال المولودين لميراث السماء فان البار بالايمان يحيا رو١:١٧ وهذه هي حياة السماء على الارض (١) ٢كو١٢:٩

(٢) لما كان بعض الناس لم يذهبوا الى ما وراء الحائط لكي يروا كيف يصون المسيح عمل النعمة كانوا ينسبون ذلك الى علل اخرى مثل امانة الانسان وغيرها مما يتوهمونهُ بجهالتهم غير ذاكرين ان الرب هو الذي يبتدئُ في عملهِ في قلوب الخطاة ويواظب عليهِ ويتممهُ . فآمن بهذا يا ايها الخاطئُ المسكين

قَالَ وَرَأَيْتُ ٱلْمُفَسِّرَ أَيْضًا قَدْ أَمْسَكَ بِيَدِهِ وَٱقْتَادَهُ إِلَى مَكَانٍ شَهِيٍّ قَدْ بُنِيَ فِيهِ قَصْرٌ عَظِيمٌ حَسَنُ ٱلْمَنْظَرِ فَٱبْتَهَجَ ٱلْمَسِيحُ بِرُؤْيَتِهِ وَرَأَى أُنَاسًا يَتَمَشَّوْنَ عَلَى سَطْحِهِ مُوشَّحِينَ بِٱلذَّهَبِ فَتَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِمْ وَقَالَ هَلْ يُؤْذَنُ لَنَا فِي ٱلدُّخُولِ إِلَى هٰذَا ٱلْقَصْرِ. فَٱقْتَادَهُ ٱلْمُفَسِّرُ أَيْضًا إِلَى بَابِ ٱلْقَصْرِ وَإِذَا أُنَاسٌ كَثِيرُونَ قَدْ وَقَفُوا لَدَى ٱلْبَابِ كَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ ٱلدُّخُولَ وَلَا يَجْسُرُونَ عَلَيْهِ. وَكَانَ بِجَانِبِ ٱلْبَابِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ صَحِيفَةٌ وَدَوَاةٌ يَكْتُبُ أَسْمَاءَ ٱلَّذِينَ يَدْخُلُونَ. وَعَلَى ذٰلِكَ ٱلْبَابِ جُمْهُورٌ مِنَ ٱلْحُرَّاسِ قَدْ وَقَفُوا بِأَسْلِحَتِهِمْ يَحْفَظُونَهُ وَيَسْطُونَ عَلَى ٱلدَّاخِلِينَ بِمَا ٱسْتَطَاعُوا مِنَ ٱلْأَذَى فَتَهَيَّبَتِ ٱلْجَمَاعَةُ أَمْرَهُمْ وَٱنْصَرَفَتْ خَوْفًا مِنْ مَضَرَّتِهِمْ. فَٱنْدَهَشَ ٱلْمَسِيحُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْمَنْظَرِ وَلَبِثَ مُتَحَيِّرًا. وَإِذَا بِرَجُلٍ قَدْ أَتَى إِلَى ٱلْكَاتِبِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَكْتُبَ ٱسْمَهُ فَكَتَبَ وَثَارَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى سَيْفِهِ فَتَقَلَّدَ بِهِ وَلَبِسَ مَا يَتَّقِي بِهِ مِنْ دِرْعٍ وَخُوذَةٍ وَهَجَمَ عَلَى أُولٰئِكَ ٱلْحُرَّاسِ فَٱنْقَضُّوا عَلَيْهِ وَٱنْتَشَبَ بَيْنَهُمُ ٱلْقِتَالُ فَٱنْجَرَحَ بَعْدَ مَا جَرَحَ كَثِيرِينَ مِنَ

واحبَّ سيدك واعترف لهُ وافرح بهِ لان محبتهُ ابدية وخلاصهُ سرمدي

ٱلَّذِينَ كَانُوا يَمْنَعُونَهُ عَنِ ٱلدُّخُولِ (١) وَمَا زَالَ يُحَارِبُ حَتَّى فَتَحَ طَرِيقًا فِي وَسْطِهِمْ وَجَازَ مُسْرِعًا إِلَى ٱلْقَصْرِ فَسُمِعَتْ أَصْوَاتُ ٱلتَّهْلِيلِ مِمَّنْ كَانُوا فِي دَاخِلِهِ وَعَلَى سَطْحِهِ وَهُمْ يَقُولُونَ لَهُ

أَهْلًا بِهٰذَا ٱلزَّائِرِ ٱلْمُفْتَقِدِ مِنْ سَائِحٍ جُرِّدَ لِلتَّعَبُّدِ
قُمِ ٱدْخُلِ ٱلْيَوْمَ وَأَنْتَ فِي غَدٍ سَتَرِثُ ٱلْمَجْدَ ٱلْعَظِيمَ ٱلْأَبَدِي

فَدَخَلَ وَٱبْتَهَجَ بِهِ ٱلْقَوْمُ وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابًا كَثِيَابِهِمْ وَٱلْمَسِيحِيُّ يَرَى كُلَّ ذٰلِكَ وَيَسْمَعُ فَٱبْتَسَمَ حُبُورًا وَقَالَ أَظُنُّ أَنِّي أَعْرِفُ مَعْنَى هٰذِهِ ٱلرُّمُوزِ (٢)

ثُمَّ قَالَ لِلْمُفَسِّرِ دَعْنِي أَذْهَبُ مِنْ هُنَا. قَالَ لَا وَلٰكِنِ ٱصْبِرْ حَتَّى أُرِيَكَ قَلِيلًا أَيْضًا وَأَخَذَ بِيَدِهِ وَٱقْتَادَهُ إِلَى مُخْدَعٍ مُظْلِمٍ جِدًّا فِيهِ رَجُلٌ مَحْبُوسٌ فِي قَفَصٍ مِنْ حَدِيدٍ. وَكَانَ كَئِيبًا مُطْرِقًا بِعَيْنَيْهِ إِلَى ٱلْأَرْضِ مَكْتُوفَ ٱلْيَدَيْنِ يَتَنَفَّسُ ٱلصُّعَدَاءَ حَتَّى كَادَ يَصْدَعُ قَلْبُهُ فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ مَا هٰذَا يَا مَوْلَايَ قَالَ سَلْهُ يُخْبِرْكَ. فَسَأَلَهُ مَنْ أَنْتَ. قَالَ إِنِّي لَسْتُ كَمَا كُنْتُ قَبْلًا. قَالَ وَكَيْفَ كُنْتَ قَبْلًا. قَالَ إِنِّي كُنْتُ مَحْسُوبًا مَسِيحِيًّا فَاضِلًا (٣) فِي عَيْنَيَّ

---

(١) مت ١١: ١٢ واع ١٤: ٢٢

(٢) هذه حالة من عزم ان يربح المسيح وينال ملكوت المجد. فانهُ مهما

وَفِي أَعْيُنِ ٱلْآخَرِينَ وَكُنْتُ أَظُنُّ نَفْسِي أَهْلًا لِلْمَدِينَةِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ فَكُنْتُ أُسَرُّ مُبْتَهِجًا عِنْدَ مَا أَفْتَكِرُ أَنِّي سَأَمْضِي إِلَى هُنَاكَ. قَالَ أَمَّا ٱلْآنَ فَكَيْفَ أَنْتَ قَالَ إِنِّي ٱلْآنَ مَقْطُوعُ ٱلرَّجَاءِ مَحْبُوسٌ فِي سِجْنِ ٱلْإِيَاسِ كَمَا أَنَا مَحْبُوسٌ فِي هٰذَا ٱلْقَفَصِ وَلَا سَبِيلَ لِي إِلَى ٱلنَّجَاةِ فَٱلْوَيْلُ لِي عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالِ. قَالَ وَكَيْفَ أَصَابَكَ هٰذَا ٱلْمُصَابُ قَالَ قَدْ أَصَابَنِي مِنْ تَرْكِ ٱلسَّهَرِ فِي ٱلْعِبَادَةِ وَٱلرُّخْصَةِ فِي صِيَانَةِ ٱلْعِفَافِ وَإِطْلَاقِ عِنَانِ ٱلشَّهَوَاتِ ٱلْعَالَمِيَّةِ. إِنِّي قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَى شُعَاعِ كَلِمَةِ ٱللهِ وَأَحْزَنْتُ ٱلرُّوحَ ٱلْمُعَزِّيَ فَتَرَكَنِي وَجَارَيْتُ ٱلشَّيْطَانَ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ وَأَغْضَبْتُ ٱللهَ فَأَهْمَلَنِي وَقَسَا قَلْبِي حَتَّى لَمْ أَعُدْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتُوبَ. فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ لِلْمُفَسِّرِ يَا مَوْلَايَ أَلَا رَجَاءَ لِهٰذَا ٱلرَّجُلِ. قَالَ سَلْهُ فَهُوَ أَدْرَى بِنَفْسِهِ فَقَالَ لَهُ يَا أَخِي أَلَيْسَ لَكَ رَجَاءٌ وَهَلْ تَبْقَى مُعْتَقَلًا فِي ٱلسِّجْنِ. قَالَ نَعَمْ وَقَدِ ٱنْقَطَعَ كُلُّ رَجَائِي. قَالَ وَكَيْفَ ذٰلِكَ وَٱبْنُ ٱللهِ شَفُوقٌ إِلَى ٱلْأَبَدِ رَحْمَتُهُ[1]. قَالَ إِنِّي صَلَبْتُهُ ثَانِيَةً لِنَفْسِي

اعترضهُ من الموانع والمضادّات يحضر نحو الغرض الى اكليل دعوة الله يسوع المسيح. في ٣:١٤ لان ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونهُ مت ١١:١٢ (١) مز ١٣٥:١

وَٱسْتَهْزَأْتُ بِهِ وَكَفَرْتُ بِنِعْمَتِهِ وَحَسِبْتُ دَمَهُ دَنِسًا وَٱسْتَهَنْتُ بِرُوحِ ٱلنِّعْمَةِ فَحَرَمْتُ نَفْسِي كُلَّ ٱلْمَوَاعِيدِ وَلَمْ يَبْقَ لِي سِوَى تَهْدِيدَاتِ ٱلدَّيْنُونَةِ ٱلرَّهِيبَةِ وَغِيرَةِ ٱلنَّارِ ٱلْعَتِيدَةِ أَنْ تَأْكُلَ ٱلْمُضَادِّينَ (١). قَالَ وَلِمَاذَا جَلَبْتَ عَلَى نَفْسِكَ هٰذِهِ ٱلْحَالَ. قَالَ لِأَجْلِ شَهَوَاتِ هٰذَا ٱلْعَالَمِ وَلَذَّاتِهِ وَأَرْبَاحِهِ ٱلَّتِي وَعَدْتُ نَفْسِي بِٱلتَّمَتُّعِ بِهَا وَأَمَّا ٱلْآنَ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا يُنْشِبُ مَخَالِبَهُ بِي كَٱلْأَسَدِ وَيَلْسَعُنِي بِأَنْيَابِهِ كَٱلْأَفْعَى. قَالَ أَلَا تَقْدِرُ أَنْ تَتُوبَ ٱلْآنَ وَتَرْجِعَ إِلَى ٱللهِ. قَالَ إِنَّ ٱللهَ قَدْ حَجَبَ عَنِّي ٱلتَّوْبَةَ وَفَضْلًا عَنْ عَدَمِ إِعَانَةِ كَلِمَتِهِ لِي عَلَى ٱلْإِيمَانِ قَدْ حَبَسَنِي فِي هٰذَا ٱلْقَفَصِ ٱلَّذِي لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ ٱلنَّاسِ أَنْ يُطْلِقَنِي مِنْهُ أَبَدًا. فَيَا لَهَا مِنْ أَبَدِيَّةٍ هَائِلَةٍ أُقَاسِي فِيهَا شَقَاءً لَا نِهَايَةَ لَهُ. فَقَالَ ٱلْمُفَسِّرُ لِلْمَسِيحِيِّ تَأَمَّلْ يَا أَخِي فِي حَالِ هٰذَا ٱلرَّجُلِ وَٱتَّخِذْهَا لَكَ مَوْعِظَةً دَائِمَةً. قَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ نَعَمْ يَا مَوْلَايَ إِنَّهَا حَالٌ هَائِلَةٌ فَأَسْأَلُ ٱللهَ أَنْ يُعِينَنِي لِأَسْهَرَ وَأُصَلِّيَ وَأُهَذِّبَ نَفْسِي قَوْلًا وَعَمَلًا لَعَلِّي أَنْجُو مِنْ مِثْلِ هٰذِهِ ٱلْحَالِ (٢)

---

(١) عب ٦: ٤-٦ ولو ١٦: ١٤

(٢) ان مفاوضة المسيحي مع الرجل المحبوس تبين لنا جليًا مراد صاحب

ثُمَّ قَالَ لِلْمُفَسِّرِ يَا سَيِّدِي أَمَا حَانَ وَقْتُ ٱنْصِرَافِي فِي طَرِيقِي . فَقَالَ ٱلْمُفَسِّرُ ٱصْبِرْ حَتَّى أُرِيكَ شَيْئًا آخَرَ أَيْضًا ثُمَّ تَنْصَرِفُ . وَأَخَذَ بِيَدِهِ وَأَدْخَلَهُ إِلَى عِلِّيَّةٍ فَنَظَرَ وَإِذَا رَجُلٌ قَدْ قَامَ مِنْ عَلَى سَرِيرِهِ وَبَيْنَمَا هُوَ يَلْبَسُ ثِيَابَهُ كَانَ يَرْتَعِدُ . فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ لِمَاذَا يَرْتَعِدُ هٰذَا ٱلرَّجُلُ فَقَالَ ٱلْمُفَسِّرُ لِلرَّجُلِ أَجِبْهُ يَا أَخِي عَنْ سُؤَالِهِ . فَقَالَ ٱلرَّجُلُ إِنَّنِي بَيْنَمَا كُنْتُ نَائِمًا هٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ رَأَيْتُ ٱلسَّمَاءَ قَدْ أَظْلَمَتْ جِدًّا وَسَطَعَتْ فِيهَا ٱلْبُرُوقُ وَقَصَفَتِ ٱلرُّعُودُ حَتَّى هَالَنِي ذٰلِكَ إِلَى ٱلْغَايَةِ . ثُمَّ رَأَيْتُ وَإِذَا غُيُومٌ تَسُوقُهَا ٱلرِّيَاحُ بِشِدَّةٍ غَيْرِ مَأْلُوفَةٍ فَسَمِعْتُ صَوْتَ بُوقٍ هَائِلًا وَرَأَيْتُ إِنْسَانًا جَالِسًا عَلَى سَحَابَةٍ وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ أُلُوفٌ

هذا الكتاب . وقد ظُنَّ مرارًا كثيرة ان رأْي الانسان في شأْن نفسهِ يثبّت ان حالهُ حال اياسٍ . لانهُ لا شكَّ انهُ يوجد مثل هذه المخاوف في الذين يبتلون بالامراض السوداوية مع انهُ يوجد اسباب كافية تبين انها لا اساس لها . ومن ثمَّ ينبغي لنا ان نقدّم دائمًا نعمة الانجيل المجانية للذين سقطوا في اكبر الخطايا وعلى الخصوص عند ما يشعرون بذنوبهم ويحسُّون بالخطر الذي هم عليهِ . انهُ امرٌ هائلٌ ان بعضًا من الناس قد حُبسوا في سجن اليأْس من دون رجاء النجاة منهُ ولا سبيل الى تجديدهم للتوبة . فيجب علينا ان نترك لله الحكم على العصاة ونتخذ مثالهم موعظة لنا وللآخرين حتى لا نخاطر بانفسنا

مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَبَيْنَ عَلَيْهِمْ حُلَلٌ مِنْ نَارٍ مُلْتَهِبَةٍ وَكَانَتِ ٱلسَّمَاءُ أَيْضًا كَأَنَّهَا قُبَّةٌ مِنَ ٱلنَّارِ وَفِي أَثْنَاءِ ذٰلِكَ صَرَخَ صَارِخٌ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ يَقُولُ أَيُّهَا ٱلْمَوْتَى قُومُوا وَهَلُمُّوا إِلَى ٱلدَّيْنُونَةِ فَتَشَقَّقَتِ ٱلصُّخُورُ وَنَفَتَحَتِ ٱلْقُبُورُ وَخَرَجَ مَنْ فِيهَا مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ. وَكَانَ بَعْضُهُمْ مُتَهَلِّلِينَ قَدْ رَفَعُوا أَعْيُنَهُمْ إِلَى ٱلْعُلَى وَٱلْبَعْضُ مُنْكَسِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْفُوا أَنْفُسَهُمْ عَنِ ٱلنَّاظِرِينَ. ثُمَّ رَأَيْتُ ٱلْجَالِسَ عَلَى ٱلسَّحَابَةِ قَدْ فَتَحَ ٱلْكِتَابَ وَأَمَرَ ٱلنَّاسَ أَنْ يَتَقَدَّمُوا إِلَيْهِ وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مَسَافَةٌ قَرِيبَةٌ كَمَا بَيْنَ ٱلْقَاضِي وَٱلْمَقْضِيِّ عَلَيْهِ (١). قَالَ وَسَمِعْتُ ذٰلِكَ ٱلْمُنَادِيَ يُنَادِي ٱلْأَمْلَاءَ ٱلسَّمَاوِيَّةَ ٱلْمُحِيطَةَ بِذٰلِكَ ٱلْمَجْلِسِ قَائِلًا لَهُمُ ٱجْمَعُوا ٱلزُّوَانَ وَٱلتِّبْنَ وَٱطْرَحُوهُمَا فِي ٱلْبُحَيْرَةِ ٱلْمُلْتَهِبَةِ (٢) وَعِنْدَ ذٰلِكَ ٱنْفَتَحَتْ بِئْرُ ٱلْعُمْقِ حَيْثُ كُنْتُ وَاقِفًا وَخَرَجَ مِنْ فَمِهَا دُخَانٌ كَثِيرٌ وَجَمْرُ نَارٍ بِأَصْوَاتٍ مُخِيفَةٍ. وَقِيلَ أَيْضًا لِأُولٰئِكَ ٱلسَّمَاوِيِّينَ ٱجْمَعُوا حِنْطَتِي إِلَى ٱلْأَهْرَاءِ (٣) وَحِينَئِذٍ رَأَيْتُ كَثِيرِينَ ٱخْتُطِفُوا وَحُمِلُوا فِي ٱلسَّحَابِ وَأَمَّا أَنَا

---

(١) اكو ١٥ واتس ٤: ١٦ و٢ تس ١: ٧—١٠ وبه ١٥ ويو ٥: ٢٨ و٢٩ ورؤ ٢٠: ١١—١٥ واش ٢٦: ٢١ وملا ٣: ٢ و٤ ودا ٧: ٩ و١٩

(٢) مت ١٣: ٤٢ و١٤: ٣٠ وملا ٤: ١ (٣) لو ٣: ١٧

فتُركْتُ وَحْدِي (١) وَأَرَدْتُ أَنْ أَخْتَفِيَ فَلَمْ أَقْدِرْ لِأَنَّ الْجَالِسَ عَلَى السَّحَابَةِ كَانَ لَمْ يَزَلْ نَاظِرًا إِلَيَّ وَتَرَدَّدَتْ خَطَايَايَ فِي ذِهْنِي وَأَخَذَ ضَمِيرِي يُؤَنِّبُنِي مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ (٢) وَعِنْدَ ذٰلِكَ اسْتَيْقَظْتُ مُرْتَاعًا كَمَا رَأَيْتَ . قَالَ الْمَسِيحِيُّ وَمَاذَا أَخَافَكَ مِنْ هٰذِهِ الرُّؤْيَا . فَقَالَ الرَّجُلُ ظَنَنْتُ أَنَّ يَوْمَ الدَّيْنُونَةِ قَدْ حَضَرَ وَلَمْ أَكُنْ مُسْتَعِدًّا لَهُ وَازْدَدْتُ خَوْفًا لَمَّا رَأَيْتُ الْمَلَائِكَةَ قَدْ جَمَعُوا إِلَيْهِمْ كَثِيرِينَ وَتَرَكُونِي . وَلَمَّا فَتَحَتْ بِئْرُ الْعُمْقِ فَاهَا حَيْثُ كُنْتُ وَاقِفًا . وَلَمَّا تَصَوَّرْتُ خَطَايَايَ وَبَكَّتَنِي ضَمِيرِي عَلَيْهَا وَرَأَيْتُ الدَّيَّانَ لَا يُغْضِي طَرْفَهُ عَنِّي وَالْغَضَبُ يَلُوحُ لِي مِنْ وَجْهِهِ (٣) . ثُمَّ قَالَ الْمُفَسِّرُ لِلْمَسِيحِيِّ هَلِ اعْتَبَرْتَ كُلَّ هٰذِهِ الْأَشْيَاءِ . فَقَالَ الْمَسِيحِيُّ نَعَمْ وَهِيَ أَوْقَفَتْنِي بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ (٤)

---

(١) انس ٦:٤ و١٧ (٢) رو ٢:١٤ و١٥

(٣) ان كثرة التأمل في اليوم الاخير وموقفهِ الهائل من احسن الوسائط التي تجعلنا مستعدّين لهُ . فقد قيل ان القديس ايرونيموس في سنين كثيرة من حياتهِ مهما فعل كان يفتكر ان هذا الصوت القائل قوموا ايها الاموات وتعالوا الى الدينونة يقرع اذنيهِ

(٤) ان حياة الانسان المسيحي بالحق موضوع للرجاء والخوف فان مواعيد الله بالمسيح تعطي الانسان اساسًا متينًا للرجاء الحي . واما الذين يقفون على مكر

قَالَ فَٱحْفَظْ كُلَّ ذٰلِكَ فِي قَلْبِكَ حَتَّى يَكُونَ مِنْخَسًا لَكَ يَحُثُّكَ فِي طَرِيقِكَ

قَالَ صَاحِبُ ٱلرُّؤْيَا ثُمَّ أَخَذَ ٱلْمَسِيحِيُّ يَشُدُّ حَقْوَيْهِ وَيَتَأَهَّبُ لِلسَّفَرِ. فَقَالَ لَهُ ٱلْمُفَسِّرُ فَلْيُرَافِقْكَ ٱلرُّوحُ ٱلْمُعَزِّي أَيُّهَا ٱلْمَسِيحِيُّ ٱلصَّالِحُ وَيُرْشِدْكَ إِلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلْمُوصِلَةِ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ. وَٱنْطَلَقَ ٱلْمَسِيحِيُّ فِي طَرِيقِهِ وَهُوَ يَقُولُ

إِنَّنِي قَدْ رَأَيْتُ جُلَّ أُمُورٍ تَجْلِبُ ٱلْخَوْفَ فِي طَرِيقِ ٱلسُّرُورِ
هِيَ تِلْكَ ٱلَّتِي تُثَبِّتُ عَزْمِي فِي تَوَالِي سِيَاحَةٍ وَمَسِيرِ
فَدَعُونِي أَفْكِرْ لِأَعْرِفَ مَاذَا كَانَ فِيهَا مُسَبِّبًا لِلظُّهُورِ
إِنَّ لِلّٰهِ وَٱلْمُفَسِّرِ شُكْرًا عِنْدَنَا فَهْوَ نَافِعُ ٱلتَّفْسِيرِ

قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُ فِي ٱلْحُلْمِ وَإِذَا ٱلطَّرِيقُ ٱلَّتِي كَانَ ٱلْمَسِيحِيُّ عَتِيدًا أَنْ يَسْلُكَهَا مُحَاطَةٌ مِنْ جَانِبَيْهَا بِسُورٍ يُقَالُ لَهُ سُورُ ٱلْخَلَاصِ (١) وَكَانَ ٱلْمَسِيحِيُّ لَمْ يَزَلْ تَحْتَ ذٰلِكَ ٱلْحِمْلِ فَرَكَضَ مُتَثَاقِلًا بِجَهْدٍ عَنِيفٍ (٢) وَٱسْتَمَرَّ فِي رَكْضِهِ حَتَّى أَقْبَلَ عَلَى أَكَمَةٍ فِي أَعْلَاهَا

قلوبهم والفخاخ المنصوبة لهم في هذا العالم فانهم تحت الخوف دائمًا ومن ثمَّ قيل مغبوط الانسان الذي يخشى كل حين ام ١٤:٢٨ (١) اش ١:٢٦

(٢) ان الجهد العنيف كناية عن طريق التعزيات العظمى فان الانسان

صَلِيبٌ مَرْكُوزٌ وَفِي أَسْفَلِهَا قَبْرٌ. وَمَا زَالَ يَرْكُضُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى ذٰلِكَ ٱلصَّلِيبِ. وَإِذَا بِٱلْحِمْلِ قَدِ ٱنْحَلَّتْ عُرَاهُ مِنْ أَكْتَافِهِ وَسَقَطَ عَنْ ظَهْرِهِ وَهَوَى مُتَدَحْرِجًا عَنْ تِلْكَ ٱلرَّابِيَةِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى بَابِ ٱلْقَبْرِ فَسَقَطَ وَغَابَ وَلَمْ أَرَهُ بَعْدَ ذٰلِكَ (١)

فَلَا تَسَلْ عَمَّا شَمَلَ ٱلْمَسِيحِيَّ مِنَ ٱلْحُبُورِ وَٱلْبَهْجَةِ بِسُقُوطِ ذٰلِكَ ٱلْحِمْلِ عَنْهُ فَإِنَّهُ لَا يُوصَفُ فَشَكَرَ ٱلرَّبَّ وَقَالَ بِقَلْبٍ مُتَهَلِّلٍ قَدْ أَعْطَانِي رَاحَةً بِتَعَبِهِ وَحَيَاةً بِمَوْتِهِ: وَأَقَامَ سَاعَةً يَنْظُرُ وَيَتَعَجَّبُ مِنْ تِلْكَ ٱلرَّاحَةِ ٱلَّتِي حَصَلَتْ لَهُ بِمُشَاهَدَةِ ٱلصَّلِيبِ. وَلِذٰلِكَ تَفَرَّسَ أَوَّلًا ثُمَّ ثَانِيًا إِلَى أَنْ جَرَتْ يَنَابِيعُ دُمُوعِهِ عَلَى

قد يشعر بثقل الحمل بزيادة عند ما يكون باب الفرج قريبًا منهُ

(١) يوجد في حياة المسيحي ثلاثة ازمنة تستحق ان تُذكر. فالزمان الاول هو عند ما يشعر بالخطية ويجتهد ان يفرّ هاربًا من الغضب الآتي ويطلب يسوع مهتديًا بنور الانجيل المضيء. والثاني بعد ان يكون قد نالهُ ما نالهُ من الشكوك والاهوال فيُعطَى ان ينسب الى نفسهِ وعد الانجيل ويسلم ذاتهُ بيد يسوع فاديهِ. وهذا يشار اليهِ بدخولهِ في الباب الضيّق فانهُ في ذلك الحين يتبرَّر ويُقبَل بين اولاد الله غير انهُ لا يفتكر ان حملهُ قد سقط عنهُ بالتمام. والثالث عند ما يسقط حملهُ السقوط التام اذ يطّلع جيدًا على المسيح المصلوب وعلى عملهِ من اجلهِ ومحبتهِ لهُ كما ذُكِر هنا وتُدفَن خطاياهُ في قبر المسيح

خَدَّيْهِ (١) وَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ أَشْخَاصٍ مُتَلَأْلِئِينَ بِالضِّيَاءِ فَقَالُوا ٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَجُلَ ٱللهِ . وَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ (٢) وَٱلثَّانِي نَزَعَ عَنْهُ ثِيَابَهُ ٱلْبَالِيَةَ وَأَلْبَسَهُ حُلَّةً بَهِيَّةً (٣) وَٱلثَّالِثُ وَضَعَ عَلَامَةً عَلَى جَبْهَتِهِ (٤) وَأَعْطَاهُ صَحِيفَةً فِيهَا خَتْمٌ وَأَمَرَهُ أَنْ يَنْظُرَ فِيهَا وَهُوَ رَاكِضٌ إِلَى ٱلْبَابِ ٱلسَّمَاوِيِّ فَيُسَلِّمَهَا هُنَاكَ وَبَعْدَ ذٰلِكَ ٱنْصَرَفُوا فِي طَرِيقِهِمْ (٥) وَأَمَّا ٱلْمَسِيحِيُّ فَإِنَّهُ ٱبْتَهَجَ إِلَى ٱلْغَايَةِ وَٱنْطَلَقَ يَتَرَنَّمُ بِقَوْلِهِ

لَقَدْ أَتَيْتُ إِلَى هٰذَا ٱلْمَكَانِ وَقَدْ
حَمَلْتُ مَا هَالَنِي مِنْ ثِقْلِ أَوْزَارِي
وَلَمْ يَكُنْ قَطُّ لِي مِنْ شِدَّتِي فَرَجٌ
حَتَّى وَصَلْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ أَسْفَارِ

---

(١) زك ١٢ : ١٠ (٢) مر ٢ : ٥ (٣) زك ٣ : ٤ (٤) اف ١ : ١٣

(٥) يُشار هنا الى ثلاث بركات من ثمار الايمان وهي غفران الخطايا بموت المسيح والقبول لطاعته وتعزية الروح القدس المشار اليها بالعلامة التي على جبهة المسيحي والختم الذي في صحيفته. فاذا كنت ايها القارئ قد بلغت هذا الحدّ في سيرتك المغبوطة فاحتفظ دائمًا على ما في يديك من الشهادات بسعيٍ يطابق مشيئة الروح . واما اذا كنت لم تبلغ هذا الحد بل لم تزل باقيًا في حال البكاء والنوح من جرى خطاياك فواظب على ذلك ممارسًا الوسائط ولا تقف حتى تصل الى طريق الشعور بالنجاة واتخذ يسوع لك ربًّا ومخلصًا

فَيَا لَهُ مِنْ مَكَانٍ فِيهِ قَدْ وُجِدَتْ
سَعَادَتِي بِصَلِيبٍ فِيهِ قَهَّارِ
قَدْ حُطَّ حِمْلِي بِهِ عَنْ مَنْكِبِي وَهَوَى
فِي بَابِ قَبْرٍ بِأَرْضٍ ذَاتِ أَسْوَارِ
فَبُورِكَ ٱلْقَبْرُ مَعْ ذَاكَ ٱلصَّلِيبِ وَمَنْ
لِأَجْلِنَا بِهِمَا قَدْ بَاتَ فِي عَارِ

قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُ فِي ٱلْحُلْمِ أَنَّ ٱلْمَسِيحِيَّ ٱسْتَمَرَّ مُنْطَلِقًا عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى وَادٍ فَرَأَى بِقُرْبِ ٱلطَّرِيقِ ثَلَاثَةَ رِجَالٍ نِيَامًا مُقَيَّدِينَ فِي أَرْجُلِهِمْ يُقَالُ لِأَحَدِهِمِ ٱلْغَرَارَةُ وَلِلْآخَرِ ٱلْكَسَلُ وَلِلْآخَرِ ٱلْادِّعَاءُ[1] فَلَمَّا رَآهُمُ ٱلْمَسِيحِيُّ عَرَجَ إِلَيْهِمْ وَصَاحَ بِهِمْ قَائِلًا إِنَّكُمْ تُشْبِهُونَ ٱلَّذِينَ يَنَامُونَ فِي قَلْبِ ٱلْبَحْرِ وَكَمُدَبِّرٍ رَاقِدٍ إِذَا تَلَفَ ٱلسُّكَّانُ[2] لِأَنَّ بَحْرَ ٱلْمَوْتِ

---

(١) ان هذه الاخلاق توجد كثيراً حتى في الاماكن التي يُبشَّر فيها بالانجيل فان البعض يستمرُّون في حال الجهل العظيم. والبعض يستولي عليهم الكسل فيبطّل قوة البرهان القاطع. والبعض يصرُّون على عنادهم ولا يقبلون الوعظ. فالله يرسل لهم نوراً وهم يحجبونهُ بالظلام

(٢) ام ١٣: ٣٤ هو الذي تسميهِ العامة بالدقّة

تَحْتَكُمْ عَمِيقٌ لَا قَرَارَ لَهُ فَاسْتَيْقِظُوا وَاهْرُبُوا وَوَافِقُونِي حَتَّى أُسَاعِدَكُمْ عَلَى فَكِّ أَغْلَالِكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِذَا مَرَّ بِكُمْ مَنْ يَتَمَشَّى وَيَزْأَرُ كَالْأَسَدِ (١) تَكُونُونَ فَرِيسَةً لِأَنْيَابِهِ. فَتَفَرَّسُوا فِيهِ وَقَالَ لَهُ الْغَرَارَةُ إِنِّي لَا أَرَى خَطَرًا كَمَا تَزْعَمُ وَقَالَ الْكَسَلُ إِذَنْ أَنَامَ أَكْثَرَ. وَقَالَ الْادِّعَاءُ كُلُّ إِنْسَانٍ أَوْلَى بِتَدْبِيرِ نَفْسِهِ. ثُمَّ عَادُوا فَاضْجَعُوا أَيْضًا وَمَضَى الْمَسِيحِيُّ فِي طَرِيقِهِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مُنْزَعِجَ الْقَلْبِ لِأَنَّ أُنَاسًا مِثْلَ هَؤُلَاءِ فِي خَطَرٍ مِثْلِ هٰذَا لَا يَشْكُرُونَ صَنِيعَةَ مَنْ يَتَقَدَّمُ لِمُسَاعَدَتِهِمْ مَجَّانًا وَلَا يَنْتَبِهُونَ لِأَنْفُسِهِمْ بِإِيقَاظِهِ وَنُصْحِهِ. وَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذْ رَأَى رَجُلَيْنِ مُقْبِلَيْنِ يَتَوَاثَبَانِ عَلَى الْحَائِطِ الشَّمَالِيِّ مِنَ الطَّرِيقِ الضَّيِّقَةِ إِلَى نَحْوِهِ وَكَانَ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْفَرَضِيُّ وَلِلْآخَرِ الْمُرَائِي (٢). وَلَمَّا قَرُبَا مِنْهُ قَالَ حَيَّاكُمَا

---

(١) ١ بط ٥: ٨

(٢) ان الفرضي والمرائي احدهما نسيب للآخر. فالاول كناية عمّن يخدعون انفسهم بالعبادات الخارجية والثاني عن الذين يحاولون ان يخدعوا الآخرين وكلاهما تحركهما الى ذلك محبة المجد الباطل فيطلبان مديح الناس لهما باظهار الغيرة الشديدة في الديانة ولا يخلو هذا الصيت المكتسب على هذه الحال من منفعةٍ دنيوية لهما . ولكن اذا كانت التوبة وحياة الايمان فضلاً عمّا تقتضيانه من الجهاد الشديد تلاشيان نفس المبدإ المحرك لهما في هذه الاعمال فحين يصيران

ٱللهُ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبَانِ. فَقَالَا إِنَّنَا قَدْ وُلِدْنَا فِي مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ ٱلْمَجْدُ ٱلْبَاطِلُ وَٱلْآنَ نَحْنُ مُنْطَلِقَانِ إِلَى جَبَلِ صِهْيُونَ لِنَنَالَ ٱلثَّنَاءَ ٱلْجَمِيلَ. قَالَ وَلِمَاذَا لَمْ تَدْخُلَا مِنَ ٱلْبَابِ ٱلَّذِي فِي أَوَّلِ هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ أَمَا تَعْلَمَانِ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ ٱلَّذِي لَا يَدْخُلُ مِنَ ٱلْبَابِ إِلَى حَظِيرَةِ ٱلْخِرَافِ بَلْ يَصْعَدُ مِنْ مَوْضِعٍ آخَرَ فَذَاكَ سَارِقٌ وَلِصٌّ (١). فَقَالَا لَهُ إِنَّ كُلَّ أَهْلِ بَلَدِنَا قَدِ ٱسْتَبْعَدُوا ٱلطَّرِيقَ إِلَى ٱلْبَابِ فَٱسْتَحْسَنُوا أَنْ يَعْتَسِفُوا وَيَتَسَوَّرُوا ٱلْحَائِطَ كَمَا فَعَلْنَا. قَالَ أَمَا يُحْسَبُ مَعْصِيَةً لِرَبِّ ٱلْمَدِينَةِ ٱلَّتِي نَحْنُ ذَاهِبُونَ إِلَيْهَا أَنْ نُخَالِفَ مَشِيئَتَهُ ٱلْمَرْسُومَةَ. فَقَالَا لَا نَقْلَقْ لِذٰلِكَ لِأَنَّ هٰذَا قَدْ تَعَوَّدْنَاهُ مِنْ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ سَنَةٍ. قَالَ إِذَا سَلَّمْنَا بِهٰذِهِ ٱلْعَادَةِ ٱلْقَدِيمَةِ فَهَلْ تُثْبِتُ شَرْعًا. فَقَالَا نَعَمْ إِنَّ ٱلْعَادَةَ إِذَا مَرَّ عَلَيْهَا هٰذَا ٱلزَّمَانُ قُبِلَتْ عِنْدَ كُلِّ قَاضٍ كَبَعْضِ ٱلْأُصُولِ ٱلشَّرْعِيَّةِ وَفَضْلًا عَنْ ذٰلِكَ إِنَّنَا قَدِ ٱمْتَلَكْنَا ٱلطَّرِيقَ وُثُوبًا عَلَى

بقطعهما مسافة يسيرة من الطريق جزءا من الكنيسة المنظورة يكتفيان برسم التقوى. ولما كان ضعف ثقتهما لا يطيق النظر الى نور الكتب الالهية كانا يضربان صفحًا عن الفحص ويهزآن بمن يريد ايقاظهما من غفلتهما وتحذيرهما من ضلالها المهلك او يريد ان يريهما حقيقة الديانة الانجيلية

(١) يو ١٠: ١

ٱلْحَائِطَ كَمَا ٱمْتَلَكْتَهَا أَنْتَ دُخُولاً مِنَ ٱلْبَابِ فَبِمَاذَا تَكُونُ أَحْسَنَ مِنَّا حَالاً (١) قَالَ أَنَا أَسْلُكُ بِحَسَبِ أَمْرِ سَيِّدِي وَأَمَّا أَنْتُمَا فَتَسْلُكَانِ بِحَسَبِ أَوْهَامِكُمَا ٱلْمُنْحَرِفَةِ وَقَدْ دَعَاكُمَا رَبُّ ٱلطَّرِيقِ لُصُوصًا وَلِذٰلِكَ أَخْشَى أَنْ لَا يَكُونَ لَكُمَا أَمَانٌ فِي أَوَاخِرِ ٱلطَّرِيقِ فَتُخْرَجَا مِنْ دُونِ رَحْمَتِهِ كَمَا دَخَلْتُمَا مِنْ دُونِ إِرْشَادِهِ فَضَرَبَا صَفْحًا عَنْ إِطَالَةِ ٱلْجَوَابِ وَقَالَا لَهُ كُلٌّ مِنَّا يَهْتَمُّ بِأَمْرِ نَفْسِهِ . قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُ كُلَّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ مَضَى فِي طَرِيقِهِ وَٱنْقَطَعَ ٱلْكَلَامُ بَيْنَهُمْ إِلَّا أَنَّ ٱلرَّجُلَيْنِ قَالَا لِلْمَسِيحِيِّ أَمَّا ٱلسُّنَنُ وَٱلْفَرَائِضُ فَلَا شَكَّ فِي أَنَّا نَحْفَظُهَا كَمَا تَحْفَظُهَا أَنْتَ وَمِنْ ثَمَّ لَا نَرَى أَنَّكَ تَمْتَازُ عَنَّا إِلَّا بِٱلرِّدَاءِ ٱلَّذِي عَلَيْكَ ٱلْمُعْطَى لَكَ مِنْ بَعْضِ جِيرَانِكَ لِتَسْتُرَ بِهِ عُرْيَكَ (٢) فَقَالَ إِنَّكُمَا لَا تَخْلُصَانِ بِٱلسُّنَنِ وَٱلْفَرَائِضِ لِأَنَّكُمَا

---

(١) ان الفرضيين والمرائين اذ يسلكون طريق العبادة الخارجية يظنون انفسهم في امانٍ لانهم يتفقون الى هذا الحد مع المؤمنين . ولا يخفى انهم يخلفون عنهم كما يخلف الاعمى عن البصير . لان الذين يدخلون من الباب وحدهم يقدرون ان يعاينوا نور الانجيل

(٢) ان رداء بر المسيح اللازم لكل مؤمن تسخر بهِ الفرضيون الذين لا يرون عريهم وافتقارهم الى ما يستترهم ويزدرون بهِ خلافًا للمتواضعين فانهم يرون شدة افتقارهم اليهِ ويشكرون المسيح من اجلهِ . ولما كان الفرضيون

لَمْ تَدْخُلَا مِنَ ٱلْبَابِ (١) وَأَمَّا ٱلرِّدَاءُ ٱلَّذِي عَلَيَّ فَقَدْ أَعْطَانِي إِيَّاهُ رَبُّ ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي أَنَا مَاضٍ إِلَيْهِ لِأَسْتَتِرَ بِهِ كَمَا تَقُولَانِ وَأَنَا أَحْسَبُهُ عَلَامَةَ ٱلرِّضَا عَنِّي وَعُنْوَانَ ٱلْإِحْسَانِ إِلَيَّ لِأَنَّنِي لَمْ أَكُنْ أَمْلِكُ قَبْلَ ذٰلِكَ سِوَى أَخْلَاقِ ثِيَابٍ بَالِيَةٍ وَفَضْلًا عَنْ ذٰلِكَ إِنَّنِي أُهَنِّئُ بِهِ نَفْسِي وَأَنَا مُنْطَلِقٌ أَمَلًا أَنَّنِي إِذَا وَصَلْتُ إِلَى بَابِ ٱلْمَدِينَةِ يَتَلَقَّانِي رَبُّ ٱلْمَكَانِ بِٱلْقَبُولِ لِأَنَّ هٰذَا ٱلرِّدَاءَ عَلَيَّ وَهُوَ أَعْطَانِي إِيَّاهُ مَجَّانًا لَمَّا نَزَعَ عَنِّي تِلْكَ ٱلثِّيَابَ ٱلرَّثَّاثَ وَإِنَّ فِي جَبِينِي سِمَةً لَعَلَّكُمَا لَمْ تَرَيَاهَا قَدْ رَسَمَهَا لِي بَعْضُ أَصْحَابِهِ ٱلْمُقَرَّبِينَ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي سَقَطَ فِيهِ حِمْلِي عَنْ مَنْكِبَيَّ . وَقَدْ أَعْطَانِي صَحِيفَةً مَخْتُومَةً أُعَلِّلُ نَفْسِي بِقِرَاءَتِهَا فِي سَفَرِي حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ ٱلْبَابَ ٱلسَّمَاوِيَّ أُقَدِّمُهَا هُنَاكَ عُنْوَانًا يُؤْذَنُ بِهِ لِي فِي ٱلدُّخُولِ . وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ ذٰلِكَ لَيْسَ عِنْدَكُمَا لِأَنَّكُمَا لَمْ تَدْخُلَا مِنَ ٱلْبَابِ . فَأَعْرَضَ ٱلرَّجُلَانِ عَنْ جَوَابِهِ وَٱلْتَفَتَ كُلٌّ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ

وانسباؤهم المراؤون لا يعرفون طبيعتهم الساقطة حق المعرفة كانوا لا يرون شدّة التزام الولادة ثانية والاحتياج الى برّ الفادي الكريم وقوة الروح المترادفة لاجل التقديس والتعزية . ولذلك يضحكون على المسيحي بالحق ويحسبون ما هو عليه من الجهاد بمنزلة الوسواس والجنون

(١) غل ٢ : ١٦

يتضاحكان من كلامه

قال ورأيتهم بعد ذلك يسيرون والمسيحي قد صرف وجهه عن خطابهم وسبقهم وهو يناجي نفسه ويقرأ في تلك الصحيفة فيجد راحة وما زالوا يتقدمون حتى وصلوا إلى ذيل جبل يقال له الصعوبة وكان هناك ينبوع ماء[1] وطريقان تأخذان إلى اليمين وإلى الشمال عن طريق الباب فهذه تصعد الجبل والأخريان تقطعانه عرضًا. فمضى المسيحي إلى الينبوع وشرب منه ليستريح[2] ثم أخذ يصعد في الجبل وقال

يا جبلًا كالملك المتوج
إني وإن كنت رفيع الدرج
أهوى الصعود فيك كالصب الشجي
ولا أبالي بالعناء المزعج

---

(١) اش ٤٩: ١٠

(٢) ان الله يمنح غالبًا الذين يدعوهم لاحتمال المشقات والكدّ في العمل حسب احتياجهم من امداد روحه ونعمته الفائقة. فان المسيحي قبل شروعه في الصعود على جبل الصعوبة شرب من ينبوع التعزية الالهية لاجل الراحة مما اصابه من التعب

لِتُقْنِعِي أَنَّ طَرِيقَ ٱلْفَرَجِ
مِنْكَ فَيَا قَلْبِي ٱجْتَرِئْ وَٱبْتَهِجِ
إِنَّ ٱلسُّلُوكَ فِي قَوِيمِ ٱلْمَنْهَجِ
وَإِنْ يَكُنْ مِنْ عُسْرِهِ فِي حَرَجِ
أَحْسَنُ حَالًا مِنْ سُلُوكِ ٱلْأَعْوَجِ
وَإِنْ يَكُنْ سَهْلًا فَلَا تُعَرِّجِ

وَأَمَّا ٱلرَّجُلَانِ فَلَمَّا قَدِمَا وَنَظَرَا ٱلطَّرِيقَ ٱلْوُسْطَى ضَيِّقَةً شَاقَّةً أَخَذَا فِي ٱلطَّرِيقَيْنِ ٱلْأُخْرَيَيْنِ يَزْعَمَانِ أَنَّهُمَا يَتَلَاقَيَانِ بِهِمَا فِي مَا يَلِي ٱلْجَبَلَ. وَرَكِبَ أَحَدُهُمَا ٱلطَّرِيقَ ٱلْوَاحِدَةَ وَكَانَ يُقَالُ لَهَا طَرِيقُ ٱلْخَطَرِ وَٱلْآخَرُ ٱلثَّانِيَةَ وَكَانَ يُقَالُ لَهَا طَرِيقُ ٱلْهَلَاكِ فَأَوْصَلَتِ ٱلْأُولَى رَاكِبَهَا إِلَى غَابَةٍ عَظِيمَةٍ قَدِ ٱشْتَبَكَتْ أَدْغَالُهَا فَأَشْكَلَ عَلَيْهِ ٱلْخُرُوجُ مِنْهَا. وَسَاقَتِ ٱلْأُخْرَى صَاحِبَهَا إِلَى مَفَازَةٍ وَاسِعَةٍ قَدْ تَرَاكَمَتْ فِيهَا ٱلْجِبَالُ فَعَثَرَ فِيهَا وَسَقَطَ حَتَّى عَجَزَ عَنِ ٱلنُّهُوضِ (١)

(١) ان الفرضيين والمرائين بما انهم يأتون طريق العبادة بسهولةٍ من دون اطلاعٍ على خطاياهم يجعلهم يهربون عن الباب الضيق الذي هو المسيح فلذلك يختارون الطريق الاسهل للحم والدم غير انها تؤديهم الى الهلاك

قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُ ٱلْمَسِيحِيَّ صَاعِدًا فِي ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ وَهُوَ قَدْ أَقْصَرَ عَنْ رَكْضِهِ وَصَارَ يَمْشِي رُوَيْدًا رُوَيْدًا. ثُمَّ جَعَلَ يَدِبُّ عَلَى يَدَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ لِعُسْرِ تِلْكَ ٱلْمَطَالِعِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى شَجَرَةٍ غَضَّةٍ قَدْ غَرَسَهَا صَاحِبُ ٱلْجَبَلِ فِي أَوْسَاطِ ٱلطَّرِيقِ لِيَسْتَرِيحَ تَحْتَهَا ٱلْمُسَافِرُونَ مِنْ جَهْدِ ٱلْكَلَالِ. فَٱتَّكَأَ تَحْتَهَا وَأَخْرَجَ تِلْكَ ٱلصَّحِيفَةَ مِنْ جَيْبِهِ وَجَعَلَ يَتَصَفَّحُهَا وَيَأْنَسُ بِهَا وَيَتَأَمَّلُ ٱلثَّوْبَ ٱلَّذِي خُلِعَ عَلَيْهِ فَٱزْدَهَتْهُ حَلَاوَةُ ٱلظَّفَرِ وَلَعِبَ ٱلنُّعَاسُ بِعَيْنَيْهِ فَنَامَ وَٱسْتَغْرَقَ فِي نَوْمِهِ إِلَى ٱلْمَسَاءِ وَسَقَطَتِ ٱلصَّحِيفَةُ مِنْ يَدِهِ. وَإِذَا بِرَجُلٍ قَدْ وَقَفَ عَلَى رَأْسِهِ وَأَيْقَظَهُ قَائِلًا أَيُّهَا ٱلْكَسْلَانُ ٱلْعَاجِزُ ٱذْهَبْ إِلَى ٱلنَّمْلَةِ وَتَأَمَّلْ طُرُقَهَا وَتَعَلَّمِ ٱلْحِكْمَةَ (١) فَنَهَضَ ٱلْمَسِيحِيُّ مِنْ سَاعَتِهِ وَأَخَذَ فِي طَرِيقِهِ مُسْرِعًا حَتَّى وَصَلَ إِلَى قِمَّةِ ٱلْجَبَلِ (٢)

---

(١) ام ٦:٦

(٢) ان المسيحي في صعودهِ في الجبل شعر باشتراكهِ في فوائد موت المسيح وبرهِ المشار اليهما بالصحيفة التي في جيبهِ والرداء الذي أُلقي عليهِ وهو بجانب الصليب. ولكن واأسفاه كيف انهُ عرض لهُ ما يعرض لبقية السائحين نظيرهِ. فانهم عوض ان يعبدوا المعطي بشكر وتواضع يكتفون بالعطية ويقعون في العجب والافتخار. وينسون ان تلك النعم من الله فينسبونها الى انفسهم كأنها لهم ومنهم. ولهذا يثقون بذواتهم ويتغاضون عن المنعم فيضيعون وثيقتهم التي هي

فَٱسْتَقْبَلَهُ رَجُلَانِ يَرْكُضَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا ٱلْخَوْفُ وَلِلْآخَرِ ٱلشَّكُّ. فَقَالَ لَهُمَا مَا بَالُكُمَا رَاجِعَيْنِ رَكْضًا. فَقَالَ ٱلْخَوْفُ إِنَّنَا كُنَّا مُنْطَلِقَيْنِ إِلَى مَدِينَةِ صِهْيَوْنَ وَكُنَّا قَدْ صَعِدْنَا فِي ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ ٱلْعَسِرِ فَرَأَيْنَا أَنَّنَا كُلَّمَا تَقَدَّمْنَا نَجِدُ مَا هُوَ أَعْظَمُ خَطَرًا فَرَجَعْنَا نُرِيدُ أَوْطَانَنَا. وَقَالَ ٱلشَّكُّ إِنَّ فِي طَرِيقِنَا أَسَدَيْنِ يَكْمُنَانِ لِمَنْ يَمُرُّ بِهِمَا فَمَا نَدْرِي هَلْ نُصَادِفُهُمَا غَافِلَيْنِ فَنَنْجُوَ أَمْ مُنْتَبِهَيْنِ فَنَكُونَ فَرِيسَةً لَهُمَا[1] فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ قَدْ أَحَاطَتِ ٱلْمَخَاوِفُ بِي فَتُرَى إِلَى أَيْنَ أَهْرُبُ لِأَخْلُصَ غَيْرَ أَنِّي إِنْ رَجَعْتُ إِلَى بَلَدِي هَلَكْتُ لَا مَحَالَةَ لِأَنَّهَا مُعَدَّةٌ لِلنَّارِ وَٱلْكِبْرِيتِ. وَأَمَّا إِنْ تَقَدَّمْتُ فَبَيْنَ يَدَيَّ خَوْفُ ٱلْمَوْتِ وَرَجَاءُ حَيَاةِ ٱلْأَبَدِ بَعْدَهُ. وَعَلَى هٰذَا فَٱلْأَوْلَى ٱلتَّقَدُّمُ وَلَوْ عَلَى خَطَرٍ[2] فَٱنْحَدَرَ صَاحِبَاهُ مِنَ ٱلْجَبَلِ وَأَمَّا

عنوانٌ لقبولهم في السماء. واما الرب فانهُ يحب شعبهُ بهذا المقدار حتى انهُ لا يدعهم ينامون نوم الموت ولو احتملهم ان يناموا ويضيّعوا ما هو سبب تعزيتهم ولا شك ان ذلك يحزنهم جدًّا ويوقعهم في الكآبة والندم

(١) ان الخوف والشك عدوّان شديدان للايمان المسيحي يأتيان باخبار السوء عن طريقهِ. فلا تُصغِ اليهما بل انظر الى حق الله وصدقهِ وثق بمواعيدهِ الصادقة واشدد حتويك بانجيل السلام. واذا اتبعت طريق الصلاح فمن يقدر ان يضرّك (٢) المسيحي ينفض عن ضميرهِ غبار الخوف ببراهين

هُوَ فَأَخَذَ فِي طَرِيقِهِ وَبَيْنَمَا هُوَ يَرْكُضُ تَرَدَّدَ فِي قَلْبِهِ كَلَامُ الشَّكِّ فَالْتَمَسَ الصَّحِيفَةَ لِيَتَعَزَّى بِهَا فَلَمْ يَجِدْهَا. فَخَامَرَهُ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَلَمْ يَعْلَمْ مَاذَا يَعْمَلُ لِأَنَّهُ أَضَاعَ مَا يَكُونُ لَهُ أُنْسًا فِي وَحْشَتِهِ وَوَسِيلَةً لِلدُّخُولِ إِلَى الْمَدِينَةِ السَّمَاوِيَّةِ فَجَزِعَ جَزَعًا شَدِيدًا وَارْتَبَكَ فِي أَمْرِهِ (١) ثُمَّ عَرَضَ لَهُ أَنَّهُ قَدْ نَامَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَلَعَلَّهَا ضَاعَتْ هُنَاكَ وَمِنْ ثَمَّ خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَاسْتَغْفَرَ اللهَ مِنْ غَفْلَتِهِ وَرَجَعَ عَلَى أَعْقَابِهِ يَطْلُبُهَا وَهُوَ مُنْكَسِرُ الْقَلْبِ يَتَنَهَّدُ طَوْرًا وَيَبْكِي تَارَةً وَيُوَبِّخُ نَفْسَهُ أُخْرَى عَلَى نَوْمِهِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي جُعِلَ لِأَخْذِ شَيْءٍ مِنَ الرَّاحَةِ. وَمَا زَالَ يَرْكُضُ وَهُوَ يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا وَيَتَفَقَّدُ مَا يَمُرُّ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ لَعَلَّهُ يَجِدُهَا حَتَّى أَقْبَلَ عَلَى الشَّجَرَةِ فَزَادَتْهُ رُؤْيَتُهَا حُزْنًا لِأَنَّهَا ذَكَّرَتْهُ رُقَادَهُ الْمَلُومَ (٢) وَاشْتَدَّ فِي

الكتب الالهية اي براهين الايمان المضادَّة خوف الحسد والشك. فمتى شملتك الاهوال واصابتك البلايا فاذكر من هو الذي تخدمهُ وانظر الطريق التي تسلكها وافتكر في عاقبة ايمانك التي هي خلاص نفسك وادرس كلام الله واخضع لهُ

(١) اضطرب هذا الرجل لانهُ ضيَّع صحيفتهُ. ونحن ايضًا اذا كنا لا نحزن على ما يضيع منا من الذخائر الروحية ولا نبالي بهِ نكون في حال يرثى لها من الطمأنينة الفارغة والاتكال الباطل

(٢) رو ١٣: ٤ و ٥ و اتس ٥: ٧ و ٨

رَكْضِهِ وَهُوَ يَنْدُبُ تِلْكَ الرَّقْدَةَ الذَّمِيمَةَ وَيَقُولُ الْوَيْلُ لِي أَنَا الشَّقِيُّ الَّذِي نِمْتُ نَهَارًا فِي وَسَطِ الْمَصَاعِبِ وَتَمَتَّعْتُ بِتِلْكَ الرَّاحَةِ الَّتِي أَعْقَبَتْنِي هٰذِهِ الْمَتَاعِبَ فَأَصَابَنِي كَمَا أَصَابَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ ارْتَدُّوا لِأَجْلِ خَطِيئَتِهِمْ إِلَى طَرِيقِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ. أَوَّاهُ إِنَّنِي أَمْشِي هٰذِهِ الْخُطَوَاتِ بِالْحُزْنِ وَالْأَسَفِ عَبَثًا مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ وَلَوْلَا تِلْكَ الرَّقْدَةُ لَكُنْتُ أَسْلُكُهَا الْآنَ بِالْفَرَحِ وَالِابْتِهَاجِ مُتَقَدِّمًا فِي طَرِيقِي إِلَى الْمَدِينَةِ. وَقَدْ صَارَ يَلْزَمُنِي قَطْعُ هٰذِهِ الْمَسَافَةِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَلَمْ أَكُنْ مُحْتَاجًا إِلَى قَطْعِهَا سِوَى مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ. وَالْآنَ قَدْ أَقْبَلَ الْمَسَاءُ وَوَلَّى النَّهَارُ فَيَا لَيْتَنِي صَبَرْتُ عَنْ تِلْكَ الرَّقْدَةِ وَلَا صَبَرْتُ عَلَى شَدَائِدِهَا. وَفِي أَثْنَاءِ ذٰلِكَ وَصَلَ إِلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَدَارَ نَظَرَهُ تَحْتَهَا وَإِذَا بِالصَّحِيفَةِ فَتَنَاوَلَهَا وَهُوَ لَا يُصَدِّقُ أَنْ يَرَاهَا وَأَحْرَزَهَا فِي جَيْبِهِ وَقَدْ كَادَ فُؤَادُهُ يَطِيرُ سُرُورًا وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ يَشْكُرُ اللهَ الَّذِي أَعَادَ إِلَيْهِ مِيثَاقَ حَيَاتِهِ وَآيَةَ قَبُولِهِ فِي الْمَدِينَةِ السَّمَاوِيَّةِ[1] وَانْثَنَى مِنْ هُنَاكَ فِي طَرِيقِهِ بِقَلْبٍ تَتَجَاذَبُهُ مَرَارَةُ الْأَسَفِ وَحَلَاوَةُ الظَّفَرِ وَانْطَلَقَ فِي ذٰلِكَ

(١) يشير ذلك الى الشعور حديثاً بمحبة الله وقوته والفرح بالروح القدس بناء على الايمان بيسوع المسيح

ٱلْجَبَلَ مُسْرِعًا يُرِيدُ أَنْ يَجْبُرَ مَا فَاتَهُ مِنَ ٱلتَّقَدُّمِ فِي ٱلطَّرِيقِ. إِلَّا أَنَّهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى سَفْحِ ٱلْجَبَلِ أَدْرَكَهُ ٱللَّيْلُ فَسَاءَهُ ذٰلِكَ وَذَكَّرَ تَعْطِيلَ ذَاكَ ٱلرُّقَادِ فَأَخَذَ يُوَبِّخُ نَفْسَهُ قَائِلًا ٱلْوَيْلُ لِي أَنَا ٱلْخَاطِئُ ٱلنَّوَّامُ ٱلَّذِي أَضَاعَ فُرْصَةَ سَيْرِ ٱلنَّهَارِ بِكَسَلِهِ وَنَوْمِهِ وَٱلْآنَ عَمَّا قَلِيلٍ سَيَغْشَانِي ٱلظَّلَامُ وَأَسْمَعُ هَمَاهِمَ ٱلْوُحُوشِ ٱلْمُخِيفَةِ. وَذَكَرَ أَيْضًا قِصَّةَ ٱلْخَوْفِ وَٱلشَّكِّ بِنْ أَمْرِ ٱلْأُسُودِ ٱلْكَامِنَةِ فِي ٱلطَّرِيقِ فَخَفَقَ فُؤَادُهُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ إِنَّ هٰذِهِ ٱلْوُحُوشَ تَرْصُدُ فَرَائِصَهَا لَيْلًا وَإِذَا صَادَفَتْنِي فَكَيْفَ أَنْجُو مِنْهَا وَإِلَى أَيْنَ أَهْرُبُ. وَٱسْتَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالِ إِلَى حِينٍ فَحَانَتْ مِنْهُ ٱلْتِفَاتَةٌ وَإِذَا قَصْرٌ عَظِيمٌ يُقَالُ لَهُ قَصْرُ ٱلظَّرَافَةِ بِجَانِبِ ٱلطَّرِيقِ (١)

قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُ فِي ٱلْحُلْمِ أَنَّ ٱلْمَسِيحِيَّ قَدْ أَسْرَعَ فِي مَشْيِهِ وَتَقَدَّمَ يَطْلُبُ ذٰلِكَ ٱلْقَصْرَ لَعَلَّهُمْ يُضِيفُونَهُ هُنَاكَ. وَلَمَّا كَانَ عَلَى مَسَافَةِ مِيلٍ مِنَ ٱلْقَصْرِ دَخَلَ فِي مَضِيقٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ وَكَانَ

---

(١) اتس ٥: ٧ و ٨ وروء ٣: ٢ ذلك رمز عن كنيسة المسيح على الارض التي حصل المسيحي على فرصة الدخول اليها وعلى بركة شركة القديسين وتعزياتهم الروحية

ٱلظَّلَامُ قَدْ خَيَّمَ عَلَيْهِ فَجَعَلَ يُحَدِّقُ بِنَظَرِهِ فِي ذٰلِكَ ٱلْمَضِيقِ وَهُوَ يَمْشِي فَرَأَى أَسَدَيْنِ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَٱرْتَاعَ وَقَالَ هَا قَدْ وَقَعْتُ فِي مَا فَرَّ عَنْهُ ٱلْخَوْفُ وَٱلشَّكُّ رَاجِعَيْنِ. وَكَانَ ذَانِكَ ٱلْأَسَدَانِ مُقَيَّدَيْنِ بِسَلَاسِلَ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا. وَلِذٰلِكَ غَلَبَ عَلَيْهِ ٱلْخَوْفُ وَهَمَّ بِٱلرُّجُوعِ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَصَوَّرْ قُدَّامَهُ سِوَى ٱلْمَوْتِ. وَكَانَ لِذٰلِكَ ٱلْقَصْرِ بَوَّابٌ يُقَالُ لَهُ ٱلْيَقْظَانُ. وَهُوَ قَدْ أَشْرَفَ عَلَى ٱلطَّرِيقِ فَرَأَى ٱلْمَسِيحِيَّ قَدْ مَالَ كَأَنَّهُ يُرِيدُ ٱلرُّجُوعَ. فَنَادَاهُ قَائِلًا يَا صَاحِ هَلْ قُوَّتُكَ ضَعِيفَةٌ هٰكَذَا (١) لَا تَخَفْ مِنَ ٱلْأَسَدَيْنِ فَإِنَّهُمَا مُقَيَّدَانِ وَقَدْ أُقِيمَا هُنَا لِأَجْلِ ٱمْتِحَانِ إِيمَانِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِظْهَارِ ٱلَّذِينَ لَا إِيمَانَ لَهُمْ. فَٱسْلُكْ فِي وَسَطِ ٱلطَّرِيقِ تَأْمَنْ كُلَّ ضَرَرٍ (٢) قَالَ فَٱثْنَى ٱلْمَسِيحِيُّ وَٱقْتَحَمَ ٱلطَّرِيقَ مُرْتَعِدًا خَوْفًا مِنْهُمَا وَكَانَا يُزْمِجِرَانِ عَلَيْهِ وَيَزْأَرَانِ لٰكِنَّهُمَا لَا يَتَعَرَّضَانِ لَهُ بِسُوءٍ. وَلَمَّا تَجَاوَزَهُمَا صَفَّقَ بِيَدَيْهِ فَرَحًا وَأَقْبَلَ حَتَّى صَارَ لَدَى بَابِ

---

(١) مر ٤: ٤٠ (٢) ان هذين الاسدين كناية عن تعرُّض الشيطان والعالم لنا في طريق الخلاص. غير انهما معتقلان لا يقدران على مضرَّتنا بدون سماح الله. واما نحن فقد تغلب علينا المخافة العالمية متى رأينا الاسود وتذهلنا عن نظر الاغلال التي في ارجلها

ٱلْقَصْرِ وَكَانَ ٱلْبَوَّابُ جَالِسًا هُنَاكَ . فَحَيَّاهُ وَقَالَ يَا مَوْلَايَ مَا هٰذَا ٱلْقَصْرُ وَهَلْ يُؤْذَنُ لِي فِي ٱلْمَبِيتِ فِيهِ هٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ . فَقَالَ إِنَّ صَاحِبَ هٰذَا ٱلْجَبَلِ قَدْ بَنَاهُ لِأَجْلِ رَاحَةِ ٱلسَّائِحِينَ وَطُمَأْنِينَتِهِمْ . فَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ . قَالَ إِنِّي قَدْ أَتَيْتُ مِنْ مَدِينَةِ ٱلْهَلَاكِ وَأُرِيدُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ . قَالَ فَمَا ٱسْمُكَ يَا أَخِي . قَالَ ٱسْمِي ٱلْآنَ ٱلْمَسِيحِيُّ وَأَمَّا قَبْلًا فَكَانَ ٱسْمِي عَدِيمَ ٱلنِّعْمَةِ . قَالَ وَمَا عَاقَكَ فِي ٱلطَّرِيقِ حَتَّى تَأَخَّرْتَ إِلَى ٱللَّيْلِ . فَقَالَ نِمْتُ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلْمَغْرُوسَةِ فِي وَسَطِ ٱلْجَبَلِ . وَفَوْقَ ذٰلِكَ ضَيَّعْتُ هُنَاكَ صَحِيفَةً كَانَتْ مَعِي فَرَجَعْتُ أُفَتِّشُ عَنْهَا بَعْدَ أَنْ كُنْتُ بَعُدْتُ عَنِ ٱلشَّجَرَةِ وَلَوْلَا ذٰلِكَ لَوَصَلْتُ إِلَى هُنَا قَبْلَ ٱلْمَسَاءِ[1] قَالَ أَحْسَنْتَ وَأَنَا أَدْعُو إِحْدَى ٱلْعَذَارَى ٱلسَّاكِنَاتِ فِي هٰذَا ٱلْقَصْرِ فَإِنْ لَذَّ لَهَا خِطَابُكَ تُحْضِرْكَ بَاقِيَ ٱلْعَشِيرَةِ حَسَبَ ٱلْعَادَةِ ٱلْجَارِيَةِ فِي هٰذَا ٱلْبَيْتِ[2] . وَقَرَعَ ٱلْحَاجِبُ

---

(١) ان السائح في كل عارض يشكو نومهُ الذميم وينوح باكيًا على توانيهِ . وهكذا يجب على كل مسيحيّ بالحق ان يتذكّر دائمًا كثرة خطاياهُ وسوء ابتعادهِ عن خالقهِ ولا يغفر لنفسهِ ولو كان الله من جودتهِ الفائقة قد غفر لهُ وقبلهُ في عدد بنيهِ

(٢) لا يجوز ان يُقبَل في كنيسة المسيح الاَّ من ظهر

ٱلْبَابَ فَخَرَجَتْ فَتَاةٌ كَرِيمَةٌ بَارِعَةُ ٱلْجَمَالِ يُقَالُ لَهَا ٱلْحِكْمَةُ وَقَالَتْ مَاذَا تُرِيدُ قَالَ إِنَّ هٰذَا ٱلرَّجُلَ مُسَافِرٌ مِنْ مَدِينَةِ ٱلْهَلَاكِ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ وَقَدْ أَمْسَى وَسَأَلَنِي ٱلْمَبِيتَ هٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ هُنَا فَقُلْتُ لَهُ إِنِّي أَدْعُوكَ إِلَيْهِ لِتَسْمَعِي كَلَامَهُ فَإِنْ أَذِنْتِ لَهُ وَإِلَّا صَرَفْنَاهُ فَقَالَتْ لِلْمَسِيحِيِّ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا هٰذَا وَإِلَى أَيْنَ تَمْضِي. فَأَخْبَرَهَا بِكُلِّ حَدِيثِهِ وَعَرَّفَهَا بِٱسْمِهِ وَقَالَ يَا مَوْلَاتِي إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَقْضِيَ هٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ هُنَا لِأَنِّي أَرَى صَاحِبَ هٰذَا ٱلْجَبَلِ قَدْ بَنَى هٰذَا ٱلْقَصْرَ لِأَجْلِ رَاحَةِ ٱلسَّائِحِينَ وَأَمَانِهِمْ. فَٱبْتَسَمَتْ وَجَالَتْ فِي عَيْنَيْهَا دَمْعَةُ ٱلسُّرُورِ وَقَالَتْ لَهُ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَدْعُوَ إِلَيْكَ بَعْضَ ٱلْعَشِيرَةِ لِيَقِفَ مَعِي عَلَى حَدِيثِكَ. وَقَامَتْ حَالًا إِلَى ٱلْبَابِ وَدَعَتِ ٱلْفِطْنَةَ وَٱلتُّقَوَى وَٱلْمَحَبَّةَ فَخَرَجْنَ إِلَيْهِ وَتَكَلَّمْنَ مَعَهُ بُرْهَةً ثُمَّ قَبِلْنَهُ بَيْنَ ٱلْجَمَاعَةِ[1] وَٱلْتَقَاهُ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْعَشِيرَةِ إِلَى ٱلْبَابِ وَقَالُوا لَهُ ٱدْخُلْ يَا مُبَارَكَ ٱللهِ. فَإِنَّ وَالِيَ هٰذَا ٱلْجَبَلِ قَدْ بَنَى هٰذَا المكانَ لِقَبُولِ مِثْلِكَ مِنَ ٱلسَّائِحِينَ

انهُ من اولاد الله بالايمان بالمسيح وكان سائحًا حقيقيًّا في طريق المدينة السماوية

(١) الفطنة والتقوى والمحبة صفات لازمة لكل من يحكم على استحقاق الذين يريدون ان يدخلوا في بيعة الله

فَطَأْطَأَ ٱلْمَسِيحِيُّ رَأْسَهُ وَدَخَلَ مَعَهُمْ إِلَى ٱلْقَصْرِ وَلَمَّا جَلَسَ قَدَّمُوا إِلَيْهِ شَرَابًا وَرَحَّبُوا بِهِ وَتَامَرُوا أَنْ يَصْرِفُوا مُدَّةً قَبْلَ وَقْتِ ٱلْعَشَاءِ بِمُحَادَثَاتٍ مَخْصُوصَةٍ مَعَهُ . وَٱخْتَارُوا لِذٰلِكَ صَاحِبَاتِهِ ٱلثَّلَاثَ ٱلْأُولَ وَلَمَّا جَلَسُوا لِلْحَدِيثِ قَالَتِ ٱلتَّقْوَى يَا أَخِي إِنَّنَا قَدْ أَحْبَبْنَاكَ وَقَبِلْنَاكَ عِنْدَنَا هٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ وَقَدْ بَدَا لَنَا أَنْ نُحَادِثَكَ فِي أَمْرِ سَفَرِكَ هٰذَا لَعَلَّنَا نَقْتَبِسُ بِهِ فَائِدَةً لِأَنْفُسِنَا . فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ حُبًّا وَكَرَامَةً وَإِنِّي أُسَرُّ بِٱسْتِمَالَتِكِ إِلَى مِثْلِ هٰذَا ٱلْحَدِيثِ . قَالَتْ فَمَا ٱلَّذِي دَعَاكَ إِلَى هٰذِهِ ٱلسِّيَاحَةِ . فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا هَائِلًا أَثْبَتَ عِنْدِي أَنَّ إِقَامَتِي فِي وَطَنِي تَكُونُ عِلَّةً لِهَلَاكِي لَا مَحَالَةَ فَفَرَرْتُ فِي طَلَبِ ٱلسَّلَامَةِ . قَالَتْ وَكَيْفَ ٱهْتَدَيْتَ إِلَى هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ . فَقَالَ أَمَّا ذٰلِكَ فَقَدْ كَانَ بِمَعُونَةِ ٱللّٰهِ وَعِنَايَتِهِ لِأَنِّي خَرَجْتُ هَائِمًا عَلَى وَجْهِي لَا أَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ وَبَيْنَمَا كُنْتُ مُنْزَعِجًا بَاكِيًا أَتَانِي ٱللّٰهُ بِرَجُلٍ يُقَالُ لَهُ ٱلْإِنْجِيلِيُّ فَدَلَّنِي عَلَى ٱلْبَابِ ٱلضَّيِّقِ وَسَلَّمَنِي ٱلطَّرِيقَ ٱلَّتِي سَلَكْتُ فِيهَا بِٱسْتِقَامَةٍ إِلَى هُنَا وَلَوْلَاهُ لَمْ تَكُنْ لِي هِدَايَةٌ قَطُّ قَالَتْ أَمَا مَرَرْتَ بِبَيْتِ ٱلْمُفَسِّرِ . قَالَ بَلَى قَدْ مَرَرْتُ بِهِ وَرَأَيْتُ هُنَاكَ

أُمُورًا عَظِيمَةً أَتَذَكَّرُهَا مَا دُمْتُ حَيًّا وَلَا سِيَّمَا ثَلَاثَةٌ مِنْهَا
ٱلْأَوَّلُ حِفْظُ ٱلْمَسِيحِ عَمَلَ ٱلنِّعْمَةِ فِي ٱلْقَلْبِ عَلَى رَغْمِ ٱلشَّيْطَانِ.
وَٱلثَّانِي قَطْعُ رَجَاءِ ٱلْإِنْسَانِ مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ لِسَبَبِ مُدَاوَمَتِهِ عَلَى
ٱلْخَطِيئَةِ. وَٱلثَّالِثُ رُؤْيَةُ ٱلْإِنْسَانِ فِي نَوْمِهِ أَنَّ يَوْمَ ٱلدَّيْنُونَةِ قَدْ
أَتَى. قَالَتْ فَهَلْ سَمِعْتَ هٰذَا يَقُصُّ خَبَرَ حُلْمِهِ. قَالَ نَعَمْ وَكَانَ
مُخِيفًا كَمَا رَأَيْتُ لِأَنَّ قَلْبِي كَانَ يَخْفِقُ مِنْ سَمَاعِهِ. وَأَمَّا ٱلْآنَ
فَأَنَا مَسْرُورٌ بِسَمَاعِي أَيَّاهُ. قَالَتْ أَهٰذَا كُلُّ مَا رَأَيْتَهُ فِي بَيْتِ
ٱلْمُفَسِّرِ. قَالَ لَا بَلْ رَأَيْتُ أُمُورًا شَتَّى غَيْرَهُ لِأَنَّهُ أَخَذَنِي إِلَى
مَكَانٍ وَأَرَانِي فِيهِ قَصْرًا شَامِخًا وَرَأَيْتُ كَيْفَ لَبِسَ ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ
فِيهِ تِلْكَ ٱلْحُلَلَ ٱلْمُذَهَّبَةَ. وَكَيْفَ أَتَى ذٰلِكَ ٱلرَّجُلُ ٱلشُّجَاعُ وَشَقَّ
ٱلصُّفُوفَ ٱلْوَاقِفِينَ بِأَسْلِحَتِهِمْ لَدَى ٱلْبَابِ يَمْنَعُونَهُ عَنِ ٱلدُّخُولِ
وَكَيْفَ دُعِيَ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلُ أَنْ يَدْخُلَ وَيَرِثَ ٱلْمَجْدَ ٱلْأَبَدِيَّ.
فَلَا شَكَّ أَنَّ هٰذِهِ ٱلْأُمُورَ قَدْ شَغَفَتْ قَلْبِي وَلَوْلَا ٱلْتِزَامِي ٱلتَّقَدُّمَ
فِي سَفَرِي لَمَكَثْتُ فِي بَيْتِ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ ٱلصَّالِحِ سَنَةً كَامِلَةً.
قَالَتْ وَمَاذَا رَأَيْتَ أَيْضًا فِي طَرِيقِكَ. قَالَ لَمَّا تَقَدَّمْتُ قَلِيلًا فِي
ٱلطَّرِيقِ رَأَيْتُ شَخْصًا كَانَ كَمَا تَرَاءَى لِي مُعَلَّقًا عَلَى شَجَرَةٍ مُلَطَّخًا

بِالدَّمِ. وَلِذٰلِكَ ٱلنَّظَرُ إِلَيْهِ كَانَ يَحْدِرُ حِمْلِي عَنْ ظَهْرِي حَتَّى سَقَطَ وَٱسْتَرَحْتُ مِنْ ثِقَلِهِ. وَكَانَ ذٰلِكَ أَمْرًا غَرِيبًا عِنْدِي لِأَنِّي مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ قَطُّ. وَبَيْنَمَا كُنْتُ شَاخِصًا ٱلْبَصَرَ طَلَعَ ثَلَاثَةُ أَنْفَارٍ عَلَيَّ قَدْ تَهَلَّلُوا بِٱلضِّيَاءِ وَشَهِدَ لِي وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَنَّ خَطَايَايَ قَدْ غُفِرَتْ. وَٱلثَّانِي نَزَعَ عَنِّي ثِيَابِي ٱلْبَالِيَةَ وَأَلْبَسَنِي هٰذَا ٱلثَّوْبَ ٱلْمَنْقُوشَ ٱلَّذِي تَرَيْنَهُ. وَٱلثَّالِثُ وَضَعَ هٰذِهِ ٱلْعَلَامَةَ فِي جَبِينِي وَأَعْطَانِي هٰذَا ٱلرَّقِيمَ ٱلْمَخْتُومَ. قَالَ ذٰلِكَ وَأَخْرَجَهُ مِنْ هِمْيَانِهِ فَأَرَاهَا إِيَّاهُ. قَالَتْ أَمَا رَأَيْتَ غَيْرَ ذٰلِكَ فِي طَرِيقِكَ قَالَ قَدْ أَخْبَرْتُكِ بِٱلنَّفَائِسِ وَأُخْبِرُكِ بِمَا هُوَ دُونَ ذٰلِكَ. إِنِّي رَأَيْتُ ثَلَاثَةَ رِجَالٍ أَحَدُهُمْ يُقَالُ لَهُ ٱلْغَرَارَةُ وَٱلْآخَرُ ٱلْكَسَلُ وَٱلْآخَرُ ٱلْإِدِّعَاءُ نَائِمِينَ عَلَى جَانِبِ ٱلطَّرِيقِ مُقَيَّدِينَ بِٱلْحَدِيدِ. وَرَأَيْتُ أَيْضًا ٱلْفَرَضِيَّ وَٱلْمُرَائِيَ قَدْ أَتَيَا مِنْ فَوْقِ ٱلْحَائِطِ يُرِيدَانِ ٱلْمُضِيَّ إِلَى صِهْيَوْنَ وَلٰكِنَّهُمَا هَلَكَا سَرِيعًا كَمَا أَنْذَرْتُهُمَا. وَفَضْلًا عَنْ كُلِّ ذٰلِكَ قَدْ كَابَدْتُ مَشَقَّةً عَظِيمَةً فِي صُعُودِي عَلَى هٰذَا ٱلْجَبَلِ وَعَلَى ٱلْخُصُوصِ لَمَّا مَرَرْتُ أَمَامَ أَفْوَاهِ ٱلْأُسُودِ وَحَقًّا لَوْلَا هٰذَا ٱلْبَوَّابُ ٱلصَّالِحُ ٱلْجَالِسُ عَلَى ٱلْبَابِ رُبَّمَا كُنْتُ رَجَعْتُ إِلَى

ٱلْوَرَاءِ . وَلٰكِنِّي أَشْكُرُ ٱللهَ عَلَى وُصُولِي إِلَى هُنَا وَأَحْمَدُكُنَّ عَلَى قَبُولِكُنَّ إِيَّايَ

قَالَ وَخَطَرَ لِلْفِطْنَةِ أَيْضًا مَسَائِلُ أُخَرُ تَقَدَّمَتْ بِهَا إِلَيْهِ وَطَلَبَتْ مِنْهُ ٱلْجَوَابَ عَنْهَا فَقَالَ سَلِي مَا بَدَا لَكِ . قَالَتْ أَمَا تَذْكُرُ أَحْيَانًا بَلَدَكَ ٱلَّتِي خَرَجْتَ مِنْهَا . قَالَ أَذْكُرُهَا وَلٰكِنْ بِلِسَانِ ٱلْإِذْلَالِ وَٱلْهَوَانِ وَلَوْ كُنْتُ أَشْتَاقُ إِلَيْهَا لَمَا أَضَعْتُ فُرْصَةَ ٱلرُّجُوعِ إِلَيْهَا وَقَدْ تَيَسَّرَتْ مِرَارًا . وَأَمَّا أَنَا ٱلْآنَ فَمُشْتَاقٌ إِلَى بَلَدٍ أَفْضَلَ مِنْهَا أَعْنِي ٱلْبَلَدَ السَّمَاوِيَّةَ[1] قَالَتْ أَمَا تَسْتَعْمِلُ ٱلْآنَ شَيْئًا مِمَّا كُنْتَ تَسْتَعْمِلُهُ قَبْلًا . قَالَ بَلَى وَلٰكِنْ كَرْهًا وَعَلَى ٱلْخُصُوصِ ٱللَّهَجَ ٱلشَّهْوَانِيَّ ٱلَّذِي كُنْتُ أَنَا وَأَهْلُ مَمْلَكَتِي نَلْهَجُ وَنَلْتَذُّ بِهِ . وَٱلْآنَ كُلُّ ذٰلِكَ يُحْزِنُنِي وَلَوْ خُيِّرْتُ فِي تَصَرُّفِي لَٱخْتَرْتُ أَنْ لَا أَفْتَكِرَ فِي شَيْءٍ مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَشْيَاءِ مِنَ ٱلْآنَ فَصَاعِدًا وَلٰكِنْ حِينَمَا أُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ ٱلْحُسْنَى أَنَّ ٱلشَّرَّ حَاضِرٌ عِنْدِي[2] . قَالَتْ أَمَا تَرَى أَحْيَانًا أَنَّكَ قَدْ غَلَبْتَ ٱلْوَسَاوِسَ ٱلَّتِي

---

(١) عب ١١ : ١٥ و ١٦ (٢) رو ٧ : ١٥ و ٢١ ان السائح يشكو من الشريعة القائمة في اعضائهِ الثابتة على محاربة سنَّة ضميرهِ التي جعلت الرسول المصطفى يهتف قائلاً ويحي انا الانسان الشقي من ينقذني من جسد هذا الموت .

كَانَتْ تُبَلْبِلُكَ فِي بَعْضِ ٱلْأَوْقَاتِ. قَالَ بَلَى وَلَكِنْ فِي ٱلنَّادِرِ وَٱلسَّاعَاتُ ٱلَّتِي تُفَارِقُنِي فِيهَا أَحْسَبُهَا ثَمِينَةً جِدًّا. قَالَتْ أَتَعْلَمُ حِيلَةَ ٱلْغَلَبَةِ عَلَيْهَا مَتَى قَوِيتْ عَلَيْكَ. قَالَ نَعَمْ هُوَ ٱلِٱفْتِكَارُ فِي مَنْ عَايَنْتُهُ عَلَى ٱلصَّلِيبِ وَٱلنَّظَرُ إِلَى ٱلثَّوْبِ ٱلَّذِي عَلَيَّ وَٱلصَّحِيفَةِ ٱلَّتِي مَعِي وَتَخَيُّلُ ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي أَنَا مَاضٍ إِلَيْهِ. فَأَرَى أَنَّ كُلَّ ذٰلِكَ يَغْلِبُهَا[1]. قَالَتْ وَمَاذَا يُحَبِّبُ إِلَيْكَ ٱلْوُصُولَ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ. قَالَ رَجَائِي أَنَّ ذَاكَ ٱلَّذِي عُلِّقَ عَلَى ٱلصَّلِيبِ أَرَاهُ حَيًّا وَأُعْتَقُ مِنْ كُلِّ مَا يُزْعِجُنِي إِلَى ٱلْآنَ. وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ لَا يَكُونُ هُنَاكَ مَوْتٌ[2]. وَإِنِّي أَلْبَثُ هُنَاكَ مَعَ رُفْقَةٍ كَشَهْوَةِ قَلْبِي. وَٱلْحَقُّ أَقُولُ لَكِ إِنِّي أُحِبُّ هٰذَا ٱلْمَحْسِنَ لِأَنِّي بِهِ أُعْتِقْتُ مِنْ حِمْلِي. وَأَنَا ٱلْآنَ مُنْزَعِجٌ مِنْ مَرَضِي ٱلْبَاطِنِ فَأَشْتَهِي أَنْ أَكُونَ حَيْثُ

هذه حالة اولاد الله جميعًا فان فضلات الخطية تتعرَّض لهم حين يباشرون واجباتهم وتدخل في احسن اعمالهم. ومرارًا كثيرة تستولي عليهم وتلقي على اعناقهم نير العبودية على رغمهم حتى انهم متى ارادوا ان يعملوا الخير يكون الشرُّ قريبًا منهم

(١) ان الانسان المسيحي حينما يؤمن بغفران خطاياهُ بدم المسيح وتبرُّرهِ ببرهِ ومحبة الله لهُ مجانًا ويثق بانهُ عتيد ان ينال المجد الابدي في السماء ينتصر على شهواتهِ ويغلب فساد قلبهِ

(٢) اش ٨:٢٥ ورؤ ٤:٢١

لَا أَمُوتُ بَعْدُ وَأَتَهَلَّلُ مَعَ ٱلْمَلَائِكَةِ ٱلَّذِينَ يَهْتِفُونَ دَائِمًا قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ

هٰذَا وَإِنَّ ٱلْمَحَبَّةَ نَظَرَتْ إِلَيْهِ وَقَالَتْ هَلْ لَكَ مِنْ عِيَالٍ يَا أَخِي. قَالَ نَعَمْ إِنَّ لِي زَوْجَةً وَأَرْبَعَةَ أَوْلَادٍ. قَالَتْ وَلِمَاذَا لَمْ تُحْضِرْهُمْ مَعَكَ فَبَكَى وَقَالَ[1] آهِ لَوِ ٱسْتَطَعْتُ ذٰلِكَ لَمَا مَشَيْتُ إِلَّا وَهُمْ بَيْنَ يَدَيَّ وَلٰكِنَّهُمْ فَضْلًا عَنْ عَدَمِ رِضَاهُمْ بِمُصَاحَبَتِي كَانُوا يُرِيدُونَ أَنْ يَمْنَعُونِي عَنِ ٱلْمَسِيرِ. قَالَتْ فَهَلَّا نَصَحْتَهُمْ وَأَرَيْتَهُمْ سُوءَ عَاقِبَتِهِمْ. قَالَ لَقَدْ فَعَلْتُ وَأَنْذَرْتُهُمْ بِمَا أَرَانِيهِ ٱللهُ مِنْ خَرَابِ مَدِينَتِنَا فَٱتَّخَذُوا ذٰلِكَ مِنِّي هُزْءًا وَلَمْ يُصَدِّقُوا مَقَالِي[2] قَالَتْ أَلَمْ تَطْلُبْ مِنَ ٱللهِ أَنْ يَجْعَلَ مَشُورَتَكَ عَلَيْهِمْ نَاجِحَةً. قَالَ قَدْ طَلَبْتُ ذٰلِكَ بِحَرَارَةٍ عَظِيمَةٍ. وَبِٱلْحَقِيقَةِ إِنِّي كُنْتُ أُحِبُّهُمْ حُبًّا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ. قَالَتْ فَهَلْ أَخْبَرْتَهُمْ بِحُزْنِكَ عَلَى نَفْسِكَ وَخَوْفِكَ مِنَ ٱلْهَلَاكِ. قَالَ نَعَمْ قَدْ أَخْبَرْتُهُمْ بِذٰلِكَ مِرَارًا وَهُمْ

---

(١) من كان عندهُ محبة صادقة لاهل بيتهِ يجتهد برغبةٍ حارَّة ان يجعلهم يهربون من الهلاك ويأتون الى السيد المسيح طالبين منهُ الرحمة والخلاص. ويصلي ايضًا لاجل نيل هذه البغية الجليلة كما صنع المسيحي السائح

(٢) تك ١٩: ١٤

كَانُوا يَرَوْنَ عَلَيَّ لَوَائِحَ ٱلْخَوْفِ مِنْ مَنْظَرِي وَبُكَائِي. وَكَانُوا يَرَوْنَ ٱرْتِعَادِي مِنْ تَوَقُّعِي ٱلدَّيْنُونَةَ ٱلْمُعَلَّقَةَ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَكُلُّ ذٰلِكَ لَمْ يَحْمِلْهُمْ عَلَى مُصَاحَبَتِي. قَالَتْ فَمَا كَانُوا يَقُولُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ فِي ذٰلِكَ. قَالَ أَمَّا زَوْجَتِي فَكَانَتْ تَخَافُ أَنْ تَفْقِدَ هٰذَا ٱلْعَالَمَ وَأَمَّا أَوْلَادِي فَكَانُوا سُكَارَى بِكَأْسِ ٱلصَّبْوَةِ وَلِذٰلِكَ تَرَكُونِي أَطُوفُ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ وَحْدِي. قَالَتْ أَلَمْ تَكُنْ حَيَاتُكَ ٱلْبَاطِلَةُ حُجَّةً تُبَطِّلُ أَقْوَالَكَ ٱلَّتِي جَعَلْتَهَا وَسِيلَةً لِٱجْتِذَابِهِمْ إِلَى مُصَاحَبَتِكَ. قَالَ لَا رَيْبَ أَنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أَمْدَحَ حَيَاتِي لِأَنِّي أَشْعُرُ فِي نَفْسِي أَنَّ فِيهَا نَقَائِصَ كَثِيرَةً وَأَنَا أَعْلَمُ أَيْضًا أَنَّ ٱلْإِنْسَانَ يَقْدِرُ أَنْ يُبَطِّلَ بِسُلُوكِهِ مَا كَانَ قَدِ ٱجْتَهَدَ أَنْ يُقَرِّرَهُ عِنْدَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَرَاهِينِ ٱلْمُقْنِعَةِ. وَمَعَ ذٰلِكَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ إِنَّنِي كُنْتُ أَحْتَرِزُ مِنْ تَقْدِيمِ سَبَبٍ لَهُمْ فِي كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ مِمَّا يَجْعَلُهُمْ يَكْرَهُونَ هٰذِهِ ٱلسِّيَاحَةَ وَلِذٰلِكَ كَانُوا يَقُولُونَ لِي إِنَّنِي تَجَاوَزْتُ ٱلْحَدَّ فِي ٱلتَّدْقِيقِ وَأَنْكَرْتُ عَلَى نَفْسِي مَا كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا بَأْسَ فِيهِ وَلَعَلَّهُ يَسُوغُ لِي أَنْ أَقُولَ إِنَّهُمْ إِنْ كَانُوا قَدْ رَأَوْا فِيَّ سَبَبًا يَمْنَعُهُمْ عَنِ ٱلْمَجِيءِ فَيَكُونُ كَثْرَةُ ٱحْتِرَازِي مِنْ

مُخَالَفَةِ ٱللهِ وَإِضْرَارِ ٱلْقَرِيبِ. قَالَتْ إِنَّ قَايِينَ أَبْغَضَ أَخَاهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ أَعْمَالَهُ كَانَتْ شِرِّيرَةً وَأَعْمَالَ أَخِيهِ كَانَتْ بَارَّةً[1] وَإِنْ كَانَتْ زَوْجَتُكَ وَأَوْلَادُكَ قَدْ لَامُوكَ لِذٰلِكَ فَقَدْ ظَهَرَ خُبْثُهُمْ وَعَدَمُ قَبُولِهِمْ لِلصَّلَاحِ. وَأَمَّا أَنْتَ فَقَدْ نَجَّيْتَ نَفْسَكَ وَتَبَرَّأْتَ مِنْ دَمِهِمْ[2]

قَالَ صَاحِبُ ٱلرُّؤْيَا وَرَأَيْتُ أَنَّ ٱلْقَوْمَ كَانُوا يَتَحَدَّثُونَ كَذٰلِكَ إِلَى أَنْ حَضَرَ ٱلْعَشَاءُ[3] وَكَانَتِ ٱلْمَائِدَةُ حَافِلَةً بِٱلْأَطْعِمَةِ ٱلشَّهِيَّةِ ٱلْفَاخِرَةِ فَجَلَسُوا يَأْكُلُونَ وَكَانَ مَوْضُوعُ ٱلْحَدِيثِ حِينَئِذٍ حَاكِمَ ٱلْجَبَلِ فَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ فِي مَا عَمِلَ وَلِمَاذَا عَمِلَ مَا عَمِلَهُ وَلِأَيِّ شَيْءٍ بَنَى ذٰلِكَ ٱلْقَصْرَ. قَالَ وَأَمَّا أَنَا فَعَلِمْتُ مِنْ حَدِيثِهِمْ أَنَّهُ كَانَ جَبَّارًا قَاهِرًا وَأَنَّهُ قَدْ حَارَبَ سُلْطَانَ ٱلْمَوْتِ وَقَتَلَهُ[4] وَلٰكِنْ مَعَ خَطَرٍ عَظِيمٍ عَلَى نَفْسِهِ وَذٰلِكَ هُوَ ٱلَّذِي زَادَنِي حُبًّا لَهُ لِأَنَّهُ

---

١ يو ٣: ١٢ (٢) حز ٣: ١٩

(٣) هذا رمزٌ عن العشاء السرّي الذي يغتذي فيهِ المسيحيون جميعًا من المسيح بالايمان ويتأملون في ما فعلهُ لاجلهم وما يفعلهُ الآن لهم وهو جالس عن يمين الله الآب وهكذا يقتاتون منهُ بالايمان وينمون شيئًا فشيئًا للحياة الابدية ويشكرون انعامهُ ويحبونهُ

(٤) عب ٢: ١٤ و١٥

عَلَى حَسَبِ قَوْلِهِمِ ٱلصَّادِقِ عِنْدِي قَدْ فَعَلَ ذٰلِكَ بِسَفْكِ دَمٍ كَثِيرٍ. وَأَمَّا ٱلَّذِي أَفَاضَ ٱلنِّعْمَةَ عَلَى كُلِّ هٰذِهِ ٱلْأَفْعَالِ فَهُوَ فِعْلُهُ لَهَا بِحُبٍّ خَالِصٍ نَحْوَ بِلَادِهِ. وَفَضْلاً عَنْ ذٰلِكَ إِنَّ بَعْضَ ٱلْعَشِيرَةِ قَالُوا إِنَّهُمْ كَانُوا عِنْدَهُ بَعْدَمَا مَاتَ عَلَى ٱلصَّلِيبِ وَتَكَلَّمُوا مَعَهُ وَشَهِدُوا أَنَّهُمْ سَمِعُوا مِنْ كَلَامِهِ أَنَّهُ مُحِبٌّ لِلْمَسَاكِينِ ٱلسَّائِحِينَ لَا نَظِيرَ لَهُ فِي ٱلْمَشْرِقِ وَلَا فِي ٱلْمَغْرِبِ وَأَيَّدُوا شَهَادَتَهُمْ هٰذِهِ بِأَنَّهُ جَرَّدَ ذَاتَهُ مِنْ مَجْدِهِ لِيَعْمَلَ ذٰلِكَ مَعَ ٱلْمَسَاكِينِ وَنَقَلُوا عَنْهُ أَنَّهُ لَا يَشَاءُ ٱلسُّكْنَى فِي جَبَلِ صِهْيَوْنَ وَحْدَهُ وَأَنَّ غُرَبَاءَ كَثِيرِينَ مَوْلُودِينَ مِنْ أُنَاسٍ مُتَسَوِّلِينَ كَانُوا فِي ٱلْمَزْبَلَةِ فَرَفَعَهُمْ وَجَعَلَهُمْ عُظَمَاءَ ٱلشَّعْبِ (١) قَالَ وَمَا زَالُوا فِي مِثْلِ هٰذَا ٱلْحَدِيثِ إِلَى ٱنْتِصَافِ ٱللَّيْلِ. فَأَسْلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَى يَدِ ٱللهِ وَطَلَبُوا رَاحَةَ ٱلْمَنَامِ. وَكَانُوا قَدْ أَعَدُّوا لِلْمَسِيحِيِّ غُرْفَةً فَسِيحَةً لَهَا طَاقَاتٌ إِلَى ٱلْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا ٱلسَّلَامُ فَنَامَ فِيهَا إِلَى ٱلسَّحَرِ (٢) وَلَمَّا ٱنْتَبَهَ

---

(١) ١ صم ٢: ٨ ومز ١١٣: ٧ (٢) ان سلامة الروح مع الله وسلامة الضمير مع الناس مما يجعلنا نطّلع في جميع احوالنا على عناية الراعي العظيم وقوّته وصدقه. وهذه نعمة خصوصية يعطيها الله للمؤمن فيدخل الى قصر السلام ويستظل تحت اجنحة الاله الرحيم. واما الطاقات التي الى المشرق فهي رمزٌ

مَنْ نَوْمِهِ نَهَضَ يَتَرَنَّمُ قَائِلاً

أَيْنَ أَنَا ٱلْآنَ وَأَيْنَ ٱلْحِمَى
مِنِّي وَهَلْ أُرْوِي هُنَاكَ ٱلظَّمَا
تُرَى أَهٰذَا لُطْفُ فَادِي ٱلْوَرَى
وَحُبُّهُ حَتَّى لِسَفْكِ ٱلدَّمَا
أَعْطَى سَبِيلاً لِي لِغُفْرَانِ آ
ثَامِي وَسُكْنَايَ بِقُرْبِ ٱلسَّمَا

ثُمَّ قَامَتِ ٱلْعَذَارَى وَدَخَلْنَ عَلَيْهِ وَقُلْنَ لَهُ يَا أَخَانَا لَا تَذْهَبْ حَتَّى نُرِيكَ ٱلتُّحَفَ ٱلَّتِي فِي هٰذَا ٱلْمَكَانِ وَٱنْطَلَقْنَ بِهِ حَتَّى دَخَلْنَ إِلَى ٱلْمَكْتَبَةِ وَأَرَيْنَهُ كُتُبَ ٱلتَّوَارِيخِ ٱلْقَدِيمَةِ (١) وَمِمَّا أَذْكُرُ مِنْ ذٰلِكَ أَنَّهُنَّ أَوْقَفْنَهُ عَلَى نَسَبِ حَاكِمِ ٱلْجَبَلِ أَنَّهُ كَانَ ٱبْنَ ٱلْقَدِيمِ ٱلْأَيَّامِ مَوْلُودًا مُنْذُ ٱلْأَزَلِ. وَكَانَتْ تِلْكَ ٱلتَّوَارِيخُ تُصَرِّحُ

الى ان السلامة الحقيقية صادرة عن معرفة يسوع الذي هو شمس البر

(١) ان التأمل في ميلاد المسيح وذاته وحياته وموته وفدائه واعماله وبره وخلاصه كل ذلك بهجة للمسيحيين كما قال داود النبي يلذ له نشيدي وانا افرح بالرب مز ١٠٤: ٣٤ ولا ريب ان حياة الايمان تنمو بالتأمل في الاعمال العجيبة التي صنعها الله من اجل شعبه وبسببهم وبالاسلحة المهيأة لاتباع الخروف

بِٱلْأَعْمَالِ ٱلَّتِي عَمِلَهَا وَأَسْمَاءِ ٱلْمِئَاتِ ٱلْعَبِيدِ ٱلَّذِينَ ٱخْتَارَهُمْ لِخِدْمَتِهِ وَكَيْفَ أَقَامَهُمْ فِي مَسَاكِنَ مِثْلِ هٰذِهِ لَا تَضْمَحِلُّ مِنْ طُولِ ٱلْأَيَّامِ وَلَا مِنِ ٱنْحِلَالِ ٱلطَّبِيعَةِ ثُمَّ قَرَأَنَ لَهُ أَيْضًا أَنْبَاءَ بَعْضِ أَعْمَالِ خُدَّامِهِ ٱلَّتِي يَحِقُّ لَهَا ٱلِٱعْتِبَارُ وَأَنَّهُمْ كَيْفَ قَهَرُوا ٱلْمَمَالِكَ وَعَمِلُوا ٱلْبِرَّ وَنَالُوا ٱلْمَوَاعِيدَ وَسَدُّوا أَفْوَاهَ ٱلْأُسُودِ وَأَخْمَدُوا قُوَّةَ ٱلنَّارِ وَنَجَوْا مِنْ حَدِّ ٱلسَّيْفِ وَتَقَوَّوْا فِي ٱلضَّعْفِ وَكَانُوا أَشِدَّاءَ فِي ٱلْحُرُوبِ وَهَزَمُوا عَسَاكِرَ ٱلْغُرَبَاءِ (١) ثُمَّ قَرَأَنَ لَهُ فَصْلًا آخَرَ مِنْ تَوَارِيخِ ٱلْقَصْرِ يُشِيرُ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِنَّ بِقَبُولِ ٱلْجَمِيعِ فِي نِعْمَتِهِ وَلَوْ كَانُوا تَعَدَّوْا عَلَيْهِ فِي مَا مَضَى وَسَخِرُوا بِهِ. وَيَشْتَمِلُ عَلَى قِصَصٍ كَثِيرَةٍ مَشْهُورَةٍ فَوَقَفَ عَلَيْهَا ٱلْمَسِيحِيُّ بِأَجْمَعِهَا قَدِيمَةً وَحَدِيثَةً مَعَ نُبُوَّاتٍ وَإِنْذَارَاتٍ لَا بُدَّ مِنْ وُقُوعِهَا فِي حِينِهَا لِأَجْلِ تَخْوِيفِ ٱلْأَعْدَاءِ وَتَعْزِيَةِ ٱلسَّائِحِينَ (٢)

قَالَ وَلَمَّا كَانَ ٱلْغَدُ أَخَذْنَهُ أَيْضًا وَأَدْخَلْنَهُ إِلَى خِزَانَةِ

---

(١) عب ١١: ٣٣ و ٣٤

(٢) ان المسيحي يطّلع هنا على ترتيب قضاء الله وتحقيق قضاء الله فيخضع لها ويفرح مبتهجًا بملكوت الله في بيعتهِ وتسلطهِ على العالم واستيلائهِ على قلوب عبيدهِ وباتمام مقاصدهِ فيها لاجل مجدهِ وخير شعبهِ

ٱلْأَسْلِحَةِ وَأَطْلَعَهُ عَلَى أَصْنَافِ ٱلْأَدَوَاتِ ٱلَّتِي أَعَدَّهَا رَبُّهُنَّ لِلسَّائِحِينَ حِفْظًا لَهُمْ وَوِقَايَةً فِي طَرِيقِهِمْ كَٱلسُّيُوفِ وَٱلدُّرُوعِ وَٱلْخُوذِ وَٱلدَّرَقِ وَٱلْحِرَابِ وَٱلْأَحْذِيَةِ ٱلَّتِي لَا تَبْلَى. وَكَانَ هُنَاكَ مِنَ ٱلْعُدَدِ مَا يَكْفِي مَوَاكِبَ شَتَّى وَلَوْ كَانُوا بِعَدَدِ نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ (١) وَأَبْرَزْنَ لَهُ بَعْدَ ذٰلِكَ شَيْئًا مِنْ آلَاتٍ حَرْبِيَّةٍ قَدْ فَعَلَتْ بِهَا عَبِيدُهُ أَفْعَالًا عَجِيبَةً وَمِنْ ذٰلِكَ عَصَا مُوسَى وَٱلْوَتِدُ وَٱلْمِطْرَقَةُ ٱللَّذَانِ قَتَلَتْ بِهِمَا يَاعِيلُ سِيسَرَا وَٱلْقُلَلُ وَٱلْأَبْوَاقُ وَٱلْمَصَابِيحُ ٱلَّتِي طَرَدَ بِهَا جِدْعُونُ عَسَاكِرَ مِدْيَانَ وَٱلسِّكَّةُ ٱلَّتِي قَتَلَ بِهَا شَمْجَرُ سِتَّ مِئَةِ رَجُلٍ وَلَحْيُ ٱلْحِمَارِ ٱلَّذِي سَطَا بِهِ شَمْشُونُ تِلْكَ ٱلسَّطْوَةَ ٱلْعَظِيمَةَ وَٱلْحَجَرُ وَٱلْمِقْلَاعُ ٱللَّذَانِ بِهِمَا قَتَلَ دَاوُدُ جُلْيَاتَ ٱلْجَبَّارَ وَٱلسَّيْفُ ٱلَّذِي سَيَقْتُلُ بِهِ رَبُّهُنَّ إِنْسَانَ ٱلْخَطِيئَةِ يَوْمَ يَخْرُجُ لِلْغَنِيمَةِ وَغَيْرُ ذٰلِكَ مِنَ ٱلْمَنَاظِرِ ٱلْعَجِيبَةِ

---

(١) اذا اردت ان تطّلع على ما اعدَّهُ الله للمسيحيين من الاسلحة الروحية فراجع ما قالهُ بولس الرسول في رسالتهِ الى اهل افسس ٦: ١٤ الى ١٩ فان الذي اعدَّهُ الله بالمسيح لاجل حفظ العواطف الروحية في قلوب شعبهِ ونموها فيها يُعبَّر عنهُ هنا بالادوات الحربية التي تكفي تجهيز جمٍّ غفير ممن يريدون ان يتسلحوا بها. واذا مارسناها بنشاطٍ ننال الغلبة على جميع اعدائنا. ولهذا يجب علينا ان نتسلح بجميع سلاح الله مستعملين كل وسائط النعمة بنشاطٍ

ٱلسَّامِيَةِ فَسُرَّ ٱلْمَسِيحِيُّ بِذٰلِكَ وَطَابَ قَلْبُهُ ثُمَّ ٱنْصَرَفْنَ بِهِ إِلَى مَضْجَعِهِ وَبَاتَ لَيْلَتَهُ هُنَاكَ مُسْتَعِدًّا لِلسَّفَرِ

قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُ ٱلْمَسِيحِيَّ قَدْ نَهَضَ صَبَاحًا وَأَرَادَ ٱلْمَسِيرَ فِي سَفَرِهِ . وَطَلَبْنَ مِنْهُ أَنْ يَتَأَخَّرَ إِلَى ٱلْغَدِ وَقُلْنَ لَهُ إِنْ كَانَ هٰذَا ٱلنَّهَارُ صَافِيًا نُرِيكَ ٱلْجِبَالَ ٱلْمُبْهِجَةَ ٱلَّتِي تَزِيدُكَ تَعْزِيَةً لِأَنَّهَا أَقْرَبُ إِلَى ٱلْهِينَا مِنَ ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي أَنْتَ فِيهِ ٱلْآنَ . فَأَجَابَهُنَّ وَأَقَامَ وَلَمَّا ٱسْتَوَى ٱلنَّهَارُ صَعِدْنَ بِهِ إِلَى سَطْحِ ٱلْقَصْرِ وَأَمَرْنَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى ٱلْجَنُوبِ فَمَدَّ نَظَرَهُ وَإِذَا بَلْدَةٌ حَسَنَةٌ جِدًّا مَبْنِيَّةٌ عَلَى جَبَلٍ مُزَيَّنَةٌ بِٱلْبَسَاتِينِ وَٱلْكُرُومِ وَكُلِّ صِنْفٍ مِنَ ٱلْأَثْمَارِ وَٱلْأَزْهَارِ تَجْرِي فِيهَا ٱلْأَنْهَارُ وَٱلْيَنَابِيعُ زَاهِيَةُ ٱلْمَنْظَرِ (١) فَأَعْجَبَتْهُ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةُ وَسَأَلَهُنَّ عَنِ ٱسْمِهَا فَقُلْنَ لَهُ إِنَّ تِلْكَ ٱلْبُقْعَةَ يُقَالُ لَهَا أَرْضُ عَمَّانُوئِيلَ وَهِيَ مَرْتَعٌ مُبَاحٌ لِجَمِيعِ ٱلسَّائِحِينَ مِثْلَ هٰذَا ٱلْجَبَلِ . وَإِذَا ٱنْطَلَقْتَ إِلَيْهَا تَقْدِرُ أَنْ تَرَى مِنْ هُنَاكَ بَابَ ٱلْمَدِينَةِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ كَمَا تَسْتَفِيدُهُ مِنَ ٱلرُّعَاةِ ٱلَّذِينَ يَسْكُنُونَ هُنَاكَ (٢)

---

(١) اش ٣٣ : ١٦ و ١٧ (٢) ان الجبال المبهجة المنظورة عن بعدٍ كنايةٌ عن الانعامات والتعزيات التي يمكننا نيلها ونحن في هذا العالم . وقد

قَالَ وَمِنَ ٱلْغَدِ ٱسْتَأْذَنَ ٱلْمَسِيحِيُّ فِي ٱلسَّفَرِ فَأَذِنَ لَهُ وَعُدْنَ بِهِ إِلَى خِزَانَةِ ٱلْأَسْلِحَةِ فَأَلْبَسْنَهُ ٱلسِّلَاحَ مِنْ رَأْسِهِ إِلَى قَدَمِهِ. وَخَرَجَ فَشَيَّعْنَهُ إِلَى ٱلْبَابِ وَعَلَيْهِ ٱلْبَوَّابُ فَقَالَ لَهُ ٱلْمَسِيحِيُّ هَلْ مَرَّ بِكَ أَحَدٌ مِنَ ٱلسَّائِحِينَ. قَالَ نَعَمْ. قَالَ هَلْ عَرَفْتَ مَنْ مَرَّ بِكَ. قَالَ قَدْ سَأَلْتُهُ عَنِ ٱسْمِهِ فَقَالَ ٱلْأَمِينُ. قَالَ إِنِّي أَعْرِفُهُ وَهُوَ ٱبْنُ بَلَدِي وَجَارِي وَقَدْ أَتَى مِنْ مَكَانِ مَوْلِدِي فَالَى أَيْنَ تَظُنُّهُ قَدْ وَصَلَ ٱلْآنَ. قَالَ أَظُنُّهُ قَدْ وَصَلَ إِلَى أَسْفَلِ ٱلْجَبَلِ. قَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ جَزَاكَ ٱللهُ خَيْرًا وَأَفَاضَ بَرَكَاتِهِ عَلَيْكَ ثُمَّ أَخَذَ فِي طَرِيقِهِ وَمَشَتْ مَعَهُ صَوَاحِبُهُ ٱلثَّلَاثُ إِلَى أَعْلَى ٱلْجَبَلِ وَكَانُوا فِي أَثْنَاءِ ذٰلِكَ يُرَدِّدُونَ كَلَامَهُمُ ٱلسَّابِقَ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى ٱلْمُنْحَنَى وَأَرَادُوا ٱلتَّصَبُّبَ فِي ذٰلِكَ ٱلْوَادِي. فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ أَرَى ٱلنُّزُولَ عَسِرًا هُنَا كَمَا كَانَ ٱلصُّعُودُ هُنَاكَ. قَالَتِ ٱلْفِطْنَةُ نَعَمْ إِنَّهُ يَعْسُرُ عَلَى ٱلْإِنْسَانِ أَنْ يَنْزِلَ إِلَى وَادِي ٱلِٱتِّضَاعِ كَمَا أَنْتَ نَازِلٌ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزْلَقَ فِي طَرِيقِهِ وَلِذٰلِكَ قَدْ خَرَجْنَا وَرَافَقْنَاكَ. فَٱسْتَعَانَ ٱلْمَسِيحِيُّ بِٱللهِ وَجَعَلَ يَتَحَدَّرُ فِي ذٰلِكَ ٱلْوَادِي. وَكَانَ

ينالها المؤمنون الذين يطيعون وصايا الله ولا ريب ان الآمال الناتجة عنها تعينهم على التقدم الى اقتحام المخاطر المخيفة

عَلَى حَذَرٍ شَدِيدٍ وَمَعَ ذٰلِكَ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ ٱلزَّلَقِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا(١)
قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُ تِلْكَ ٱلْعَذَارَى ٱلصَّالِحَاتِ مَا زِلْنَ يُمَاشِينَهُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مُنْقَطَعِ ٱلْجَبَلِ وَهُنَاكَ أَعْطَيْنَهُ رَغِيفًا وَزُجَاجَةَ خَمْرٍ وَشَيْئًا مِنَ ٱلزَّبِيبِ وَوَدَّعْنَهُ وَرَجَعْنَ عَنْهُ. وَأَمَّا هُوَ فَتَبَطَّنَ ذٰلِكَ ٱلْوَادِيَ حَتَّى قَطَعَ مِنْهُ. وَإِذَا بِشَيْطَانٍ خَبِيثٍ يُقَالُ لَهُ أَبُولِيُونُ أَيِ ٱلْمُهْلِكُ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ. فَلَمَّا رَآهُ ٱلْمَسِيحِيُّ خَفَقَ فُؤَادُهُ وَجَعَلَ يُرَاجِعُ نَفْسَهُ أَيَرْجِعُ أَمْ يَتَلَقَّاهُ غَيْرَ أَنَّهُ لِعِلْمِهِ أَنَّ لَا سِلَاحَ يَحْمِيهِ مِنْ وَرَائِهِ خَافَ أَنْ يَرْمِيَهُ إِذَا أَدْبَرَ فَثَبَتَ مَكَانَهُ وَعَوَّلَ أَنْ يُخَاطِرَ مَعَهُ بِنَفْسِهِ ثُمَّ شَدَّدَ عَزْمَهُ وَمَشَى فَٱلْتَقَى بِذٰلِكَ ٱلْمَارِدِ وَكَانَ هَائِلَ ٱلْمَنْظَرِ لَابِسًا ثَوْبًا كَفُلُوسِ ٱلسَّمَكِ وَهٰذَا هُوَ ٱفْتِخَارُهُ وَلَهُ جَنَاحَانِ كَٱلتِّنِّينِ وَأَرْجُلٌ كَٱلدُّبَّةِ يَقْذِفُ مِنْ جَوْفِهِ بِنَارٍ وَدُخَانٍ وَلَهُ شِدْقٌ كَشِدْقِ ٱلْأَسَدِ(٢) فَلَمَّا قَرُبَ

---

(١) ان الرب يأتي بشعبه الى وادي الاتضاع فينزع منهم التعزيات الحسية او يفقدهم الاحباب او الصحّة او المال . ولا ريب انهُ يخشى عليهم في هذه الحال من العثار بحجارة الامم الطبيعية كالكبرياء والضجر والتذمر والشكّ في الله والعصيان عليه وامثالها فيجد الشيطان عند ذلك سبيلاً لكي يحاربهم بتجارب شتّى

(٢) ان هيئة ابوليون تشير الى ان ما يأتي ذكرهُ يدل على المخاوف التي

مِنَ ٱلْمَسِيحِيِّ نَظَرَ إِلَيْهِ نِظْرَةَ ٱلْمُزْدَرِي وَقَالَ لَهُ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. فَقَالَ قَدْ أَتَيْتُ مِنْ مَدِينَةِ ٱلْهَلَاكِ مَحَلِّ كُلِّ شَرٍّ وَأَنَا مَاضٍ إِلَى مَدِينَةِ صِهْيَوْنَ. قَالَ إِذَنْ أَنْتَ مِنْ رَعِيَّتِي لِأَنَّ تِلْكَ ٱلْبِلَادَ كُلَّهَا لِي وَأَنَا مَلِكُهَا وَإِلٰهُهَا فَكَيْفَ هَرَبْتَ مِنْ وَجْهِ مَلِكِكَ وَٱعْلَمْ أَنَّهُ لَوْلَا رَجَائِي أَنَّكَ تَرْجِعُ وَتَعُودُ إِلَى خِدْمَتِي لَضَرَبْتُكَ ضَرْبَةً لَا تَقُومُ بَعْدَهَا مِنْ مَكَانِكَ. فَقَالَ نَعَمْ إِنِّي قَدْ وُلِدْتُ فِي مَمْلَكَتِكَ لٰكِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ خِدْمَتَكَ خَاسِرَةً لَا تُرْجَى مَعَهَا ٱلسَّلَامَةُ لِأَنَّ أُجْرَةَ ٱلْخَطِيَّةِ هِيَ ٱلْمَوْتُ[1] فَعَلْتُ كَمَا تَفْعَلُ حُذَّاقُ ٱلرِّجَالِ وَٱجْتَهَدْتُ فِي ٱلْفِرَارِ مِنْهَا. قَالَ إِنَّ ٱلرُّؤَسَاءَ لَا يَسْمَحُونَ بِخُرُوجِ أَحَدٍ مِنْ رَعَايَاهُمْ عَنْ مَمَالِكِهِمْ طَوْعًا. وَأَرَاكَ تَشْكُو ٱلْمَشَقَّةَ وَٱلْخَسَارَةَ فِي خِدْمَتِي فَٱرْجِعْ وَعَلَيَّ ٱلْعَهْدُ أَنْ أُعْطِيَكَ أَرْبَاحَ كُورَتِنَا بِأَسْرِهَا. فَقَالَ إِنِّي قَدْ دَخَلْتُ فِي خِدْمَةِ رَئِيسِ ٱلرُّؤَسَاءِ فَلَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَرْجِعَ مَعَكَ رُجُوعًا لَائِقًا.

بها تحاول الارواح الخبيثة ان تلاشي ايمان المؤمنين. فلا تخف يا ايها المسيحي الشيطان البارز لمحاربتك لان الله يعطيك قوّة للغلبة عليهِ وقد وعدنا تعالى بذلك فلنجاهد الجهاد الحسن بطمأنينةٍ

(١) رو ٦: ٢٣

فَقَالَ أَرَاكَ قَدْ بَدَّلْتَ ٱلرَّدِيءَ بِٱلْأَرْدَإِ كَمَا قِيلَ. وَلٰكِنِ ٱلَّذِينَ يَتَظَاهَرُونَ بِخِدْمَةِ هٰذَا ٱلْمَخْدُومِ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَتْرُكُوهُ بَعْدَ قَلِيلٍ وَيَرْجِعُوا إِلَيَّ. فَكُنْ أَنْتَ كَذٰلِكَ وَلَكَ كُلُّ مَا تُحِبُّ (١) فَقَالَ إِنِّي قَدْ عَقَدْتُ مَعَهُ عَهْدًا وَيَمِينًا عَلَى خِدْمَتِهِ وَطَاعَتِهِ فَكَيْفَ أَقْدِرُ أَنْ أَمْكُثَ وَلَا أُقْتَلَ كَخَائِنٍ. قَالَ إِنَّهُ قَدْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ كَذٰلِكَ وَأَنَا أَصْفَحُ عَنْ خِيَانَتِكَ لِي إِنْ أَطَعْتَنِي وَرَجَعْتَ ٱلْآنَ مَعِي. فَقَالَ إِنَّ عَهْدِي مَعَكَ كَانَ عَلَى صِغَرِ سِنِّي. وَفَضْلًا عَنْ ذٰلِكَ إِنِّي أَحْسَبُ ٱلْمَلِكَ ٱلَّذِي أَنَا تَحْتَ لِوَائِهِ قَادِرًا أَنْ يُعْتِقَنِي مِنْ كُلِّ طَائِلَةٍ وَهُوَ يَصْفَحُ عَنْ ذَنْبِي ٱلَّذِي ٱرْتَكَبْتُهُ بِطَاعَتِي لَكَ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكَ إِنِّي أُحِبُّ خِدْمَتَهُ وَطَاعَتَهُ وَصُحْبَتَهُ وَبِلْدَتَهُ أَكْثَرَ مِمَّا عِنْدَكَ فَٱقْصِرْ عَنِ ٱجْتِهَادِكَ فِي ٱجْتِذَابِي لِأَنِّي قَدْ تَمَكَّنْتُ مِنْ خِدْمَتِهِ وَتَمَسَّكْتُ بِعُرْوَتِهِ ٱلْوُثْقَى ٱلَّتِي لَا تُحَلُّ أَبَدًا. قَالَ

(١) ان ابا الكذب يتكلم هنا بالحق غير انهُ يثبتهُ بوعدٍ كاذب مثل نفسهِ. فان من اعظم المنكرات ان ندخل تحت ولاية المسيح ثم نرجع الى خدمة الشيطان عدوّهِ وما اكثر الذين يتورّطون في هذه الجهالة ولا يخفى ان مثل هولاء ينبذون صدق المسيح ويصدّقون كذب ابليس بقولهِ لهم ولكم ما تحبون الاّ ان عاقبتهم ردية وموتهم لعنة ابدية

هَيْهَاتِ إِنَّهُ لَمْ يَأْتِ قَطُّ فَيُخَلِّصَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْ يَدِي. وَأَمَّا أَنَا فَلَا يَخْفَى إِنَّنِي طَالَمَا خَلَّصْتُ أَصْحَابِي بِالْغَلَبَةِ أَوْ بِالْحِيلَةِ مِنْ يَدِهِ وَيَدِ أَتْبَاعِهِ وَلَوْ كَانُوا فِي وِثَاقِ الْأَسْرِ عِنْدَهُ وَلِذٰلِكَ أَكْثَرُ خُدَّامِهِ يَنْتَهُونَ إِلَى عَاقِبَةٍ رَدِيَّةٍ وَيَمُوتُونَ شَرَّ مِيتَةٍ. وَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنْ ذٰلِكَ فَسَلِّمْ إِلَيَّ أَمْرَكَ وَتَرَى كَيْفَ أُخَلِّصُكَ مِنْ طَائِلَتِهِ. فَقَالَ إِنَّ صَاحِبِي رُبَّمَا أَبْطَأَ فِي اسْتِخْلَاصِ أَتْبَاعِهِ لِيَمْتَحِنَ ثَبَاتَهُمْ عَلَى حُبِّهِ إِلَى النِّهَايَةِ. وَأَمَّا سُوءُ الْعَاقِبَةِ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّهُمْ يَنْتَهُونَ إِلَيْهِ فَهٰذَا عِنْدَهُمْ هُوَ الْغَايَةُ الْقُصْوَى. لِأَنَّهُمْ لَا يَنْتَظِرُونَ النَّجَاةَ الْحَاضِرَةَ بَلْ يَرْجُونَ السَّعَادَةَ الْأَخِيرَةَ الَّتِي سَيَنَالُونَهَا عِنْدَمَا يَأْتِي سَيِّدُهُمْ بِمَجْدِهِ مَعَ مَلَائِكَتِهِ الْقِدِّيسِينَ. قَالَ إِنَّكَ لَمْ تَكُنْ مُسْتَقِيمًا فِي اتِّبَاعِهِ فَكَيْفَ تَطْمَعُ فِي ثَوَابِهِ. قَالَ وَكَيْفَ ذٰلِكَ. قَالَ إِنَّكَ قَدْ شَكَكْتَ فِي أَوَّلِ سَفَرِكَ لَمَّا كِدْتَ تَغْرَقُ فِي بَالُوعَةِ الْيَأْسِ. ثُمَّ اتَّخَذْتَ طَرِيقًا مُلْتَوِيَةً لِتُعْتَقَ مِنْ حِمْلِكَ وَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَنْتَظِرَ سَيِّدَكَ حَتَّى يَأْتِيَ وَيَرْفَعَهُ عَنْكَ ثُمَّ نِمْتَ ذَاكَ النَّوْمَ الْمَلُومَ وَفَقَدْتَ ذَخِيرَتَكَ الْمُخْتَارَةَ. ثُمَّ فَتَرَ عَزْمُكَ وَأَوْشَكْتَ أَنْ تَهُمَّ بِالرُّجُوعِ لَمَّا رَأَيْتَ السِّبَاعَ. ثُمَّ

لَمْ تَزَلْ نَفْسُكَ تَطْلُبُ ٱلْمَجْدَ ٱلْبَاطِلَ كَمَا حَدَّثْتَ عَنْ سَفَرِكَ وَأَخْبَرْتَ بِمَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ. فَقَالَ صَدَقْتَ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ٱلْوَاقِعُ أَكْثَرَ مِمَّا ذَكَرْتَ لٰكِنِ ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي إِيَّاهُ أَعْبُدُ وَلَهُ أَخْدُمُ رَحِيمٌ غَفُورٌ. وَفَضْلاً عَنْ ذٰلِكَ إِنَّ هٰذَا ٱلضَّعْفَ قَدِ ٱسْتَوْلَى عَلَيَّ وَأَنَا فِي بَلَدِكَ وَمِنْهَا لَبِسْتُهُ ثُمَّ خَلَعْتُهُ وَحَزِنْتُ مِنْ أَجْلِهِ وَنَدِمْتُ عَلَيْهِ فَقَبِلَنِي مَوْلَايَ وَعَفَا عَنِّي (١). فَٱسْتَشَاطَ ٱلشِّرِّيرُ غَضَبًا وَقَالَ إِنِّي عَدُوٌّ لِهٰذَا ٱلْمَلِكِ مَطْبُوعٌ عَلَى بُغْضِ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَحْكَامِهِ وَخُدَّامِهِ وَهَا قَدْ بَرَزْتُ لِمُقَاوَمَتِكَ فَتَأَهَّبْ. قَالَ دَعْ مَا أَنْتَ فِيهِ أَمَا تَعْلَمُ أَنِّي فِي طَرِيقِ ٱلْمَلِكِ طَرِيقِ ٱلْقَدَاسَةِ وَٱلْغَلَبَةِ فَأَنْتَ ٱلْأَوْلَى بِٱلتَّحَفُّظِ عَلَى نَفْسِكَ. فَثَارَ ذٰلِكَ ٱلْمَارِدُ وَأَعْرَضَ لَهُ فِي ٱلطَّرِيقِ وَقَالَ أُقْسِمُ بِمَغَارَتِي ٱلْجَهَنَّمِيَّةِ إِنَّكَ لَا تَتَقَدَّمُ خُطْوَةً وَاحِدَةً وَهُنَا أَنْزِعُ نَفْسَكَ مِنْكَ فَٱسْتَعِدَّ ٱلْآنَ لِلْمَوْتِ. وَكَانَ فِي يَدِهِ حَرْبَةٌ نَارِيَّةٌ فَرَمَى ٱلْمَسِيحِيَّ

(١) هذه هي الطريقة الفضلى لنا وهي ان نعترف بصدق دعوى ابليس علينا ونبالغ في ذلك لكي نرفع غنى نعمة المسيح في غفرانه لنا مجانًا ونضع انفسنا. لاننا بذلك نظفر بالمحال ولا يعود له سبيل الى الغلبة علينا ولو كان ذلك مما يجعله يستشيط غضبًا علينا

بِهَا فِي صَدْرِهِ فَتَلَقَّاهَا بِتُرْسٍ كَانَ فِي يَدِهِ فَلَمْ تَصِلْ إِلَيْهِ (١) وَٱسْتَلَّ سَيْفَهُ وَتَصَلَّبَ لِلْقِتَالِ. فَهَجَمَ عَلَيْهِ إِبْلِيسُ وَٱبْتَدَرَهُ بِرَمْيِ ٱلنِّبَالِ. فَكَانَ ٱلْمَسِيحِيُّ يَتَلَقَّى هٰذِهِ وَيَتَوَقَّى تِلْكَ وَكَانَتِ ٱلنِّبَالُ تَنْصَبُّ عَلَيْهِ كَٱنْصِبَابِ ٱلْمَطَرِ فَأَعْجَلَتْهُ عَنِ ٱلتَّحَفُّظِ حَتَّى وَقَعَتِ ٱلْجِرَاحُ فِي رَأْسِهِ وَيَدِهِ وَرِجْلِهِ فَتَأَخَّرَ قَلِيلاً وَٱسْتَطَالَ عَلَيْهِ خَصْمُهُ. وَرَأَى ٱلْمَسِيحِيُّ أَنَّ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَّا ٱلثَّبَاتَ فَتَشَجَّعَ وَدَافَعَ عَنْ نَفْسِهِ وَدَامَ ٱلْقِتَالُ بَيْنَهُمَا نَحْوَ سِتِّ سَاعَاتٍ فَكَادَ ٱلْمَسِيحِيُّ يَكِلُّ لِأَنَّهُ كَانَ يَضْعُفُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا بِسَبَبِ جِرَاحِهِ. وَلَمَّا رَأَى عَدُوُّهُ ذٰلِكَ وَثَبَ عَلَيْهِ وَكَافَحَهُ ٱعْتِرَاكًا حَتَّى صَرَعَهُ. فَسَقَطَ ٱلْمَسِيحِيُّ سَقْطَةً هَائِلَةً وَوَقَعَ ٱلسَّيْفُ مِنْ يَدِهِ فَٱنْعَكَفَ أَبُولِيُّونُ وَضَغَطَهُ ضَغْطَةً مُنْكَرَةً وَقَالَ ٱلْآنَ قَدْ صِرْتَ غَنِيمَةً لِي بِلَا شَكٍّ. وَأَرَادَ أَنْ يَطْعَنَهُ طَعْنَةً يَقْضِي عَلَيْهِ بِهَا فَنَظَرَ ٱللهُ إِلَى ٱلْمَسِيحِيِّ وَأَمَدَّهُ بِعِنَايَتِهِ حَتَّى تَنَاوَلَ سَيْفَهُ وَقَالَ لَا تَفْرَحْ

---

(١) هذا ترس الايمان المشار الى تصديقهِ ما عملهُ المسيح لاجلهِ وكيف غفر لهُ وبرَّرهُ وقدَّسهُ مجانًا. ولا ريب ان ذلك مما يستعطف المسيح علينا ويكف سهام الشيطان الملتهبة عنا ويطفئها. وهكذا يعظ بطرس الرسول الذين كتب اليهم بقولهِ قاوموهُ راسخين في الايمان ١ بط ٥: ٩

يَا مُعَانِدِي مِنْ أَجْلِ أَنِّي سَقَطْتُ فَسَأَقُومُ[١] وَبَادَرَهُ بِضَرْبَةٍ قَاتِلَةٍ دَفَعَتْهُ عَنْهُ كَمَنْ جُرِحَ جَرْحًا بَلِيغًا فَتَشَدَّدَ ٱلْمَسِيحِيُّ وَثَارَ إِلَيْهِ وَقَالَ إِنَّنَا بِهٰذِهِ كُلِّهَا غَالِبُونَ لِأَجْلِ ذٰلِكَ ٱلَّذِي أَحَبَّنَا[٢] فَنَشَرَ أَبُولِيُّونُ جَنَاحَيْهِ وَٱخْتَفَى وَلَمْ يَرَهُ ٱلْمَسِيحِيُّ فِي مَا بَعْدُ[٣]

قَالَ صَاحِبُ ٱلرُّؤْيَا لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَتَصَوَّرَ إِلَّا مَنْ رَأَى وَسَمِعَ كَمَا رَأَيْتُ وَسَمِعْتُ تِلْكَ ٱلْوَاقِعَةَ ٱلْهَائِلَةَ وَذٰلِكَ ٱلضَّجِيجَ ٱلْمُزْعِجَ ٱلَّذِي كَانَ يَزْأَرُ بِهِ ذٰلِكَ ٱلشَّيْطَانُ ٱلرَّجِيمُ. وَمَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَصِفَ ٱلْأَنِينَ وَٱلتَّنَهُّدَاتِ ٱلَّتِي كَانَتْ تَصْعَدُ مِنْ قَلْبِ ذٰلِكَ ٱلْمَسِيحِيِّ ٱلْأَمِينِ. وَمَا رَأَيْتُهُ قَطُّ مُطْمَئِنًّا فِي تِلْكَ ٱلْمَعْرَكَةِ حَتَّى رَأَى عَدُوَّهُ قَدِ ٱنْثَنَى مَجْرُوحًا فَٱبْتَسَمَ حِينَئِذٍ وَرَفَعَ

---

(١) مي ٧:٨ (٢) رو ٨:٣٧

(٣) يع ٤:٨ ان سيف المسيحي الذي يقاوم بهِ اعداءهُ الروحيين هو كلمة الله . ومتى فُقد هذا السيف منا نقع في حال نقص الايمان كما اصاب المسيحي في قتالهِ مع ابوليون فانهُ لاجل عدم ايمانهِ سقط سيفهُ من يدهِ فدخلهُ قطع الرجاء من حياتهِ. لكنهُ لما التقط سيفهُ وضرب عدوَّهُ بهِ فالقاهُ على الارض مثخنًا بالجراح. وان قائدنا قد اتخذ هذا السيف نفسهُ في محاربتهِ للشرير فاستظهر عليهِ . وهكذا اتباع هذا القائد اذا عرفوا كيف ينبغي لهم ان يستعملوا هذا السيف واستعملوهُ كما ينبغي لا يُغلَبون ابدًا

عَيْنَهُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ شُكْرًا لِلّٰهِ تَعَالَى عَلَى ذٰلِكَ ٱلظَّفَرِ ٱلسَّعِيدِ. وَكَانَتْ تِلْكَ ٱلْوَاقِعَةُ هَائِلَةً لَمْ أُشَاهِدْ مِثْلَهَا فِي ٱلْوَقَائِعِ. وَلَمَّا ٱنْفَصَلَتْ تِلْكَ ٱلنَّوْبَةُ بَيْنَهُمَا قَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ إِنِّي أَشْكُرُ مَنْ أَنْقَذَنِي مِنْ مَخَالِبِ ٱلْأَسَدِ وَقَوَّانِي عَلَى قِتَالِ هٰذَا ٱلْمَارِدِ ٱلْخَبِيثِ. وَلَمَّا سَكَنَ رَوْعُ ٱلْمَسِيحِيِّ وَطَابَتْ نَفْسُهُ أَنْشَدَ يَتَرَنَّمُ بِقَوْلِهِ شِعْرًا

قَدْ رَامَ بَعْلَزْبُولُ رَئِيسُ ذٰلِكَ ٱلـ
شَّيْطَانِ تَهْلُكَةً لِخَادِمِ رَبِّهِ
وَلِذَاكَ أَرْسَلَهُ إِلَيَّ مُسَلَّحًا
يَسْطُو عَلَيَّ بِطَعْنِهِ وَبِضَرْبِهِ
حَتَّى إِذَا جَرَتِ ٱلدِّمَا بِجِرَابِهِ
مِنِّي وَأَيْقَنْتُ ٱلْهَلَاكَ بِحَرْبِهِ
بَعَثَ ٱلْإِلٰهُ زَعِيمَهُ فَأَعَانَنِي
فَأَخَذْتُ سَيْفِي فَٱسْتَبَقْتُ لَهُ بِهِ
فَمَضَى أَلِيمَ ٱلْجُرْحِ يَطْلُبُ حِزْبَهُ
وَرَجَعْتُ أَشْكُرُ مَنْ أَنَا مِنْ حِزْبِهِ

وَكَانَ ٱلْمَسِيحِيُّ قَدْ أُثْخِنَ بِٱلْجِرَاحِ وَٱشْتَدَّ بِهِ ٱلْأَلَمُ فَأَتَاهُ

ٱللهُ بِيَدٍ فِيهَا وُرَيْقَاتٌ مِنْ شَجَرَةِ ٱلْحَيَاةِ . فَأَخَذَ تِلْكَ ٱلْأَوْرَاقَ وَجَعَلَهَا رِفَادَةً عَلَى جِرَاحِهِ فَبَرَأَتْ لِلْوَقْتِ (١) وَجَلَسَ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلزَّادِ ٱلَّذِي أَعْطَتْهُ إِيَّاهُ ٱلْعَذَارَى . وَلَمَّا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ نَهَضَ يَجْرِي فِي طَرِيقِهِ وَٱلسَّيْفُ فِي يَدِهِ خَوْفًا مِنْ مُفَاجِئٍ آخَرَ (٢) فَعَبَرَ ٱلْوَادِيَ وَلَمْ يَعْثُرْ عَلَى أَحَدٍ هُنَاكَ وَكَانَ بَعْدَ هٰذَا ٱلْوَادِي وَادٍ آخَرُ يُقَالُ لَهُ وَادِي ظِلَالِ ٱلْمَوْتِ (٣) وَكَانَتْ طَرِيقُ ٱلْمَدِينَةِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ فِي وَسَطِهِ وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْوَادِي قَفْرًا مُوحِشًا إِلَى ٱلْغَايَةِ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ إِرْمِيَا ٱلنَّبِيُّ بِقَوْلِهِ إِنَّ هٰذَا ٱلْبَرَّ هُوَ فِي قَفْرٍ غَيْرِ مَعْمُورٍ وَوَحْشٍ فِي أَرْضٍ يَبُوسَةٍ وَظِلِّ ٱلْمَوْتِ

---

(١) ان صاحب الرؤيا يتكلم عن شجرة الحياة التي تعطي ثمرها كل شهر واوراق هذه الشجرة لشفاء الامم رؤ ٢٢ : ٢ ولا ريب ان هذه الشجرة كناية عن المسيح واوراقها كناية عن دمهِ الذي يطهّرنا من خطايانا وعن برّهِ الذي اذا حلَّ بالايمان في الضمير المجروح يبرئُ جراحهُ الخبيثة

(٢) ان الجهاد مع الشيطان مما يجعل المسيحيين على حذر حتى انهم يسيرون وسيف الروح الذي هو كلمة الله في ايديهم

(٣) وادي ظلال الموت كنايةٌ عن الخوف الباطن والضنك والقتال الصادرة عن ظلام العقل وفقد العواطف الحية الروحية. ولا ريب ان الانسان وهو في هذه الحال يكره الواجبات الدينية ويتهاون في اتمامها . وهذا مما يقدّم سبيلاً لكثرة المخاوف والمحن

فِي أَرْضٍ لَمْ يَعْبُرْهَا رَجُلٌ وَلَمْ يَسْكُنْهَا إِنْسَانٌ (١) فَتَبَطَّنَ ٱلْمَسِيحِيُّ ذٰلِكَ ٱلْوَادِيَ وَأَوْغَلَ فِيهِ فَكَابَدَ فِيهِ مَشَقَّاتٍ أَشَدَّ مِنْ حَرْبِهِ مَعَ أَبُولِيُّونَ كَمَا سَتَرَى

قَالَ صَاحِبُ ٱلرُّؤْيَا وَرَأَيْتُ ٱلْمَسِيحِيَّ لَمَّا قَطَعَ وَادِيَ ٱلِٱتِّضَاعِ وَٱنْتَهَى إِلَى حُدُودِ وَادِي ظِلَالِ ٱلْمَوْتِ ٱلْتَقَى بِرَجُلَيْنِ مِنْ ذُرِّيَّةِ أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ أَخْبَرُوا بِأَمْرِ ٱلْأَرْضِ ٱلْجَيِّدَةِ بِٱلرَّدِيءِ (٢) وَهُمَا رَاجِعَانِ بِسُرْعَةٍ (٣) فَحَيَّاهُمَا ٱلْمَسِيحِيُّ وَقَالَ لَهُمَا إِلَى أَيْنَ تَذْهَبَانِ قَالَا إِنَّنَا رَاجِعَانِ إِلَى ٱلْوَرَاءِ. وَإِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَطْلُبُ ٱلْحَيَاةَ وَٱلسَّلَامَةَ فَٱرْجِعْ أَيْضًا. قَالَ وَكَيْفَ ذٰلِكَ فَقَالَا إِنَّنَا كُنَّا سَائِرَيْنِ فِي ٱلطَّرِيقِ ٱلَّتِي أَنْتَ تَسْلُكُهَا وَقَدْ تَقَدَّمْنَا فِيهَا عَلَى قَدْرِ مَا تَجَاسَرْنَا أَنْ نَتَقَدَّمَ حَتَّى كَادَ ٱلرُّجُوعُ يَمْتَنِعُ عَلَيْنَا وَلَوْ تَقَدَّمْنَا قَلِيلًا بَعْدَ ذٰلِكَ لَمَا ٱسْتَطَعْنَا أَنْ نَرْجِعَ إِلَى هُنَا وَنَأْتِيَكَ بِٱلْخَبَرِ. قَالَ أَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُمَا فَقَالَا إِنَّنَا عِنْدَمَا أَشْرَفْنَا عَلَى ٱلدُّخُولِ

---

(١) ار ٢:٦ (٢) عد ١٣:٣٢

(٣) اننا مرارًا كثيرة نصادف مثل هذين الرجلين ممن يشرعون في السفر وهم لا يشعرون بالخطيئة ولا يدركون الايمان او الرجاء الصادق او محبة يسوع الفائقة. واذا رجعوا من سفرهم يأتون باخبار ردية عن طريق ملكوت الله

فِي وَادِي ظِلَالِ ٱلْمَوْتِ نَظَرْنَا فِي مَا قُدَّامَنَا فَرَأَيْنَا ٱلْخَطَرَ قَبْلَ أَنْ وَقَعْنَا فِيهِ (١) قَالَ وَمَا ٱلْخَطَرُ ٱلَّذِي رَأَيْتُمَاهُ . فَقَالَا رَأَيْنَا ذٰلِكَ ٱلْوَادِيَ مُظْلِمًا حَرِجًا وَفِيهِ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْغِيلَانِ وَتَنَانِينِ ٱلْعُمْقِ وَسَمِعْنَا فِيهِ صِرَاخًا وَعَوِيلًا مُتَّصِلًا كَأَنَّمَا أُنَاسٌ يُعَذَّبُونَ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَقَدْ غَشِيَ ذٰلِكَ ٱلْوَادِيَ سَحَابُ ٱلزَّعَازِعِ وَبَسَطَ ٱلْمَوْتُ أَجْنِحَتَهُ عَلَيْهِ وَبِٱلِٱخْتِصَارِ نَقُولُ إِنَّهُ وَادِي ٱلْبَلَاءِ وَٱلظُّلْمَةِ وَظِلَالِ ٱلْمَوْتِ وَلَيْسَ فِيهِ قَرَارٌ بَلْ خَوْفٌ دَائِمٌ (٢) فَقَالَ إِنِّي لَا أَرَى مِمَّا ذَكَرْتُمَا إِلَّا أَنَّ هٰذِهِ هِيَ ٱلطَّرِيقُ إِلَى ٱلْمِينَا ٱلشَّهِيَّةِ قَالَا عَلَيْكَ بِهٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ فَٱسْلُكْهَا وَأَمَّا نَحْنُ فَلَا رَأْيَ لَنَا فِيهَا وَتَرَكَاهُ وَٱنْصَرَفَا (٣) فَٱسْتَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ وَٱلسَّيْفُ فِي يَدِهِ مَسْلُولٌ لِئَلَّا يُفَاجِئَهُ مَارِدٌ كَٱلْأَوَّلِ (٤)

قَالَ وَرَأَيْتُ فِي ذٰلِكَ ٱلْوَادِي مِنَ ٱلْجَانِبِ ٱلْأَيْمَنِ حُفْرَةً

---

(١) مز ٤٤: ١٩ (٢) اي ٣: ٥ و ١٠: ٢٢ (٣) مز ٤٤: ١٨ و ١٩ وار ٣: ٦ (٤) ان الناس يفضّلون الطريق التي هم فيها فيختارونها ولو كانت تؤدي الى الهلاك بخلاف الامناء فانهم يخضعون لنعمة الله ويسيرون في سبيله ولو كان يناقض هوى اللحم والدم وذلك مما يمتحن صدق المؤمنين بالحق ويكشف رياء المنافقين

عَمِيقَةً جِدًّا قَدِ ٱمْتَدَّتْ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَهِيَ ٱلَّتِي أَعْمَى ٱقْتَادَ إِلَيْهَا أَعْمَى فِي كُلِّ ٱلْقُرُونِ فَهَلَكَا كِلَاهُمَا مَعًا وَمِنَ ٱلْجَانِبِ ٱلْأَيْسَرِ بَالُوعَةٌ هَائِلَةٌ إِذَا سَقَطَ فِيهَا رَجُلٌ وَلَوْ كَانَ صَالِحًا لَا يَجِدُ مَكَانًا يَدُوسُهُ. وَقَدْ سَقَطَ فِيهَا دَاوُدُ ٱلنَّبِيُّ مَرَّةً وَلَوْ لَمْ يَنْتَشِلْهُ ٱلْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لَغَرِقَ فِيهَا لَا مَحَالَةَ[1] وَكَانَتِ ٱلطَّرِيقُ ضَيِّقَةً حَرِجَةً بَيْنَ تِلْكَ ٱلْحُفْرَةِ وَٱلْبَالُوعَةِ وَٱلْمَسِيحِيُّ قَدْ أَدْرَكَهُ ٱلظَّلَامُ فَٱرْتَبَكَ فِي سُلُوكِهِ بَيْنَهُمَا لِأَنَّهُ إِذَا تَجَنَّبَ ٱلْحُفْرَةَ عَلَى ٱلْجِهَةِ ٱلْوَاحِدَةِ كَادَ يَهْوِي عَلَى ٱلْبَالُوعَةِ إِلَى ٱلْجِهَةِ ٱلْأُخْرَى. وَإِذَا ٱتَّقَى ٱلْبَالُوعَةَ كَادَ يَهْبِطُ فِي ٱلْحُفْرَةِ. فَكَانَ يَمْشِي مُتَسَكِّعًا كَمَنْ يَمْشِي عَلَى وَتَرِ ٱلْقَوْسِ. وَكَانَ ٱلظَّلَامُ قَدْ غَشِيَ تِلْكَ ٱلطَّرِيقَ فَكَانَ أَحْيَانًا كَثِيرَةً يَرْفَعُ رِجْلَهُ وَلَا يَعْلَمُ أَيْنَ يَضَعُهَا فِي ٱلْخُطْوَةِ ٱلثَّانِيَةِ

قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّ فَمَ ٱلْجَحِيمِ كَانَ فِي وَسَطِ ذٰلِكَ ٱلْوَادِي

---

(١) مز ٦٨: ١٤ ان الحفرة التي عن اليمين كناية عن السقوط في المبادئ الفاسدة التي الاعمى عن الحقائق الروحية اقتاد اليها الاعمى نظيرهُ. والحفرة التي عن الشمال كناية عن الخطايا الخارجية التي يسقط فيها كثيرٌ من الناس ولا شك ان كلاً من الحفرتين عثرةٌ للسائحين ولكن الله يحفظ اقدام طاهريه ١ صم ٢: ٩

عَلَى جَانِبِ ٱلطَّرِيقِ وَكَانَ يَتَدَفَّقُ مِنْهُ لَهِيبٌ وَدُخَانٌ كَثِيفٌ وَشَرَارُ نَارٍ وَأَصْوَاتٌ هَائِلَةٌ. وَكُلُّ ذٰلِكَ لَا يُبَالِي بِسَيْفِ ٱلْمَسِيحِيِّ أَنْ يَجْرَحَهُ كَمَا جَرَحَ أَبُولِيُّونَ. فَأَغْمَدَ ٱلْمَسِيحِيُّ سَيْفَهُ لَمَّا رَأَى ذٰلِكَ وَٱسْتَعَانَ بِآلَةٍ أُخْرَى يُقَالُ لَهَا ٱلصَّلَاةُ بِمُدَاوَمَةٍ (١) وَصَرَخَ قَائِلًا بِٱسْمِكَ يَا رَبِّ دَعَوْتُ يَا رَبِّ نَجِّ نَفْسِي (٢) وَمَشَى طَوِيلًا عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالَةِ وَكَانَ ٱللَّهِيبُ لَا يَزَالُ يَمْتَدُّ نَحْوَهُ وَهُوَ يَسْمَعُ أَصْوَاتًا مُحْزِنَةً وَزَلَازِلَ مُرَوِّعَةً حَتَّى كَانَ يَتَرَاءَى لَهُ أَنَّهُ يُمَزَّقُ أَوْ يُدَاسُ كَٱلْوَحَلِ فِي ٱلْأَسْوَاقِ وَمَا زَالَتْ هٰذِهِ ٱلْمَخَاوِفُ مُحْدِقَةً بِهِ مَسَافَةَ أَمْيَالٍ كَثِيرَةٍ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَكَانٍ حَيْثُ تَخَيَّلَ لَهُ أَنَّهُ يَسْمَعُ أَصْوَاتَ زُمْرَةٍ مِنَ ٱلْجِنِّ مُقْبِلَةً عَلَيْهِ. فَوَقَفَ يُرَاجِعُ رَأْيَهُ وَكَانَ يَفْتَكِرُ تَارَةً أَنْ يَرْجِعَ ثُمَّ يَفْتَكِرُ أَنَّهُ قَدْ قَطَعَ نِصْفَ ذٰلِكَ ٱلْوَادِي فَلَا تَسْمَحُ نَفْسُهُ بِذَهَابِ أَتْعَابِهِ بَاطِلًا. ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِهِ إِنَّهُ قَدْ مَرَّتْ عَلَيْهِ مَخَاطِرُ كَثِيرَةٌ وَنَجَا مِنْهَا فَرُبَّمَا إِذَا عَادَ لَا يَكُونُ ذٰلِكَ أَسْلَمَ مِنْ تَقَدُّمِهِ فَثَبَّتَ رَأْيَهُ عَلَى ٱلتَّقَدُّمِ وَمَشَى مُتَوَكِّلًا عَلَى ٱللّٰهِ. وَكَانَ ضَجِيجُ ٱلْجِنِّ يَعْلُو وَيَقْرُبُ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ فَصَرَخَ

---

(١) اف ٦:١٨ (٢) مز ١١٦:٤

بِأَعْلَى صَوْتِهِ. وَقَالَ إِنِّي أَمْشِي فِي قُوَّةِ الرَّبِّ الْإِلٰهِ فَرَجَعُوا عِنْدَ ذٰلِكَ وَكَفُّوا عَنْهُ

قَالَ صَاحِبُ الرُّؤْيَا وَرَأَيْتُ الْمَسِيحِيَّ فِي أَثْنَاءِ ذٰلِكَ مُضْطَرِبًا قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الدَّهْشَةُ حَتَّى غَفَلَ عَنْ نَفْسِهِ فَإِنَّهُ عِنْدَمَا أَشْرَفَ عَلَى حَافَةِ تِلْكَ الْهَاوِيَةِ الْمُضْطَرِمَةِ ظَهَرَ خَبِيثٌ وَمَشَى خَلْفَهُ يَخْتَلِسُ خُطْوَاتِهِ بِحَيْثُ لَا يَشْعُرُ بِهِ وَجَدَّفَ بِكَلِمَاتٍ مُنْكَرَةٍ قَدْ هَمَسَ بِهَا سِرًّا فَتَخَيَّلَ لِلْمَسِيحِيِّ أَنَّ ذٰلِكَ قَدْ كَانَ مِنْهُ عَلَى سَهْوٍ (١) فَنَدِمَ وَعَظُمَ عَلَيْهِ ذٰلِكَ أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ الْعَظَائِمِ الَّتِي مَرَّتْ عَلَيْهِ. وَكَانَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الذُّهُولُ فَلَمْ يَفْطَنْ أَنْ يَسُدَّ أُذُنَيْهِ لِيَعْرِفَ الصَّوْتَ هَلْ كَانَ مِنْهُ أَمْ مِنْ غَيْرِهِ فَاشْتَدَّ فِي مَشْيِهِ عَلَى قَدْرِ مَا اسْتَطَاعَ حَتَّى بَعُدَ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ الْمُزْعِجَةِ. وَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ شَعَرَ بِصَوْتِ رَجُلٍ مَاشٍ قُدَّامَهُ يَقُولُ إِنِّي وَلَوْ مَشَيْتُ فِي وَسَطِ ظِلَالِ الْمَوْتِ لَا أَخْشَى الشَّرَّ

---

(١) ان كثيرين من اولاد الله المقرَّبين يصيبهم مثل ذلك فان الشيطان يرميهم بسهامهِ النارية ويقلقهم بالقاء الوساوس في ضمائرهم. ومراراً كثيرة يشوّش افكارهم لانهم حينئذٍ لا يقدرون ان يميّزوا تجاديف الشيطان عن افكار قلوبهم

لِأَنَّكَ مَعِي (١) فَاشْتَدَّ عَزْمُ ٱلْمَسِيحِيِّ وَٱمْتَلَأَ بَهْجَةً وَحُبُورًا لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ ٱلْبَعْضَ مِنْ رِجَالِ ٱللهِ كَانُوا مَاشِينَ فِي ذٰلِكَ ٱلْوَادِي مِثْلَهُ. وَرَأَى أَنَّ ٱللهَ كَانَ مَعَهُمْ فَتَرَجَّى أَنَّهُ يَكُونُ مَعَهُ أَيْضًا وَلَوْ كَانَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ لِسَبَبِ ٱلْمَانِعِ ٱلْمُلَاصِقِ ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ (٢) وَأَمَلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ قَلِيلٍ وَيَتَّخِذَهُمْ رِفَاقًا لَهُ وَهٰكَذَا كَانَ يَمْشِي وَيَدْعُو مَنْ هُوَ قُدَّامَهُ وَٱلْمَدْعُوُّ لَا يَعْلَمُ مَاذَا يُجِيبُهُ لِأَنَّهُ ظَنَّ نَفْسَهُ يَمْشِي مُنْفَرِدًا. وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا قَلِيلٌ بَعْدَ ذٰلِكَ حَتَّى طَلَعَ ٱلصَّبَاحُ فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ إِنَّ ٱلْقَادِرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَوَّلَ ظِلَالَ ٱلْمَوْتِ صَبَاحًا (١) وَٱلْتَفَتَ حِينَئِذٍ إِلَى وَرَائِهِ لِيَرَى تِلْكَ ٱلْمَخَاطِرَ ٱلَّتِي مَرَّ بِهَا لَيْلًا. فَرَأَى ٱلْحُفْرَةَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَى ٱلْجَانِبِ ٱلْوَاحِدِ وَٱلْبَالُوعَةَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَى ٱلْجَانِبِ ٱلْآخَرِ وَٱلطَّرِيقَ ٱلضَّيِّقَةَ ٱلَّتِي بَيْنَهُمَا. وَرَأَى ٱلْجِنَّ وَٱلْغِيلَانَ وَٱلتِّنَّانِينَ وَلٰكِنْ عَنْ بُعْدٍ لِأَنَّهُمْ بَعْدَ طُلُوعِ ٱلنَّهَارِ لَمْ يَعُودُوا يَقْتَرِبُونَ مِنْهُ لٰكِنَّهُمْ ظَهَرُوا لَهُ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ يَكْشِفُ ٱلْخَفِيَّاتِ مِنَ ٱلظَّلَامِ وَيُخْرِجُ ٱلنُّورَ مِنْ ظِلَالِ ٱلْمَوْتِ (٤) وَكَانَ ٱلْقِسْمُ ٱلْبَاقِي مِنَ ٱلطَّرِيقِ أَكْثَرَ خَطَرًا مِنَ ٱلْمَاضِي (٥) لِأَنَّهُ

---

(١) مز٢٣: ٤ (٢) اي ٩: ١١ (٣) عا٦: ٧ (٤) اي ١٢: ٢٢

(٥) ان الوقت الذي نحن فيه من الحين لا يخلو من مخاطر اخرى ولهذا

كَانَ مَمْلُوءًا مِنَ ٱلْفَخَاخِ وَٱلْأَشْرَاكِ وَٱلْمَصَائِدِ وَٱلشِّبَاكِ عَنِ ٱلْجَانِبِ ٱلْوَاحِدِ وَمِنَ ٱلْحُفَرِ وَٱلْمَهَاوِي وَٱلْمَطَامِيرِ وَٱلدَّهَالِيزِ عَنِ ٱلْجَانِبِ ٱلْآخَرِ. وَلَوْ أَنَّهُ كَانَ مُظْلِمًا كَٱلْأَوَّلِ لَمَا تَجَاسَرَ أَنْ يَمُرَّ بِهِ وَلَوْ كَانَ لَهُ أَلْفُ نَفْسٍ. وَلٰكِنْ لَمَّا كَانَ ضَوْءُ ٱلنَّهَارِ مُشْرِقًا حِينَئِذٍ تَوَكَّلَ عَلَى ٱللهِ وَسَارَ وَهُوَ يَقُولُ سِرَاجُهُ فَوْقَ رَأْسِي وَفِي ضَوْئِهِ أَسْلُكُ فِي ٱلظُّلْمَةِ[1]

قَالَ وَرَأَيْتُ ٱلْمَسِيحِيَّ قَدْ مَشَى عَلَى ذٰلِكَ ٱلضَّوْءِ إِلَى آخِرِ ٱلْوَادِي وَإِذَا بِدَمٍ وَعِظَامٍ وَرُمَادٍ وَأَجْسَامٍ مُمَزَّقَةٍ مَطْرُوحَةٍ فِي طَرَفِ ٱلْوَادِي تَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا مِنْ آثَارِ ٱلسَّائِحِينَ ٱلَّذِينَ سَلَكُوا فِي هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ قَبْلَ ذٰلِكَ. فَبَهِتُّ مُتَحَيِّرًا مِنْ ذٰلِكَ ٱلْمَنْظَرِ وَإِذَا بِٱلْقُرْبِ مِنِّي مَغَارَةٌ يَسْكُنُ فِيهَا مِنْ زَمَانٍ قَدِيمٍ جَبَّارَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا ٱلدَّجَّالُ وَلِلْآخَرِ ٱلْوَثَنِيُّ. وَهُمَا ٱللَّذَانِ بِقُوَّتِهِمَا وَظُلْمِهِمَا قَتَلَا أَصْحَابَ تِلْكَ ٱلْآثَارِ. فَمَشَى ٱلْمَسِيحِيُّ فِي ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ وَلَمْ يَمَسَّهُ ضَرَرٌ فَعَجِبْتُ مِنْ نَجَاتِهِ. وَلٰكِنِّي عَلِمْتُ بَعْدَ

ينبغي لنا ان نصلّي بايمان وحرارة لئلاَّ تغلب علينا الكبرياء الروحية والطمأنينة الباطلة وتسلب منا ثمر اتعابنا الجيدة شيئًا فشيئًا

(١) اي ٢:٣٠

ذٰلِكَ أَنَّ ٱلْوَثَنِيَّ كَانَ قَدْ مَاتَ وَأَنَّ ٱلْآخَرَ قَدْ شَاخَ وَضَعُفَ مِنْ كَثْرَةِ ٱلْمَعَارِكِ فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِأَحَدٍ بِسُوءٍ إِلَّا أَنَّهُ يَجْلِسُ عَلَى بَابِ ذٰلِكَ ٱلْكَهْفِ فَإِذَا مَرَّ بِهِ سَائِحٌ حَرَّقَ عَلَى أَسْنَانِهِ وَتَلَهَّفَ لِعَجْزِهِ عَنِ ٱلنُّهُوضِ إِلَيْهِ

قَالَ وَرَأَيْتُ ٱلْمَسِيحِيَّ قَدْ أَخَذَ فِي طَرِيقِهِ حَتَّى مَرَّ بِذٰلِكَ ٱلشَّيْخِ ٱلْجَالِسِ عَلَى بَابِ تِلْكَ ٱلْمَغَارَةِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْخُ نَظَرَ ٱلْمُغْضَبِ وَقَالَ إِنَّكُمْ لَا تَصْطَلِحُونَ حَتَّى يُحْرَقَ مِنْكُمْ أَيْضًا . فَلَمْ يَلْتَفِتِ ٱلْمَسِيحِيُّ إِلَى كَلَامِهِ وَٱسْتَمَرَّ فِي مَشْيِهِ غَيْرَ مُبَالٍ وَلَمْ تَنَلْهُ مَضَرَّةٌ . فَطَابَ قَلْبُهُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ شِعْرًا

لِلّٰهِ مِنْ أَمْرٍ عَجِيبْ ... مِنْ كُلِّ ذَا سَلِمَ ٱلْغَرِيبْ
فَأُبَارِكُ ٱلْيُمْنَى ٱلَّتِي ... تُعْطِي ٱلسَّلَامَةَ مِنْ قَرِيبْ
هَا قَدْ نَجَوْتُ مِنَ ٱلْأَبَا ... لِسِ وَٱلْخَفَائِرِ وَٱللَّهِيبْ
وَسَلِمْتُ مِنْ شَرَكٍ وَمِنْ ... وَمَقٍ وَغَدَّارٍ مُرِيبْ
هُوذَا أَنَا فَلْيَضْفِرِ ٱلْـ ... إِكْلِيلَ فَادِينَا ٱلْحَبِيبْ

وَإِنَّ ٱلْمَسِيحِيَّ قَدْ أَسْرَعَ فِي مَشْيِهِ بَعْدَ ذٰلِكَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى أَكَمَةٍ يُشْرِفُ مِنْهَا ٱلْمُسَافِرُونَ عَلَى مَا يَلِيهَا مِنَ ٱلطَّرِيقِ فَصَعِدَ

إِلَيْهَا (١) وَنَظَرَ فَرَأَى ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي كَانَ قَبْلاً يَسْمَعُ صَوْتَهُ وَيُنَادِيهِ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ ٱلْأَمِينُ. فَصَاحَ ٱلْمَسِيحِيُّ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا أَيُّهَا ٱلْأَمِينُ قِفْ حَتَّى أَصِلَ إِلَيْكَ. فَٱلْتَفَتَ ٱلْأَمِينُ إِلَى وَرَائِهِ وَنَادَاهُ ٱلْمَسِيحِيُّ أَيْضًا أَنْ يَقِفَ فَقَالَ كَلَّا لِأَنِّي طَالِبُ ٱلنَّجَاةِ وَٱلْمُنْتَقِمُ مِنَ ٱلدِّمَاءِ وَرَائِي (٢) فَتَحَرَّكَ بِذٰلِكَ ٱلْمَسِيحِيُّ وَأَسْرَعَ فِي مَسِيرِهِ حَتَّى أَدْرَكَهُ وَٱسْتَمَرَّ فِي جَرْيِهِ فَسَبَقَهُ حَتَّى صَارَ ٱلْأَوَّلُ آخِرًا وَحِينَئِذٍ تَبَسَّمَ ٱلْمَسِيحِيُّ عُجْبًا لِسَبْقِهِ أَخَاهُ ٱلسَّابِقَ وَلٰكِنَّهُ قَدْ غَفَلَ عَنِ ٱلتَّحَفُّظِ فَعَثَرَ سَاقِطًا وَعَجَزَ عَنِ ٱلنُّهُوضِ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْهِ ٱلْأَمِينُ وَأَخَذَ بِيَدِهِ فَقَامَا وَمَشَيَا مَعًا (٣)

وَتَمَكَّنَتْ بَيْنَهُمَا ٱلْمَحَبَّةُ وَٱلْأُلْفَةُ وَحَدَّثَ كُلٌّ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ

---

(١) ان الرب يعتني بشعبهِ وهو قد اقام لهم في طريقهم مشارف كثيرة بواسطة كلامهِ ومواعيدهِ لكي ينظروا منها الى ما وراءها بابتهاجٍ وحبور

(٢) ان المسيحيين عوض ان يسعف بعضهم بعضاً في سفرهِ قد يصدُّ احدهم الآخر مراراً كثيرة اذ يجعل نفسهُ دستوراً لهُ ولكن من كان امينًا في طريق الله لا يتأخر في سيرهِ امتثالاً باحدٍ ولو من اخوتهِ المسيحيين

(٣) اننا عند ما نرى انفسنا قد سبقنا غيرنا في سبيل الله يداخلنا العجب. غير ان لله مداواةً لكبريائنا يسمح بسقوطنا حتى نحتاج الى مساعدة الذي كنا قد سبقناهُ. وعند ذلك نتواضع متذللين امامهُ تعالى ونعترف بضعفنا

بِمَا عَرَضَ لَهُ فِي سَفَرِهِ وَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ يَا أَخِي ٱلْعَزِيزَ إِنِّي قَدْ سُرِرْتُ بِمُصَاحَبَتِكَ وَشَكَرْتُ ٱللهَ ٱلَّذِي جَمَعَ شَمْلِي بِكَ فِي هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ ٱلسَّعِيدَةِ (١) فَقَالَ ٱلْأَمِينُ إِنِّي كُنْتُ أَشْتَهِي مُصَاحَبَتَكَ مُنْذُ كُنْتَ فِي بَلْدَتِنَا وَلٰكِنَّكَ سَبَقْتَنِي فَٱلْتَزَمْتُ أَنْ أَقْطَعَ كُلَّ هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ وَحْدِي . قَالَ كَمْ يَوْمًا لَبِثْتَ فِي مَدِينَةِ ٱلْهَلَاكِ بَعْدَ سَفَرِي مِنْهَا . فَقَالَ إِنِّي لَبِثْتُ حَتَّى لَمْ أَسْتَطِعِ ٱللُّبْثَ أَيْضًا (٢) لِأَنَّ ٱلنَّاسَ بَعْدَ خُرُوجِكَ تَحَدَّثُوا كَثِيرًا أَنَّ مَدِينَتَنَا عَمَّا قَلِيلٍ تَحْتَرِقُ بِنَارٍ مِنَ ٱلسَّمَاءِ . قَالَ يَا لَلْعَجَبِ هَلْ كَانَ ٱلْقَوْمُ يَتَحَدَّثُونَ هٰكَذَا . فَقَالَ نَعَمْ إِنَّهُمْ كَانُوا كُلُّهُمْ يَتَحَدَّثُونَ بِذٰلِكَ زَمَانًا . قَالَ وَأَسَفَاهُ أَلَمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنْهُمْ سِوَاكَ . فَقَالَ إِنَّهُمْ كَانُوا يَتَحَدَّثُونَ بِذٰلِكَ كَمَا قُلْتُ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنْهُ عَلَى يَقِينٍ لِأَنِّي سَمِعْتُ بَعْضَهُمْ يَهْزَأُونَ فِي أَثْنَاءِ حَدِيثِهِمْ فِي خُرُوجِكَ وَيَنْسِبُونَهُ إِلَى

---

(١) ان المفاوضة مع اصحابنا المسيحيين تفيدنا كثيراً بشرط ان نجتنب العناد ونستعمل الحكمة كما فعل المسيحي في خطابهِ مع الامين ثم مع الراجي كما سيأتي

(٢) هذه حال الجميع فانهُ لا يجتهد احدٌ في الفرار من الغضب الآتي حتى يشعر بسوء حالهِ ويضطرب لاجل الخطر الحاصل عليهِ

ٱلْعَبَث . وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ وَثِقْتُ بِأَنَّ ذٰلِكَ لَا بُدَّ مِنْهُ وَفَرَرْتُ أَطْلُبُ ٱلنَّجَاةَ . قَالَ هَلْ سَمِعْتَ شَيْئًا عَنْ جَارِنَا ٱلْمُذْعِنِ . قَالَ نَعَمْ سَمِعْتُ أَنَّهُ تَبِعَكَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى بَالُوعَةِ ٱلْيَأْسِ وَسَقَطَ فِيهَا كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ لٰكِنَّهُ أَغْمَضَ خَبَرَهُ فَلَمْ يُكَاشِفِ ٱلنَّاسَ بِهِ . أَمَّا أَنَا فَلَمْ أَجْهَلْ أَمْرَهُ لِأَنِّي رَأَيْتُهُ مُلَطَّخًا بِتِلْكَ ٱلْأَوْحَالِ . قَالَ فَمَاذَا قَالَتِ ٱلْجِيرَانُ لَهُ . فَقَالَ إِنَّهُ كَانَ بَعْدَ رُجُوعِهِ أُضْحُوكَةً لَهُمْ يَسْخَرُونَ بِهِ وَيَهْزَأُونَ وَقَدِ ٱسْتَضْعَفُوا رَأْيَهُ حَتَّى صَارُوا لَا يَظُنُّونَهُ كُفُوًّا لِعَمَلٍ يَسْتَأْجِرُونَهُ لَهُ وَهُوَ ٱلْآنَ أَشْقَى حَالًا مِمَّا كَانَ لَوْ أَقَامَ فِي ٱلْمَدِينَةِ . قَالَ فَإِذَا كَانَ قَدْ تَرَكَ ٱلطَّرِيقَ ٱلَّتِي يَرْفُضُونَهَا فَمَا بَالُهُمْ يَزْدَرُونَهُ . فَقَالَ إِنَّهُمْ يَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِٱلصَّلْبِ لِأَنَّهُ مُتَقَلِّبٌ لَا يَصْدُقُ فِي إِقْرَارِهِ . وَأَظُنُّ أَنَّ ٱللهَ قَدْ حَرَّكَ أَعْدَاءَهُ لِيُعَيِّرُوهُ وَيَجْعَلُوهُ مَثَلًا بَيْنَ ٱلنَّاسِ لِأَنَّهُ تَرَكَ ٱلطَّرِيقَ[1] قَالَ أَمَا تَكَلَّمْتَ مَعَهُ قَبْلَ سَفَرِكَ . فَقَالَ قَدْ صَادَفْتُهُ مَرَّةً فِي ٱلسُّوقِ فَٱنْثَنَى إِلَى ٱلْجَانِبِ ٱلْآخَرِ كَأَنَّهُ خَجِلٌ مِمَّا فَعَلَ فَلَمْ أَتَكَلَّمْ مَعَهُ[2] قَالَ أَحْسَنْتَ وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ أَرْجُو ٱلصَّلَاحَ فِي هٰذَا

---

(١) ار ٢٩ : ١٨ و ١٩ (٢) ان المرتدّين عن طريق الرب يخجلون

ٱلرَّجُلِ عِنْدَ أَوَّلِ سَفَرِي . وَأَمَّا ٱلْآنَ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَهْلِكَ فِي خَرَابِ ٱلْمَدِينَةِ لِأَنَّهُ قَدْ صَحَّ عَلَيْهِ أَنَّهُ كَٱلْكَلْبِ ٱلَّذِي عَادَ إِلَى قَيْئِهِ وَكَٱلْخِنْزِيرَةِ ٱلَّتِي ٱغْتَسَلَتْ ثُمَّ تَمَرَّغَتْ فِي ٱلْحَمْأَةِ[1] فَقَالَ وَأَنَا أَخَافُ عَلَيْهِ مِنْ ذٰلِكَ أَيْضًا وَلٰكِنْ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْفَعَ حَوَادِثَ ٱلزَّمَانِ . قَالَ أَصَبْتَ يَا جَارِيَ ٱلْأَمِينَ فَلْنَتْرُكْهُ وَنَتَحَدَّثْ فِي مَا يَخُصُّ بِأَنْفُسِنَا . هَاتِ أَخْبِرْنِي مَاذَا صَادَفْتَ فِي ٱلطَّرِيقِ وَأَنْتَ قَادِمٌ لِأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ قَدْ رَأَيْتَ مَا يُخْبَرُ عَنْهُ وَإِلَّا فَذَاكَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَكْتُبُهُ ٱلْمُؤَرِّخُونَ. فَقَالَ إِنِّي نَجَوْتُ مِنَ ٱلْبَالُوعَةِ ٱلَّتِي أَعْلَمُ أَنَّكَ سَقَطْتَ فِيهَا وَوَصَلْتُ إِلَى ٱلْبَابِ مِنْ دُونِ ذٰلِكَ ٱلْخَطَرِ . إِلَّا أَنِّي ٱلْتَقَيْتُ بِٱمْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا ٱلْعَاهِرَةُ فَرَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَأَرَادَتْ أَنْ تُطْغِيَنِي بِخِدَاعِهَا ٱلْخَبِيثِ . فَقَالَ قَدْ أَيَّدَكَ ٱللّٰهُ بِرُوحٍ مِنْهُ وَنَجَّاكَ مِنْ شِبَاكِهَا فَإِنَّ يُوسُفَ قَدْ وَقَعَ فِي ضِيقٍ عَظِيمٍ بِسَبَبِهَا وَنَجَا كَمَا نَجَوْتَ أَنْتَ وَلٰكِنْ مَعَ خَطَرِ فَقْدِ حَيَاتِهِ[2] فَمَاذَا جَرَى بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا .

من لقاء خدام المسيح والنظر اليهم لانهم حينئذٍ يتذكرون خطاياهم . واما بعد ذلك فتكلُّ ضمائرهم وتعود قلوبهم الى القساوة (١) ٢ بط ٢ : ٢٢

(٢) تك ٣٩ : ١١ و١٢ ان الامين ولو كان قد نجا من بالوعة اليأس التي

فقال يعسر عليَّ أن أصف حلاوة ذلك اللسان الذي لاطفتني به لكي أوافقها وناهيك ما وعدتني به من اللذات والطيبات. قال إنها لم تعدك بلذات الضمير الصالح. فقال كلا أنت تعلم أن المراد بذلك اللذات الشهوانية والطيبات الدنيئة قال فاشكر الله على نجاتك منها لأن فاها حفرة عميقة والذي يغضب عليه الرب سيسقط فيها[1]. فقال إني غير واثق بنجاتي منها بالتمام[2] قال إني أرجو أن لا تكون قد أطعتها فقال حاشا لله إني تذكرت عبارة قديمة تقول إن خطواتها تتمسك

سقط فيها رفيقهُ المسيحي فانهُ قد فارقهُ الجسد بشهواتهِ ولا ريب ان هذه الشهوات ليس شيءٌ يؤذي النفس مثلها ولا يزعج الضمير كما تزعجهُ والغلبة عليها عسرة في الغاية . ولاسيما ان عدو الجنس البشري يضع في فخاخهِ ما يوافق اميال الخطاة فيقدِّم للحزين قطع الرجاء وللنهم شهوات الجسد وللبخيل رجاء الربح وللشريف الكبرياء وللمتبرِّر باعمالهِ الاتكال على نفسهِ وللكسلان الاحالة على اعمال المسيح عوضاً عنهُ وهلمَّ جرًّا

(١) ام ٢٢: ١٤

(٢) من كان ضميرهُ حيًّا يحزن جدًّا لاجل ميل الجسد الى الشهوة ولو كان ميلاً خفيًّا ولا يكاد يبرِّر نفسهُ من الذنب . ولا ريب ان ذلك مما يعلمنا سمو قيمة دم المسيح الذي يطهرنا من خطايانا ويجعلنا نتواضع امامهُ تعالى وننفر من سماجة سلوكنا

بِٱلْهَاوِيَةِ[١] فَأَغْمَضْتُ عَيْنَيَّ لِأَنِّي لَمْ أُرِدْ أَنْ أُسْحَرَ بِأَلْحَاظِهَا[١] وَلَمَّا رَأَتْنِي كَذٰلِكَ صَرَفَتْ وَجْهَهَا عَنِّي وَٱنْطَلَقْتُ لِسَبِيلِي. قَالَ وَهَلْ لَقِيتَ شَيْئًا آخَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ. فَقَالَ إِنِّي لَمَّا وَصَلْتُ إِلَى حَضِيضِ ٱلْجَبَلِ ٱلَّذِي يُقَالُ لَهُ ٱلصُّعُوبَةُ لَقِيتُ رَجُلًا فِي غَايَةِ ٱلشَّيْخُوخَةِ فَقَالَ لِي مَنْ أَنْتَ وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. قُلْتُ سَائِحٌ مُسَافِرٌ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ. قَالَ إِنِّي أَرَاكَ رَجُلًا أَمِينًا فَهَلْ لَكَ أَنْ تُقِيمَ عِنْدِي عَلَى أُجْرَةٍ أَدْفَعُهَا إِلَيْكَ. فَقُلْتُ لَهُ وَمَنْ أَنْتَ وَأَيْنَ تَسْكُنُ. قَالَ أَنَا آدَمُ ٱلْأَوَّلُ[٢] أَسْكُنُ فِي قَرْيَةِ ٱلْغِشِّ[٣]. قُلْتُ فَمَا هُوَ ٱلْعَمَلُ ٱلَّذِي عِنْدَكَ وَمَا هِيَ ٱلْأُجْرَةُ ٱلَّتِي تُعْطِيهَا. فَقَالَ أَمَّا ٱلْعَمَلُ فَٱللَّذَّاتُ ٱلشَّهِيَّةُ وَأَمَّا ٱلْأُجْرَةُ فَمِيرَاثِي أَخِيرًا. قُلْتُ فَمَاذَا مَنْزِلُكَ وَمَنْ أَعْوَانُكَ. فَقَالَ أَمَّا مَنْزِلِي فَسَاحَةُ ٱللَّذَّاتِ

---

(١) ام ٥:٥ (٢) اي ١:٢١

(٣) هذا يشير الى الخطية التي ورثناها من ابينا آدم وهي الفساد المستولي على طبيعتنا التي تنصب دائمًا فخاخًا في طريق كثيرين من المؤمنين لكي تصطادهم بما لنها اياهم الى اللذات العالمية والغنى ومحبة الكرامة والمجد الباطل واشباه ذلك . ولا سبيل الى الغلبة عليها الا بجهادٍ عظيمٍ وقتالٍ دائمٍ وايمان وطيد وصلاة حارَّة

(٤) اف ٤:٢٢

ٱلدُّنْيَوِيَّةِ وَأَمَّا أَعْوَانِي فَأَوْلَادٌ لِي. قُلْتُ كَمْ وَلَدًا لَكَ فَقَالَ ثَلَاثُ بَنَاتٍ شَهْوَةُ ٱلْجَسَدِ وَشَهْوَةُ ٱلْعُيُونِ وَتَعَظُّمُ ٱلْمَعِيشَةِ (١) وَهُنَّ لَكَ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَتَزَوَّجَ. قُلْتُ فَإِلَى مَتَى تُرِيدُ أَنْ أَكُونَ عِنْدَكَ. قَالَ مَا دُمْتُ أَنَا حَيًّا. فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ لِلْأَمِينِ حَيَّاكَ ٱللهُ يَا صَاحِ. فَمَاذَا تَمَّ بَيْنَكُمَا. قَالَ إِنِّي فِي أَوَّلِ ٱلْأَمْرِ مِلْتُ إِلَى مُصَاحَبَتِهِ لِأَنِّي أَحْسَنْتُ فِيهِ ٱلظَّنَّ لَكِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيهِ بَعْدَ ذٰلِكَ فَوَجَدْتُ مَكْتُوبًا عَلَى جَبِينِهِ ٱخْلَعُوا عَنْكُمُ ٱلْإِنْسَانَ ٱلْعَتِيقَ مَعَ أَعْمَالِهِ (٢) قَالَ ثُمَّ مَاذَا. فَقَالَ قُلْتُ فِي نَفْسِي إِنَّ هٰذَا ٱلشَّيْخَ مَهْمَا قَالَ وَكَيْفَمَا تَمَلَّقَنِي فَمَتَى حَصَلْتُ فِي مَنْزِلِهِ كُنْتُ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ عَبْدٍ. وَبِنَاءً عَلَى ذٰلِكَ طَلَبْتُ مِنْهُ قَطْعَ ٱلْكَلَامِ فِي هٰذَا ٱلْأَمْرِ وَرَأَى مِنِّي ٱلْكَرَاهَةَ. فَزَجَرَنِي وَقَالَ ٱغْرُبْ عَنِّي وَأَنَا أُرْسِلُ خَلْفَكَ مَنْ يَجْعَلُ طَرِيقَكَ مَرَارَةً. فَٱنْثَنَيْتُ إِلَى طَرِيقِي وَمَا تَمَادَيْتُ حَتَّى شَعَرْتُ أَنَّهُ أَمْسَكَنِي وَٱجْتَذَبَنِي جَذْبَةً ظَنَنْتُ أَنَّهَا هَدَمَتْ جَانِبًا مِنِّي فَصَرَخْتُ قَائِلًا أَنَا إِنْسَانٌ شَقِيٌّ (٣) وَأَجْفَلْتُ صَاعِدًا فِي ٱلْجَبَلِ حَتَّى تَوَسَّطْتُ سَفْحَهُ فَٱلْتَفَتُّ

---

(١) ١يو٢: ١٦ (٢) كو٣: ٩ (٣) رو٧: ٢٥

وَإِذَا بِرَاكِضٍ يَخْفِقُ فِي أَثَرِي كَهُبُوبِ ٱلرِّيَاحِ. وَمَا زَالَ حَتَّى أَدْرَكَنِي عِنْدَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلْمَغْرُوسَةِ فِي ٱلطَّرِيقِ. فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ أَوَّاهُ إِنِّي قَدْ جَلَسْتُ تَحْتَ هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ لِأَسْتَرِيحَ فَغَلَبَ عَلَيَّ ٱلنُّعَاسُ وَضَيَّعْتُ هٰذِهِ ٱلصَّحِيفَةَ. قَالَ ٱلْأَمِينُ ٱسْمَعْ يَا أَخِي لِأُخْبِرَكَ بِتَمَامِ ٱلْحَدِيثِ. إِنَّ هٰذَا ٱلرَّجُلَ أَدْرَكَنِي هُنَاكَ فَعَاجَلَنِي بِلَطْمَةٍ فَأَلْقَانِي عَلَى ٱلْأَرْضِ كَٱلْمَيِّتِ. ثُمَّ ٱنْتَبَهْتُ عَلَى نَفْسِي فَقُلْتُ لَهُ يَا مَوْلَايَ لِمَاذَا فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ. قَالَ لِمَيْلِكَ ٱلْبَاطِنِ إِلَى آدَمَ ٱلْأَوَّلِ وَأَهْوَى عَلَى صَدْرِي بِلَطْمَةٍ أُخْرَى فَطَرَحَنِي عَلَى ٱلْأَرْضِ ثَانِيَةً كَأَنِّي مَيِّتٌ فَلَمَّا أَفَقْتُ طَلَبْتُ مِنْهُ ٱلرَّحْمَةَ. فَقَالَ لَا أَعْلَمُ كَيْفَ أَصْنَعُ ٱلرَّحْمَةَ وَدَفَعَنِي أَيْضًا فَٱنْطَرَحْتُ عَلَى ٱلْأَرْضِ. وَلَوْ لَمْ يَأْتِنِي مَنْ يَأْمُرُهُ بِٱلْكَفِّ عَنِّي لَأَمَاتَنِي سَحْقًا لَا مَحَالَةَ[1] قَالَ تُرَى مَنْ هُوَ ٱلَّذِي أَمَرَهُ أَنْ يَكُفَّ عَنْكَ. قَالَ إِنِّي لَمْ أَعْرِفْهُ أَوَّلًا إِلَّا أَنَّنِي بَعْدَ ٱنْصِرَافِهِ رَأَيْتُ ٱلْجِرَاحَ فِي يَدَيْهِ

---

(١) يشير ذلك الى موسى او شريعة الله كما سيأتي بيانهُ. فلا تظن يا ايها الحبيب ان الشريعة تلاحظ الافعال الخارجية فقط بل تلاحظ افكار القلوب وخفاياها ايضًا وتجعل الانسان يقطع رجاءهُ من الخلاص وتجلب عليهِ اللعنة ولو لاجل ادنى ميلٍ خفيٍّ الى الشهوة

وَجَنبِهِ فَٱسْتَنْتَجْتُ أَنَّهُ ٱلرَّبُّ. وَمَا صَدَّقْتُ أَنْ أَفَلْتُ حَتَّى رَكَضْتُ صَاعِدًا فِي ٱلْجَبَلِ. قَالَ وَذٰلِكَ ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي أَدْرَكَكَ هُوَ مُوسَى وَهُوَ لَا يَعْفُو عَنْ أَحَدٍ وَلَا يَعْلَمُ كَيْفَ يَصْنَعُ ٱلرَّحْمَةَ مَعَ مَنْ يَتَجَاوَزُ شَرِيعَتَهُ. فَقَالَ قَدْ عَلِمْتُ ذٰلِكَ قَبْلَ هٰذِهِ ٱلْمَرَّةِ لِأَنَّهُ أَتَانِي وَأَنَا فِي مَنْزِلِي مُطْمَئِنٌّ وَقَالَ لِي إِنْ بَقِيتُ فِيهِ يَحْرِقُهُ عَلَى رَأْسِي. قَالَ هَلْ رَأَيْتَ ٱلْقَصْرَ ٱلْمَبْنِيَّ هُنَاكَ عَلَى رَأْسِ ٱلْجَبَلِ ٱلَّذِي عَلَى جَانِبِهِ ٱلْتَقَاكَ مُوسَى. فَقَالَ نَعَمْ وَرَأَيْتُ ٱلْأَسَدَيْنِ أَيْضًا قَبْلَ وُصُولِي إِلَيْهِ وَأَظُنُّهُمَا كَانَا نَائِمَيْنِ لِأَنَّهُمَا لَمْ يَتَعَرَّضَا لِي. وَكَانَ ٱلظُّهْرُ فَجُزْتُ وَمَرَرْتُ بِٱلْبَوَّابِ وَٱنْطَلَقْتُ لَا أَلْتَفِتُ إِلَى أَحَدٍ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى أَسْفَلِ ٱلْجَبَلِ. قَالَ قَدْ أَخْبَرَنِي ٱلْبَوَّابُ بِمُرُورِكَ وَتَمَنَّيْتُ لَوْ كُنْتَ دَخَلْتَ ذٰلِكَ ٱلْقَصْرَ فَرَأَيْتَ مَا فِيهِ مِنَ ٱلْمَنَاظِرِ ٱلْعَجِيبَةِ ٱلَّتِي لَوْ رَأَيْتَهَا لَٱفْتَتَنْتَ بِهَا وَكَتَبْتَهَا عَلَى صَفَحَاتِ قَلْبِكَ فَلَا تَنْسَاهَا إِلَى ٱلْمَمَاتِ

وَٱلْآنَ أُرِيدُ أَنْ تُخْبِرَنِي هَلْ صَادَفْتَ أَحَدًا فِي وَادِي ٱلِٱتِّضَاعِ. فَقَالَ نَعَمْ قَدْ صَادَفْتُ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ ٱلطَّمَعُ وَهٰذَا أَرَادَ أَنْ يَثْنِيَ عَزْمِي إِلَى ٱلرُّجُوعِ بِزَعْمِهِ أَنَّ ذٰلِكَ ٱلْوَادِيَ

مِنْ مَوَاطِنِ ٱلذُّلِّ وَٱلْهَوَانِ وَأَنَّ عُبُورِي فِيهِ يُحْزِنُ أَصْدِقَائِي ٱلَّذِينَ هُمُ ٱلْكِبْرِيَاءُ وَٱلتِّيهُ وَٱلْغُرُورُ ٱلذَّاتِيُّ وَٱلْمَجْدُ ٱلْعَالَمِيُّ وَغَيْرُهُمْ مِنْ هٰذَا ٱلْقَبِيلِ . وَقَالَ إِنَّ هٰؤُلَاءِ يَتَمَزَّقُونَ غَيْظًا إِذَا رَضِيتَ لِنَفْسِكَ بِٱلْجَهْلِ وَعَبَرْتَ هٰذَا ٱلْوَادِيَ (١) قَالَ فَمَاذَا قُلْتَ لَهُ فَقَالَ إِنِّي قُلْتُ لَهُ إِنَّ هٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ تَذْكُرُهُمْ وَإِنْ سَلَّمْتُ بِأَنَّهُمْ أَصْدِقَاءُ لِي وَأَنْسِبَاءُ فَإِنَّ ذٰلِكَ قَدْ كَانَ بِحَسَبِ ٱلْجَسَدِ قَبْلَ خُرُوجِي مِنْ دِيَارِ هٰذِهِ ٱلْعَشِيرَةِ وَٱلْآنَ قَدْ قَطَعْنَا تِلْكَ ٱلْعَلَاقَةَ وَجَحَدْتُهُمْ وَجَحَدُونِي فَلَا أَرْعَى لَهُمْ حُرْمَةً أَكْثَرَ مِمَّا لِلْأَجَانِبِ ٱلْغُرَبَاءِ . وَأَمَّا ٱلْوَادِي فَقَدِ ٱفْتَرَيْتَ عَلَيْهِ زُورًا لِأَنَّهُ قَبْلَ ٱلْكَسْرِ ٱلْكِبْرِيَاءُ وَقَبْلَ ٱلسُّقُوطِ تَشَامُخُ ٱلرُّوحِ (٢) وَعَلَى ذٰلِكَ أَقُولُ إِنَّ عُبُورِي فِيهِ سَبِيلٌ إِلَى ٱقْتِنَاءِ ٱلْكَرَامَةِ ٱلْمَعْدُودَةِ كَرَامَةً بِٱلْحَقِيقَةِ عِنْدَ ٱلْحُكَمَاءِ ٱلْأَفَاضِلِ فَٱخْتَرْتُهُ عَلَى تِلْكَ

---

(١) هنا يظهر الفرق بين المسيحيين في ملاقاتهم الاعداء فان المسيحي لم يقاتله الطمع كما قاتل الامين . وكثيرون من اهل السياحة يكونون اكثر رضًا من غيرهم بسياحتهم ولا يخفى ان براهين الايمان تغلب دائمًا الطمع الصادر من الكبرياء والتيه والغرور الذاتي والمجد العالمي ومحبة الدنيا ونعيمها وغناها وزخارفها ونحو ذلك من اباطيلها

(٢) ام ١٦ : ١٨

ٱلْأَشْيَاءُ ٱلَّتِي تَعْتَبِرُهَا أَنْتَ . قَالَ وَهَلْ صَادَفْتَ غَيْرَ ذٰلِكَ فِي ٱلْوَادِي فَقَالَ نَعَمْ قَدْ صَادَفْتُ ٱلْمُخَجَّلَ وَأَرَاهُ قَدْ سُمِّيَ بِذٰلِكَ عَبَثًا دُونَ جَمِيعِ ٱلنَّاسِ ٱلَّذِينَ صَادَفْتُهُمْ لِأَنَّ أُولٰئِكَ كَانُوا يُسَلِّمُونَ بَعْدَ إِقَامَةِ بُرْهَانٍ أَوْ دَلِيلٍ وَأَمَّا هٰذَا ٱلْعَادِمُ ٱلْحَيَاءِ فَلَا يُسَلِّمُ مُطْلَقًا . قَالَ وَكَيْفَ ذٰلِكَ . فَقَالَ إِنَّهُ فَاسِدُ ٱلْعَقِيدَةِ فِي ٱلدِّينِ رَدِيءُ ٱلْأَخْلَاقِ فِي ٱلتَّصَرُّفِ وَهُوَ يَقُولُ بِأَنَّ ٱلْمُحَافَظَةَ عَلَى ٱلسُّلُوكِ بِحَسَبِ ٱلشَّرَائِعِ ٱلدِّينِيَّةِ طَرِيقَةٌ دَنِيئَةٌ وَحَالَةٌ شَقِيَّةٌ يُرْثَى لَهَا وَبِأَنَّ رِقَّةَ ٱلْقَلْبِ رَكَاكَةٌ فِي ٱلْعَزْمِ وَضَعْفٌ فِي ٱلْهِمَّةِ وَبِأَنَّ مَنْ سَهِرَ عَلَى ضَبْطِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ حَتَّى يُقَيِّدَ نَفْسَهُ بِهٰذَا ٱلْأَسْرِ وَيَمْنَعَهَا ٱلتَّمَتُّعَ بِتِلْكَ ٱلْحُرِّيَّةِ ٱلَّتِي تَتَصَرَّفُ بِهَا ٱلْأَنْفُسُ ٱلظَّافِرَةُ يَصِيرُ أُضْحُوكَةً لِأَهْلِ هٰذَا ٱلزَّمَانِ وَبِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْأَقْوِيَاءِ وَٱلْأَغْنِيَاءِ وَٱلْحُكَمَاءِ يَذْهَبُ مَذْهَبَهُ إِلَّا ٱلْقَلِيلُ وَهٰؤُلَاءِ ٱلْقَلِيلُونَ قَدْ صَارُوا جُهَّالًا بِٱرْتِضَائِهِمِ ٱلْمُخَاطَرَةَ فِي أَهْوَالٍ مَعْلُومَةٍ طَمَعًا فِي شَيْءٍ غَيْرِ مَعْلُومٍ (١) وَقَدْ بَالَغَ فِي ذَمِّ ٱلْحَالَةِ ٱلدَّنِيئَةِ ٱلَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا أَكْثَرُ ٱلسَّائِحِينَ فِي هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ

(١) اكو ١: ٢٦ و ٢: ١٨ وفي ٢: ٧-٩ ويو ٧: ٤٨

وَحَكَمَ عَلَيْهِمْ بِضَعْفِ ٱلْعُقُولِ وَٱلْجَهَالَةِ . ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلَى أُمُورٍ مُخْتَلِفَةٍ لَامَنِي عَلَيْهَا وَقَالَ أَلَيْسَ عَارًا عَلَيْكَ أَنْ تَجْلِسَ عِنْدَ ٱسْتِمَاعِ ٱلْوَعْظِ بَاكِيًا وَأَنْ تَرْجِعَ إِلَى بَيْتِكَ حَاسِرًا مُنْكَسِرًا وَأَنْ تَسْتَغْفِرَ مِنْ صَاحِبِكَ عَلَى هَفَوَاتٍ أَسَأْتَ بِهَا إِلَيْهِ وَأَنْ تَرُدَّ غَصْبًا مَا سَلَبْتَهُ ٱلنَّاسَ . أَمَا تَرَى أَنَّ مِثْلَ هٰذَا يَحُطُّ ٱلْإِنْسَانَ عَنْ دَرَجَةِ ٱلْأَكَابِرِ وَيُلْحِقُهُ بِٱلْأَدْنِيَاءِ[1] قَالَ فَمَاذَا قُلْتَ لَهُ . فَقَالَ إِنَّهُ ضَاقَ عَلَيَّ مَذْهَبُ ٱلْكَلَامِ فَعَجَزْتُ عَنِ ٱلْجَوَابِ حَتَّى كَادَ قَلْبِي يَنْصَدِعُ وَمَالَتْ أَفْكَارِي إِلَى ٱلتَّشْوِيشِ لٰكِنِّي ذَكَرْتُ بَعْدَ ذٰلِكَ أَنَّ ٱلْمُسْتَعْلِيَ عِنْدَ ٱلنَّاسِ هُوَ رِجْسٌ قُدَّامَ ٱللّٰهِ[2] وَٱفْتَكَرْتُ أَنَّ هٰذَا ٱلْقَائِلَ يَتَكَلَّمُ فِي شَأْنِ ٱلنَّاسِ وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي شَأْنِ ٱللّٰهِ وَكَلِمَتِهِ . وَتَأَمَّلْتُ أَنَّنَا لَا نُحَاكَمُ يَوْمَ ٱلْقَضَاءِ بِٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْحَيَاةِ

---

(١) انهُ لا يوجد برهانٌ على اضاعتنا صورة الله اقوى من خجلنا بالامور المنسوبة اليهِ . ولا شك انهُ متى اقترن الخجل بالخوف يكون اكبر المضادين لحق الله ويقاوم مجد المسيح وعزاء انفسنا المكتسب منهُ لهُ المجد . فينبغي لنا اذن ان نعترف بالمسيح بجراءة ونخضع لهُ بتذلل ولا نخاف ان يفقد مناكرامتنا العالمية . لان المسيح يخاطبنا بكلماتٍ هائلة محذّرًا لنا من ذلك بقولهِ لان من استحى بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطئ فان ابن الانسان يستحي بهِ متى جاء بمجد ابيهِ مر ٨ : ٣٨ (٢) لو ١٦ : ١٥

عَلَى مُقْتَضَى هَذَيَانِ رُوحِ ٱلْعَالَمِ وَلٰكِنْ حَسَبَ حِكْمَةِ ٱلْعَلِيِّ وَشَرِيعَتِهِ. فَحَكَمْتُ أَنَّ ٱلْأَفْضَلَ ٱخْتِيَارُ مَا قَالَهُ ٱللهُ وَٱلتَّمَسُّكُ بِهِ وَلَوْ نَاقَضَتْهُ حُكَمَاءُ ٱلدُّنْيَا. وَقُلْتُ لِذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ ٱغْرُبْ عَنِّي يَا عَدُوَّ خَلَاصِي إِنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تُطْغِيَنِي فِي مَا يُغْضِبُ مَلِكِي وَإِلٰهِي وَإِذَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ فَكَيْفَ أَرَى وَجْهَهُ يَوْمَ مَجِيئِهِ[1] وَكَانَ هٰذَا ٱلْخَبِيثُ وَقِحًا لَجُوجًا فَلَمْ يَتْرُكْنِي وَمَا زَالَ يَتَكَلَّمُ فِي أُذُنِي وَيُوَسْوِسُ إِلَيَّ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ ٱلْجِهَادَ ٱلَّذِي أَنْتَ فِيهِ بَاطِلٌ وَٱلرَّجَاءَ ٱلَّذِي أَنْتَ فِيهِ مُحَالٌ لِأَنَّ ٱلَّذِي تَرَاهُ عَيْنَ ٱلْهَوَانِ أَرَاهُ إِكْلِيلَ ٱلْمَجْدِ وَٱلْغِبْطَةِ. وَٱجْتَهَدْتُ فِي ٱلْمَسِيرِ حَتَّى سَبَقْتُهُ وَأَنْشَدْتُ أَقُولُ شِعْرًا

إِنَّ ٱلْبَلَايَا ٱلنَّاشِئَا ... تِ مِنَ ٱلْعَدَاوَةِ وَٱلْحَسَدْ
ٱلنَّازِلَاتِ بِمَنْ أَجَا ... بَ دُعَاءَ خَالِقِهِ ٱلصَّمَدْ
خُدَعٌ مُزَخْرَفَةٌ مُطَا ... بِقَةٌ لِأَهْوَاءِ ٱلْجَسَدْ
تُغْوِي فَتُلْقِي ٱلنَّاسَ فِي ... خَطَرِ ٱلسُّقُوطِ إِلَى ٱلْأَبَدْ
فَلْيَحْذَرِ ٱلسَّاعِي هُنَا ... مِنْهَا وَيَعْمَلْ بِٱلرَّشَدْ

---

(١) مر ٨:٣٨

وَيَجِدُّ فِي طَلَبِ ٱلْهُدَى مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ وَجَدْ

فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ قَدْ سَرَرْتَنِي يَا أَخِي بِجَسَارَتِكَ عَلَى مُقَاوَمَةِ هٰذَا ٱلْخَبِيثِ ٱلَّذِي يَتْبَعُنَا فِي ٱلْأَسْوَاقِ وَيَجْتَهِدُ أَنْ يُخْجِلَنَا أَمَامَ ٱلْجَمِيعِ أَيْ أَنْ يَجْعَلَنَا نَخْجَلُ مِنَ ٱلصَّالِحَاتِ وَهٰذَا يُبَرْهِنُ قِلَّةَ خَجَلِهِ وَعَدَمَ لِيَاقَتِهِ لِهٰذَا ٱلِٱسْمِ فَلْنُقَاوِمْهُ دَائِمًا لِأَنَّ صُحْبَتَهُ عَارٌ وَمُرَافَقَتَهُ مَذَلَّةٌ كَمَا قَالَ سُلَيْمَانُ ٱلْحَكِيمُ ٱلْحُكَمَاءُ يَرِثُونَ مَجْدًا وَٱلْحَمْقَى يَحْمِلُونَ هَوَانًا[1]. فَقَالَ ٱلْأَمِينُ نَعَمْ وَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَطْلُبَ ٱلْإِسْعَافَ عَلَيْهِ مِنْ لَدُنْهُ تَعَالَى ٱلَّذِي يُرِيدُ أَنْ نَكُونَ أَقْوِيَاءَ لِأَجْلِ ٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْأَرْضِ

قَالَ صَاحِبُ ٱلرُّؤْيَا وَرَأَيْتُ ٱلْمَسِيحِيَّ وَٱلْأَمِينَ بَعْدَ ذٰلِكَ مُنْطَلِقَيْنِ وَكَانَتْ طَرِيقُهُمَا حِينَئِذٍ وَاسِعَةً وَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ ٱلْتَفَتَ ٱلْأَمِينُ فَرَأَى رَجُلًا مَاشِيًا عَلَى بُعْدٍ قَلِيلٍ مِنْهُمَا يُقَالُ لَهُ ٱلْمُنْطَلِيقُ[2] وَكَانَ طَوِيلَ ٱلْقَامَةِ مَنْظَرُهُ مِنْ بَعِيدٍ أَحْسَنُ

---

(١) ام ٣:٣٥

(٢) ان الناس في ايامنا هذه يعترفون بديانة المسيح بافواههم واما قلوبهم فهي بعيدة من طهارة الانجيل ومفاعيل الديانة اللازمة للحياة الروحية. وهذا المنطيق رمزٌ الى كثيرين ممَّن يتحدَّثون بفصاحةٍ باهرة في شأن حقائق الانجيل

مِمَّا هُوَ مِنْ قَرِيبٍ فَقَالَ لَهُ ٱلْأَمِينُ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ يَا أَخِي هَلْ إِلَى ٱلْبَلْدَةِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ. قَالَ نَعَمْ. قَالَ طَابَ مَزَارُكَ وَلَعَلَّنَا نَفُوزُ بِصُحْبَتِكَ ٱلصَّالِحَةِ. فَقَالَ حُبًّا وَكَرَامَةً. قَالَ هَلُمَّ بِنَا لِنَسْتَأْنِسَ بِكَ وَنَقْطَعَ ٱلطَّرِيقَ فِي ٱلْحَدِيثِ ٱلْمُفِيدِ. فَقَالَ إِنِّي أَشْتَهِي هٰذَا ٱلْحَدِيثَ مَعَ كُلِّ صَاحِبٍ وَجَلِيسٍ وَقَدْ سُرِرْتُ بِمُصَادَفَتِي مَنْ يَلْتَذُّ بِهٰذَا ٱلْمَشْرَبِ ٱلْعَذْبِ ٱلَّذِي يَكْرَهُهُ أَكْثَرُ أَهْلِ هٰذَا ٱلزَّمَانِ. قَالَ حَيَّاكَ ٱللّٰهُ فَإِنَّ ٱلْأَلْسُنَ أَحْسَنُ مَا ٱسْتُعْمِلَتْ فِي ٱلْاَحَادِيثِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ ٱلْمَنْسُوبَةِ إِلَى خَالِقِهَا بِحِكْمَتِهِ ٱلْبَاهِرَةِ لِإِفَادَةِ ٱلْبَشَرِ. فَقَالَ إِنِّي قَدْ شُغِفْتُ بِحُبِّكَ أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ لِأَنَّ كَلَامَكَ مَمْلُوءٌ حَقًّا وَصَوَابًا. وَفَضْلًا عَنْ ذٰلِكَ إِنَّهُ لَا يُوجَدُ كَلَامٌ مُفِيدٌ وَلَذِيذٌ مِثْلُ ٱلْكَلَامِ فِي هٰذِهِ ٱلْمَبَاحِثِ عِنْدَ مَنْ لَهُ رَغْبَةٌ فِي ٱكْتِسَابِ ٱلْحِكْمَةِ وَٱلْوُقُوفِ عَلَى عَظَائِمِ ٱلْأُمُورِ. لِأَنَّ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَدِيثَ فِي ٱلْوَقَائِعِ ٱلْقَدِيمَةِ أَوْ فِي نَفَائِسِ ٱلْأُمُورِ

ولكن ليس لها اثر في تجديد قلوبهم وتشبيههم بصورة المسيح . ولا ريب ان من كان على هذه الحال يكون بارًّا مع الابرار وشرّيرًا مع الاشرار ومنافقًا مع المنافقين . وهذا مما يجلب افتراء على الديانة ويجعل الآخرين يفترون على طريق الله الصالحة ويبلبلون الضمائر السليمة

كَالْعَجَائِبِ وَالْغَرَائِبِ وَالْآيَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ لَا يَجِدُ مِنْ ذٰلِكَ فِي جَمِيعِ الْأَسْفَارِ وَالتَّوَارِيخِ كَمَا يَجِدُ فِي الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ. قَالَ صَدَقْتَ وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْغَايَةُ الْوَحِيدَةُ مِنْ مِثْلِ هٰذَا الْحَدِيثِ اكْتِسَابَ الْفَائِدَةِ. فَقَالَ نَعَمْ فَإِنَّ هٰذَا الْحَدِيثَ هُوَ مَعْدِنُ الْإِفَادَةِ لِأَنَّنَا بِهِ نُدْرِكُ بُطْلَانَ الْأَرْضِيَّاتِ وَمَنْفَعَةَ السَّمَاوِيَّاتِ فَنَعْرِفُ وُجُوبَ الْمِيلَادِ الثَّانِي وَقُصُورَ أَعْمَالِنَا عَنِ الْإِيفَاءِ وَاحْتِيَاجَنَا إِلَى بِرِّ الْمَسِيحِ. وَنَتَعَلَّمُ أَيْضًا مَا هِيَ التَّوْبَةُ وَالْإِيمَانُ وَالصَّلَاةُ وَالصَّبْرُ وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ وَمَا هِيَ الْمَوَاعِيدُ وَالتَّعْزِيَاتُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي فِي الْإِنْجِيلِ وَنَتَعَلَّمُ كَيْفَ نُنَاقِضُ الْمُعْتَقَدَاتِ الْكَاذِبَةَ وَنُحَامِي عَنِ الْحَقِّ وَنُعَلِّمُ الْجُهَّالَ (١) قَالَ كُلُّ ذٰلِكَ حَقٌّ وَأَنَا أُسَرُّ بِاسْتِمَاعِي مِنْكَ هٰذِهِ الْكَلِمَاتِ الطَّيِّبَةَ فَقَالَ وَاحَسْرَتَاهُ إِنَّ نَقْضَ هٰذَا الْحَدِيثِ يَجْعَلُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ احْتِيَاجَ الْإِيمَانِ وَضَرُورَةَ عَمَلِ النِّعْمَةِ فِي أَنْفُسِهِمْ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ

(١) يتضح من كلام المنطيق هذا ان المؤمن بلسانهِ يمكن ان يتعلم حقيقة التعليم الصحيحة ويحكم بها حكمًا صحيحًا ويكون قلبهُ مع ذلك فارغًا منها ومن محبتها وقوتها في تصرُّفاتهِ واميالهِ. ولهذا كثيرون يدَّعون انهم تلاميذ المسيح وهو يدينهم اخيرًا مجرمين

قَلِيلِينَ . وَأَكْثَرُ ٱلنَّاسِ بِجَهْلِهِمْ يَعِيشُونَ فِي أَعْمَالِ ٱلنَّامُوسِ ٱلَّذِي لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَحْصُلَ بِهِ عَلَى ٱلْمَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوِيِّ . قَالَ أَمَّا ٱلْمَعْرِفَةُ ٱلسَّمَاوِيَّةُ فَإِنَّهَا هِبَةٌ إِلٰهِيَّةٌ لَا تَحْصُلُ بِٱلِٱجْتِهَادِ أَوِ ٱلْمُذَاكَرَةِ فَقَطْ . فَقَالَ إِنِّي أَعْلَمُ ذٰلِكَ جَيِّدًا لِأَنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَحْصُلَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يُعْطَى لَهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ ٱلنِّعْمَةِ لَا مِنَ ٱلْأَعْمَالِ وَعَلَى ذٰلِكَ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنَ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُقَدَّسِ لَوْ شِئْنَا إِيرَادَهَا لَطَالَ عَلَيْنَا ٱلْكَلَامُ . قَالَ أَحْسَنْتَ وَلَا يَغْرُبُ عَنْكَ أَنَّ ٱلْحَدِيثَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ رُكْنٍ يُبْنَى عَلَيْهِ فَعَلَى مَاذَا تُرِيدُ أَنْ نَبْنِيَ حَدِيثَنَا . فَقَالَ ٱخْتَرْ مَا شِئْتَ مِنْ أُمُورٍ سَمَاوِيَّةٍ أَوْ أَرْضِيَّةٍ أَوْ مَسَائِلَ أَدَبِيَّةٍ أَوْ إِنْجِيلِيَّةٍ أَوْ عِبَارَاتٍ مُقَدَّسَةٍ أَوْ غَيْرِ مُقَدَّسَةٍ أَوْ حَوَادِثَ مَاضِيَةٍ أَوْ عَتِيدَةٍ أَوْ مُهِمَّاتٍ أَجْنَبِيَّةٍ أَوْ أَهْلِيَّةٍ أَوْ مَعَانٍ جَوْهَرِيَّةٍ أَوْ عَرَضِيَّةٍ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ نَافِعًا مُفِيدًا . فَدُهِشَ ٱلْأَمِينُ مِنْ كَلَامِ ٱلرَّجُلِ وَعَظُمَ فِي عَيْنَيْهِ وَكَانَ مُنْفَرِدًا عَنِ ٱلْمَسِيحِيِّ فَمَالَ إِلَيْهِ وَخَلَا بِهِ وَقَالَ لَهُ نِعْمَ ٱلرَّفِيقُ صَادَفْنَاهُ فِي ٱلطَّرِيقِ فَلَا رَيْبَ أَنَّ هٰذَا ٱلرَّجُلَ سَيَكُونُ سَائِحًا لَا نَظِيرَ لَهُ . فَٱبْتَسَمَ ٱلْمَسِيحِيُّ وَقَالَ حَمَاكَ ٱللّٰهُ

يا أَخِي مِنَ ٱلْغُرُورِ فَإِنَّ هٰذَا ٱلرَّجُلَ مَذِقُ ٱللِّسَانِ يَخْدَعُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ. قَالَ هَلْ تَعْرِفُ مِنْهُ غَيْرَ مَا رَأَيْنَاهُ ٱلْآنَ. فَقَالَ إِنِّي أَعْرِفُهُ كَمَا يَعْرِفُ نَفْسَهُ وَأَعْرِفُ أَخْلَاقَهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَعْرِفُهَا. قَالَ فَمَنْ هُوَ يَا أَخِي. فَقَالَ هُوَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَلْدَتِنَا يُقَالُ لَهُ ٱلْمِنْطِيقُ وَأَنَا أَعْجَبُ مِنْكَ كَيْفَ لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ لِكِبَرِ ٱلْبَلْدَةِ وَكَثْرَةِ أَهْلِهَا. قَالَ فَٱبْنُ مَنْ هُوَ وَأَيْنَ مَنْزِلُهُ. فَقَالَ أَمَّا أَبُوهُ فَرَجُلٌ يُقَالُ لَهُ ٱلْخَطَابَةُ وَأَمَّا مَنْزِلُهُ فَمَكَانٌ يُقَالُ لَهُ زُقَاقُ ٱلْهَاذِرِينَ. وَهُوَ مَعَ لَطَافَتِهِ وَعُذُوبَةِ لِسَانِهِ رَجُلٌ رَدِيءٌ إِلَى ٱلْغَايَةِ. قَالَ إِنَّنِي حِينَ لَمْ أَعْرِفْ مِنْهُ قُبْحَ هٰذِهِ ٱلسَّرِيرَةِ كَانَ يَتَرَاءَى لِي مِنْهُ جَمَالٌ. فَقَالَ قَدْ أَصَبْتَ فِي نِسْبَةِ ٱلْجَمَالِ إِلَيْهِ دُونَ ٱلْمَلَاحَةِ لِأَنَّ ذٰلِكَ إِنَّمَا هُوَ لِلْأَبَاعِدِ وَعَكْسُهُ لِلْأَقَارِبِ كَمَا يَتَّفِقُ فِي بَعْضِ ٱلتَّصَاوِيرِ ٱلَّتِي تَظْهَرُ مِنْ بَعِيدٍ جَمِيلَةً فَإِذَا دَنَا ٱلْإِنْسَانُ مِنْهَا كَانَتْ بَعِيدَةً عَنِ ٱلرِّضَا. فَٱسْتَغْرَبَ ٱلْأَمِينُ ذٰلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَقِفْ عَلَى دَلِيلٍ مِنْ مُحَاضَرَةِ ٱلرَّجُلِ وَقَالَ لَهُ يَا أَخِي أَظُنُّكَ تَمْزَحُ لِأَنِّي رَأَيْتُكَ تَتَبَسَّمُ فِي ٱفْتِتَاحِ هٰذَا ٱلْحَدِيثِ فَقَالَ حَاشَا أَنْ أَمْزَحَ فِي مِثْلِ هٰذَا أَوْ أَرْمِيَ أَحَدًا بِفَاحِشَةٍ كَاذِبَةٍ

وَلٰكِنَّ هٰذَا ٱلرَّجُلَ مَاكِرٌ يَتَلَطَّفُ بِٱلسُّلُوكِ مَعَ ٱلْجَمِيعِ وَكَمَا يَتَكَلَّمُ ٱلْآنَ مَعَكَ يَتَكَلَّمُ مَعَ نُدَمَائِهِ إِذَا كَانَ فِي ٱلْخَمَّارَةِ وَبِقَدْرِ مَا يَمْتَلِئُ رَأْسُهُ مِنَ ٱلشَّرَابِ يَجْرِي لِسَانُهُ عَلَى هٰذَا ٱلْكَلَامِ. وَأَمَّا ٱلدِّينُ فَلَا مَحَلَّ لَهُ فِي قَلْبِهِ وَلَا فِي بَيْتِهِ وَلَا فِي سِيرَتِهِ. وَإِنَّمَا دِينُهُ شَقْشَقَةُ لِسَانِهِ وَكَثْرَةُ هَذَيَانِهِ. قَالَ إِذَا كَانَ كَذٰلِكَ فَمَا أَعْظَمَ خَدِيعَتِي بِهِ. فَقَالَ نَعَمْ هُوَ كَمَا كُتِبَ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ لٰكِنْ مَلَكُوتُ ٱللّٰهِ لَيْسَ بِٱلْقَوْلِ بَلْ بِٱلْقُوَّةِ(١) وَهُوَ يَتَكَلَّمُ فِي ٱلصَّلَاةِ وَٱلتَّوْبَةِ وَٱلْإِيمَانِ وَٱلْمِيلَادِ ٱلثَّانِي لٰكِنَّهُ لَا يَعْرِفُ إِلَّا أَنْ يَتَكَلَّمَ فِيهَا فَقَطْ. وَهٰذَا مِمَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ بِٱلْحَضْرَةِ وَٱلْمُشَاهَدَةِ لِأَنَّنِي كُنْتُ فِي مَنْزِلِهِ أَيَّامًا وَلَاحَظْتُهُ دَاخِلًا وَخَارِجًا فَوَجَدْتُ بَيْتَهُ خَالِيًا مِنَ ٱلدِّيَانَةِ كَمَا تَخْلُو ٱلرَّاحَةُ مِنَ ٱلشَّعْرِ إِذْ لَا يُوجَدُ هُنَاكَ صَلَاةٌ وَلَا عِبَادَةٌ وَلَا أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ وَلَا نَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ فَلَا رَيْبَ أَنَّ ٱلْبَهَائِمَ فِي نَوْعِهَا تَخْدِمُ ٱللّٰهَ أَحْسَنَ مِنْهُ وَهُوَ عَارٌ وَعَيْبٌ وَدَنَسٌ لِلدِّيَانَةِ أَمَامَ كُلِّ مَنْ يَعْرِفُهُ(٢) فَٱلَّذِينَ لَمْ يُخْبِرُوهُ بَاطِنًا يَقُولُونَ إِنَّهُ مِنْ رِجَالِ ٱللّٰهِ وَأَمَّا عِنْدَ ٱلْعَارِفِينَ بِسِيرَتِهِ

---

(١) كو٤: ٢٠ (٢) رو٢: ٢٤

فَهُوَ شَيْطَانٌ مَارِدٌ وَلَا سِيَّمَا عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ فَإِنَّهُ يَشْتُمُهُمْ لِغَيْرِ سَبَبٍ وَيَتَعَنَّتُ عَلَيْهِمْ حَتَّى أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَعْمَلُونَ لَهُ أَوْ يُجِيبُونَهُ بِهِ. وَالَّذِينَ يُعَاشِرُونَهُ يُؤْثِرُونَ مُعَاشَرَةَ الْبَرَابِرَةِ عَلَى مُعَاشَرَتِهِ. وَفَوْقَ ذٰلِكَ إِنَّهُ لَا يَكْتَفِي بِمَا فِي نَفْسِهِ حَتَّى يُرَبِّيَ أَوْلَادَهُ عَلَى سِيرَتِهِ وَيُطْغِي أَصْحَابَهُ وَجُلَسَاءَهُ فَيَتَخَلَّقُونَ بِأَخْلَاقِهِ الذَّمِيمَةِ. وَإِنْ سَمَحَ اللّٰهُ فَسَيَكُونُ حَجَرَ عَثْرَةٍ وَيَسْقُطُ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ. قَالَ صَدَقْتَ يَا أَخِي وَيَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أُصَدِّقَكَ لِأَنَّكَ لَا تَحْكُمُ عَلَى أَحَدٍ عَبَثًا مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ جَلِيَّةٍ. فَقَالَ إِنِّي لَوْ لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ قَبْلًا لَرُبَّمَا كُنْتُ ظَنَنْتُ فِيهِ الْخَيْرَ كَمَا ظَنَنْتَ أَنْتَ. وَلَوْ سَمِعْتُ عَنْهُ هٰذِهِ الصِّفَاتِ مِنَ النَّاسِ لَاحْتَمَلَ عِنْدِي أَنْ تَكُونَ افْتِرَاءً عَلَيْهِ وَلٰكِنَّنِي مِنْ تِلْقَاءِ مَعْرِفَتِي الذَّاتِيَّةِ وَاثِقٌ مِنْهُ بِكُلِّ مَا ذَكَرْتُ وَكَثِيرٍ مِمَّا لَمْ أَذْكُرْ. وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ الصَّالِحِينَ يَسْتَحُونَ بِمُجَالَسَتِهِ وَيَأْنَفُونَ أَنْ يَدْعُوهُ أَخًا أَوْ صَدِيقًا بَلْ يَخْجَلُونَ مِنْ ذِكْرِهِ بَيْنَهُمْ وَلَوْ بِمُجَرَّدِ التَّلَفُّظِ بِاسْمِهِ. قَالَ سُبْحَانَ اللّٰهِ إِنَّ الْقَوْلَ غَيْرُ الْفِعْلِ حَتَّى يَكُونَ الْوَاحِدُ مِنْهُمَا مُنَافِيًا لِلْآخَرِ. وَمِنَ الْآنَ سَأُنَبِّهُ نَفْسِي عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا. فَقَالَ لَا شَكَّ فِي الْمُغَايَرَةِ بَيْنَ

ٱلْقَوْلِ وَٱلْفِعْلِ وَيَخْتَلِفُ أَحَدُهُمَا عَنِ ٱلْآخَرِ كَمَا تَخْتَلِفُ ٱلنَّفْسُ عَنِ ٱلْجَسَدِ وَكَمَا أَنَّ ٱلْجَسَدَ بِدُونِ ٱلنَّفْسِ لَيْسَ سِوَى جُثَّةٍ مَيِّتَةٍ كَذٰلِكَ ٱلْقَوْلُ بِدُونِ ٱلْفِعْلِ. وَرُوحُ ٱلدِّيَانَةِ هُوَ ٱلْجُزْءُ ٱلْعَمَلِيُّ كَمَا يَقُولُ يَعْقُوبُ ٱلرَّسُولُ ٱلدِّيَانَةُ ٱلطَّاهِرَةُ ٱلنَّقِيَّةُ عِنْدَ ٱللّٰهِ ٱلْآبِ هِيَ هٰذِهِ ٱفْتِقَادُ ٱلْيَتَامَى وَٱلْأَرَامِلِ فِي ضِيقَتِهِمْ وَحِفْظُ ٱلْإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِلَا دَنَسٍ مِنَ ٱلْعَالَمِ (١) وَلٰكِنْ هٰذَا ٱلرَّجُلُ لَا يَحْفَلُ بِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ وَيَظُنُّ ٱلسَّمَاعَ وَٱلْقَوْلَ يَجْعَلَانِ ٱلْإِنْسَانَ عَبْدًا صَالِحًا وَهٰكَذَا يَغُشُّ نَفْسَهُ وَيَخْدَعُ غَيْرَهُ وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱلسَّمَاعَ يُشْبِهُ إِلْقَاءَ ٱلْبِذَارِ فَقَطْ وَٱلْقَوْلَ لَا يَدُلُّ بِٱلْكِفَايَةِ عَلَى وُجُودِ ٱلثَّمَرِ فِي ٱلْقَلْبِ وَٱلْحَيَاةِ حَقِيقَةً وَأَنَّ ٱلنَّاسَ يُحَاكَمُونَ يَوْمَ ٱلدِّينِ حَسَبَ أَثْمَارِهِمْ (٢) فَلَا يُقَالُ حِينَئِذٍ هَلْ آمَنْتُمْ بَلْ هَلْ عَمِلْتُمْ وَبِحَسَبِ ذٰلِكَ يُحَاكَمُونَ. وَآخِرُ ٱلْعَالَمِ يُقَاسُ بِحَصَادِنَا (٣) وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ ٱلنَّاسَ لَا يَلْتَفِتُونَ وَقْتَ ٱلْحَصَادِ إِلَّا إِلَى ٱلْأَثْمَارِ غَيْرَ أَنِّي لَا أَقُولُ هٰذَا نَصًّا عَلَى أَنَّ ٱلْأَعْمَالَ لَا تُقْبَلُ مَا لَمْ تَكُنْ مِنَ ٱلْإِيمَانِ بَلْ عَلَى أَنَّ ٱعْتِرَافَ مِثْلِ هٰذَا ٱلرَّجُلِ بِٱلْإِيمَانِ فِي ذٰلِكَ

---

(١) يع ١: ٢٦ و ٢٧ (٢) مت ١٢: ٣٣ (٣) مت ١٣: ٣٠

ٱلْيَوْمِ يَكُونُ بَاطِلًا لَا فَائِدَةَ فِيهِ (١) قَالَ إِنَّ هٰذَا يُذَكِّرُنِي قَوْلَ مُوسَى فِي تَفْصِيلِ ٱلْحَيَوَانِ طَاهِرًا مِنْ نَجِسٍ إِنَّ مَا كَانَ يَجْتَرُّ غَيْرَ مَشْقُوقِ ٱلظِّلْفِ يُحْسَبُ نَجِسًا (٢) وَهٰذَا ٱلرَّجُلُ يَجْتَرُّ ٱلْكَلَامَ بِتَرْدِيدِهِ لَهُ وَهُوَ غَيْرُ مَشْقُوقِ ٱلظِّلْفِ أَيْ لَا يَنْشَقُّ عَنْ طَرِيقِ ٱلْأَثَمَةِ فَهُوَ نَجِسٌ بِٱلْإِجْمَاعِ. قَالَ قَدْ أَصَبْتَ وَمِثْلُ هٰذَا ٱلْكَثِيرِ ٱلْكَلَامِ يَدْعُوهُ بُولُسُ ٱلرَّسُولُ نُحَاسًا يَطِنُّ أَوْ صَنْجًا يَرِنُّ (٣) كَمَا يُعَبِّرُ عَنْهُمْ فِي مَكَانٍ آخَرَ بِأَنَّهُمْ أَجْسَامٌ لَيْسَ فِيهَا نَفْسٌ وَلَهَا أَصْوَاتٌ تُسْمَعُ (٤) أَيْ خَالِيَةٌ مِنَ ٱلْإِيمَانِ ٱلْحَقِيقِيِّ وَنِعْمَةِ ٱلْإِنْجِيلِ. وَبِٱلْإِجْمَالِ أَقُولُ إِنَّهُمْ أَشْخَاصٌ لَا يَحُلُّونَ أَبَدًا فِي ٱلْمَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوِيِّ بَيْنَ أَبْنَاءِ ٱلْحَيَاةِ وَلَوْ كَانَتْ أَصْوَاتُهُمْ عِنْدَ ٱلتَّلَفُّظِ كَأَصْوَاتِ ٱلْمَلَائِكَةِ. قَالَ إِنِّي قَدْ كَرِهْتُ مُرَافَقَتَهُ إِذَا كَانَ كَذٰلِكَ فَمَا

---

(١) يشير ذلك الى ان التقوى الحقيقية المتّصلة من النية بالعمل هي شهادة حقّة للمسيحي الحقيقي. فان السيد له المجد يقول من ثمارهم تعرفونهم. ومن المعلوم اننا لا نقدر ان نعرف ان الشجرة جيّدة من خضرة اوراقها ونضارة اغصانها بل مما تأتي به من الثمار. وهكذا لا يمكن ان يكون اقرارنا بافواهنا او كلامنا ببلاغةٍ بما عرفناهُ من مفاعيل الديانة برهانًا على اننا تلاميذ للمسيح بل يكون البرهان على ذلك عملنا بما اوصانا به كما يقول انتم احبائي اذا عملتم ما امرتكم به

(٢) لا ١١: ٤ ومت ١٤: ٧ (٣) اكو ١٣: ١ (٤) اكو ١٤: ٧

ٱلْحِيلَةُ فِي ٱلتَّخَلُّصِ مِنْهَا . قَالَ ذٰلِكَ عِنْدِي. إِنْ عَمِلْتَ بِمَا أُشِيرُ عَلَيْكَ يَنْفِرُ مِنْكَ أَشَدَّ مِنْ نُفُورِكَ مِنْهُ مَا لَمْ يَمَسَّ ٱللّٰهُ قَلْبَهُ وَيَرُدَّهُ إِلَى سَبِيلِهِ . قَالَ فَكَيْفَ أَصْنَعُ . فَقَالَ تَمِيلُ إِلَيْهِ وَتُكَلِّمُهُ بِوَقَارٍ عَنْ فَاعِلِيَّةِ ٱلدِّيَانَةِ . فَإِذَا وَافَقَ رَأْيَكَ ظَاهِرًا فَٱسْأَلْهُ هَلْ ذٰلِكَ ثَابِتٌ فِي قَلْبِهِ أَوْ فِي سُلُوكِهِ أَوْ مَنْزِلِهِ . قَالَ نَعَمْ وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ هَلُمَّ بِنَا كَيْفَ أَنْتَ ٱلْآنَ فَقَالَ قَدْ طَالَ بِنَا ٱلسَّفَرُ وَٱنْقَطَعْنَا عَنْ تَعْزِيَةِ ٱلْحَدِيثِ . قَالَ أَجْزَلَ ٱللّٰهُ ثَوَابَكَ وَإِنْ شِئْتَ نُجَدِّدِ ٱلْكَلَامَ فَقُلْ لِي كَيْفَ تَظْهَرُ نِعْمَةُ ٱللّٰهِ ٱلْخَلَاصِيَّةُ عِنْدَمَا تُوجَدُ فِي قَلْبِ ٱلْإِنْسَانِ . فَقَالَ نِعْمَ ٱلسُّؤَالُ فَأَعْطِنِي سَمْعَكَ . إِعْلَمْ أَوَّلًا أَنَّهُ مَتَى وُجِدَتْ نِعْمَةُ ٱللّٰهِ فِي ٱلْقَلْبِ تُوَلِّدُ فِيهِ صُرَاخًا ضِدَّ ٱلْخَطِيئَةِ . وَهَمَّ بِتَفْصِيلِ ٱلْوَجْهِ ٱلثَّانِي بَعْدَ ٱلْأَوَّلِ ٱلْمَذْكُورِ فَٱعْتَرَضَهُ ٱلْأَمِينُ وَقَالَ دَعْنَا نَسْتَوْفِي ٱلْأَوَّلَ فَقَدْ أَرَى أَنَّ ٱلْأَوْلَى مِنْ هٰذِهِ ٱلْعِبَارَةِ أَنْ يُقَالَ إِنَّ نِعْمَةَ ٱللّٰهِ مَتَى وُجِدَتْ فِي ٱلْقَلْبِ تُظْهِرُ ذَاتَهَا بِإِمَالَتِهَا ٱلنَّفْسَ إِلَى كَرَاهَةِ ٱلْخَطِيئَةِ . فَقَالَ وَاعَجَبَاهُ مَا ٱلْفَرْقُ بَيْنَ ٱلْقَوْلَيْنِ . قَالَ ٱلْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ ٱلْإِنْسَانَ قَدْ يَصْرُخُ ضِدَّ ٱلْخَطِيئَةِ لِغَرَضٍ وَلٰكِنْ

لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَكْرَهَا إِلَّا بِقُوَّةٍ مُضَادَّةٍ مُقَدَّسَةٍ فَإِنِّي سَمِعْتُ كَثِيرِينَ يَصْرُخُونَ ضِدَّ الْخَطِيئَةِ عَلَى الْمَنَابِرِ وَمَعَ ذٰلِكَ يَحْتَمِلُونَهَا بِلَا ثِقَلٍ فِي قُلُوبِهِمْ وَبُيُوتِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ كَمَا وَقَعَ لِسَيِّدَةِ يُوسُفَ الَّتِي صَرَخَتْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا كَأَنَّهَا امْرَأَةٌ عَفِيفَةٌ وَهِيَ تَشْتَهِي الْفِسْقَ مِنْ كُلِّ قَلْبِهَا[1] وَكَمَا يَقَعُ لِلْأُمِّ أَنْ تَصْرُخَ ضِدَّ ابْنَتِهَا وَتَشْتِمَهَا بِلِسَانِهَا وَيَدُهَا فِي الْتِمَاسِهَا حَتَّى تَحْتَضِنَهَا وَتُقَبِّلَهَا. فَقَالَ أَرَاكَ قَدْ وَقَفْتَ لِي بِالْمِرْصَادِ. قَالَ لَا وَلٰكِنِّي أُرِيدُ تَصْحِيحَ الْعِبَارَةِ فَمَا هُوَ الْوَجْهُ الثَّانِي الَّذِي يَظْهَرُ بِهِ عَمَلُ النِّعْمَةِ فِي الْقَلْبِ. فَقَالَ هُوَ مَعْرِفَةُ الْأَسْرَارِ الْإِنْجِيلِيَّةِ. قَالَ قَدْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تُقَدِّمَ هٰذَا الْوَجْهَ عَلَى مَا قَبْلَهُ وَلٰكِنَّهُ لَا يَصْدُقُ أَيْضًا عَلَى مَا نَحْنُ فِيهِ مُقَدَّمًا أَوْ مُؤَخَّرًا. لِأَنَّهُ قَدْ تُوجَدُ مَعْرِفَةٌ عَظِيمَةٌ بِأَسْرَارِ الْإِنْجِيلِ حَيْثُ لَا يُوجَدُ عَمَلُ النِّعْمَةِ فِي النَّفْسِ فَالْإِنْسَانُ وَإِنْ حَصَّلَ كُلَّ مَعْرِفَةٍ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَبِالتَّالِي أَنْ لَا يَكُونَ ابْنًا لِلّٰهِ[2] فَإِنَّ الْمَسِيحَ لَمَّا قَالَ لِتَلَامِيذِهِ أَتَعْرِفُونَ كُلَّ هٰذِهِ أَجَابُوهُ نَعَمْ. قَالَ لَهُمْ طُوبَاكُمْ إِذَا فَعَلْتُمُوهَا. لَمْ يُعَلِّقِ الطُّوبَى

---

(١) تك.٣٩: ١٥ (٢) ١كو١٣: ٢

عَلَى ٱلْمَعْرِفَةِ بَلْ عَلَى ٱلْعَمَلِ لِأَنَّهُ قَدْ تُوجَدُ مَعْرِفَةٌ غَيْرُ مَصْحُوبَةٍ بِٱلْعَمَلِ وَهِيَ بَاطِلَةٌ كَمَا نَبَّهَ عَلَى ذٰلِكَ ٱلسَّيِّدُ ٱلْمَسِيحُ بِقَوْلِهِ إِنَّ ٱلَّذِي يَعْرِفُ إِرَادَةَ سَيِّدِهِ وَلَا يَعْمَلُ بِهَا يُضْرَبُ كَثِيرًا (١) نَعَمْ إِنَّ ٱلْمَعْرِفَةَ تُرْضِي أَهْلَ ٱلْكَلَامِ وَٱلِٱفْتِخَارِ وَلٰكِنِ ٱلْعَمَلُ هُوَ ٱلَّذِي يُرْضِي ٱللهَ عَلَى أَنَّنِي لَا أَقُولُ إِنَّ ٱلْقَلْبَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ صَالِحًا مِنْ دُونِ هٰذِهِ ٱلْمَعْرِفَةِ وَلٰكِنِ ٱلْمَعْرِفَةُ عَلَى نَوْعَيْنِ أَحَدُهُمَا مَا يَنْظُرُ فِي حَقَائِقِ ٱلْأُمُورِ نَظَرًا بَسِيطًا وَٱلثَّانِي مَا يَصْحَبُ نِعْمَةَ ٱلْإِيمَانِ وَٱلْحُبِّ وَيَحُثُّ ٱلْإِنْسَانَ عَلَى عَمَلِ إِرَادَةِ ٱللهِ بِٱلْعَزْمِ وَٱلنِّيَّةِ. وَهُوَ ٱلْمُعَوَّلُ عَلَيْهِ فِي مَرْضَاةِ ٱللهِ بِخِلَافِ ٱلْأَوَّلِ فَإِنَّهُ فُكَاهَةٌ لِلْمُتَكَلِّمِينَ. وَقَدْ نَصَّ عَلَى ذٰلِكَ دَاوُدُ ٱلنَّبِيُّ بِقَوْلِهِ فَهِّمْنِي فَأُلَاحِظَ شَرِيعَتَكَ وَأَحْفَظَهَا بِكُلِّ قَلْبِي (٢) فَقَالَ مَا زِلْتَ لِي فِي ٱلْمَكْمَنِ وَهٰذَا لَا يَؤُولُ لِلْبُنْيَانِ. قَالَ فَحَبَّذَا لَوْ أَتَيْتَ بِعَلَامَةٍ أُخْرَى تُظْهِرُ عَمَلَ ٱلنِّعْمَةِ. فَقَالَ كَلَّا إِنِّي لَا أَطْمَعُ فِي ٱتِّفَاقٍ بَيْنَنَا. قَالَ إِنْ كُنْتَ لَا تُرِيدُ فَأْذَنْ لِي فِي شَرْحِ ذٰلِكَ. فَقَالَ ٱلْأَمْرُ إِلَيْكَ. قَالَ إِنَّ عَمَلَ ٱلنِّعْمَةِ فِي ٱلنَّفْسِ يَظْهَرُ لِمَنْ

---

(١) لو ١٢: ٤٧ (٢) مز ١١٩: ٣٤

حَصَلَ عَلَيْهِ بِجَعْلِهِ إِيَّاهُ شَاعِرًا بِٱلْخَطِيئَةِ وَعَلَى ٱلْخُصُوصِ بِدَنَسِ طَبِيعَتِهِ وَخَطِيئَةِ عَدَمِ ٱلْإِيمَانِ ٱلَّتِي لَا بُدَّ أَنْ يُعَاقَبَ بِهَا إِذَا لَمْ يَجِدْ رَحْمَةً عِنْدَ ٱللهِ بِٱلْإِيمَانِ بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ. فَإِنَّ نَظْرَهُ إِلَى ذٰلِكَ وَحَسَّهُ بِهِ يَجْعَلَانِهِ يَحْزَنُ وَيَخْجَلُ لِأَجْلِ ٱلْخَطِيئَةِ (١) وَبِهِ يَجِدُ مُخَلِّصَ ٱلْعَالَمِ ظَاهِرًا فِيهِ وَيَرَى ٱلضَّرُورَةَ ٱلدَّاعِيَةَ إِلَى ٱلِٱتِّفَاقِ مَعَهُ إِلَى ٱنْتِهَاءِ حَيَاتِهِ وَيَرَى نَفْسَهُ جَائِعًا وَعَطْشَانًا إِلَيْهِ طَمَعًا فِي نَيْلِ ٱلْمَوَاعِيدِ ٱلسَّعِيدَةِ مِنْهُ وَيَكُونُ فَرَحُهُ بِهِ وَمَحَبَّتُهُ لِبِرِّهِ وَرُغْبَتُهُ فِي زِيَادَةِ مَعْرِفَتِهِ وَخِدْمَتُهُ إِيَّاهُ فِي هٰذَا ٱلْعَالَمِ عَلَى حَسَبِ قُوَّةِ إِيمَانِهِ أَوْ ضَعْفِهِ. وَمَعَ كُلِّ ذٰلِكَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَجْزِمَ بِأَنَّ هٰذَا هُوَ عَمَلُ ٱلنِّعْمَةِ إِلَّا نَادِرًا لِأَنَّ فَسَادَ ٱلْبَشَرَةِ وَعَمَى ٱلْعَقْلِ قَدْ يُسِيئَانِ ٱلْحُكْمَ فِي مِثْلِ هٰذِهِ ٱلْقَضِيَّةِ. وَلِذٰلِكَ يَجِبُ عَلَى ٱلْإِنْسَانِ ٱلْحَاصِلِ عَلَى هٰذَا ٱلْعَمَلِ أَنْ يُدْرِكَ إِدْرَاكًا صَحِيحًا قَبْلَ أَنْ يَجْزِمَ بِأَنَّ هٰذَا هُوَ عَمَلُ ٱلنِّعْمَةِ. وَهٰذَا ٱلْعَمَلُ يَظْهَرُ مِمَّنْ حَصَلَ عَلَيْهِ لِغَيْرِهِ بِٱلْإِقْرَارِ ٱلْمُمْتَحَنِ بِٱلْإِيمَانِ بِٱلْمَسِيحِ وَٱلسِّيرَةِ ٱلْمُطَابِقَةِ لِذٰلِكَ ٱلْإِقْرَارِ وَهِيَ قَدَاسَةُ ٱلْقَلْبِ وَقَدَاسَةُ تَهْذِيبِ ٱلْعِيَالِ إِذَا وُجِدَتْ وَقَدَاسَةُ

(١) مز ٥١: ١٦ وار ٣١: ١٩ ويو ١٦: ٨ و٩ ورو ٧: ٢٤ ومر ١٦: ١٦ وغل ٢: ١٦ ورؤ ١: ٦

ٱلتَّصَرُّفِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ. وَهٰذِهِ ٱلسِّيرَةُ تُحَرِّضُهُ عَلَى كَرَاهَةِ ٱلْخَطِيَّةِ مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ وَبُغْضِ ذَاتِهِ لِأَجْلِهَا سِرًّا وَرَفْضِهَا مِنْ مَنْزِلِهِ وَإِذَاعَةِ ٱلْقَدَاسَةِ فِي ٱلْعَالَمِ لَيْسَ فِي ٱلْكَلَامِ فَقَطْ كَمَا يَفْعَلُ ٱلْمُرَاؤُونَ بَلْ بِعَمَلِ ٱلطَّاعَةِ لِقُوَّةِ ٱلْكَلِمَةِ فِي ٱلْإِيمَانِ وَٱلْمَحَبَّةِ[1] فَإِنْ كَانَ عِنْدَكَ مَا تَعْتَرِضُ بِهِ وَإِلَّا فَلِي سُؤَالٌ آخَرُ. فَقَالَ أَمَّا ٱلْمُقَاوَمَةُ فَلَيْسَ لِي فِيهَا أَرَبٌ لٰكِنِّي أَسْمَعُ فَسَلْ مَا بَدَا لَكَ. قَالَ هَلِ ٱخْتَبَرْتَ ٱلْجُزْءَ ٱلْأَوَّلَ مِنْ هٰذَا ٱلشَّرْحِ. وَهَلْ يَشْهَدُ سُلُوكُكَ وَتَصَرُّفُكَ هٰكَذَا أَمْ تَقُومُ دِيَانَتُكَ بِٱلْكَلَامِ لَا بِٱلْعَمَلِ وَٱلْحَقِّ. وَإِذَا شِئْتَ أَنْ تُجِيبَنِي فَأُنَاشِدُكَ أَنْ لَا تَقُولَ لِي أَكْثَرَ مِمَّا تَعْرِفُ وَيَشْهَدُ لَكَ بِهِ ضَمِيرُكَ وَٱللّٰهُ يَقُولُ مِنَ ٱلْعُلَى آمِينَ عَلَى ذٰلِكَ. لِأَنَّهُ لَيْسَ مَنْ مَدَحَ نَفْسَهُ هُوَ ٱلْمُزَكَّى بَلْ مَنْ مَدَحَهُ ٱلرَّبُّ[2] وَفَضْلًا عَنْ ذٰلِكَ إِنَّهُ لَعَارٌ عَظِيمٌ أَنْ أَقُولَ أَنَا كَذَا وَكَذَا وَسُلُوكِي يُنَاقِضُنِي وَأَهْلِي يُكَذِّبُونَنِي. فَٱحْمَرَّ وَجْهُ ٱلرَّجُلِ خَجَلًا وَقَالَ لِلْأَمِينِ أَرَاكَ قَدِ ٱنْتَقَلْتَ إِلَى ٱلْإِخْتِبَارِ وَٱلِٱسْتِشْهَادِ بِٱلضَّمِيرِ

---

(١) اي ٤٢:٥ و٦ وحز ٢:٤٣ و٤٤ ومت ٥:٨ ويو ١٤:٥١ ورو ١٠:١٠ وحز ٣٦:٢٥ وفي ٤:١٧—٢٠

(٢) اكو ١٠:١٧

وَٱسْتِدْعَاءُ ٱللهِ لِإِثْبَاتِ حَقِيقَةِ مَا أَقُولُهُ. وَهٰذَا مِمَّا لَا تَطِيبُ بِهِ نَفْسِي فَلَا أُحِبُّ ٱلْجَوَابَ عَنْهُ وَلَا يَلْزَمُنِي ذٰلِكَ. وَلَئِنْ كُنْتَ قَدْ جَعَلْتَ نَفْسَكَ وَاعِظًا فَإِنِّي لَا أَجْعَلُكَ عَلَيَّ قَاضِيًا وَلٰكِنَّنِي أَلْتَمِسُ مِنْكَ أَنْ تَقُولَ لِي مَاذَا حَمَلَكَ عَلَى هٰذِهِ ٱلْمَسَائِلِ. قَالَ إِنَّمَا حَمَلَنِي عَلَيْهَا أَنِّي أَرَاكَ تَجْرِي فِي كَلَامِكَ عَبَثًا وَلَا أَرَى عِنْدَكَ شَيْئًا سِوَى ٱلْأَوْهَامِ ٱلْبَاطِلَةِ. وَأَنَا أُقِرُّ مُعْتَرِفًا أَنِّي سَمِعْتُ أَنَّ دِيَانَتَكَ لَيْسَتْ سِوَى تَنْمِيقِ ٱلْكَلَامِ وَأَنَّ أَعْمَالَكَ تُكَذِّبُ أَقْوَالَكَ وَقَدْ قِيلَ إِنَّكَ عَارٌ بَيْنَ ٱلْمَسِيحِيِّينَ وَإِنَّ سِيرَتَكَ ٱلرَّدِيئَةَ كَادَتْ تُفْسِدُ ٱلدِّيَانَةَ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ ٱلنَّاسِ قَدْ سَقَطُوا فِي خَطَرِ ٱلْهَلَاكِ بِعَثْرَةِ طُرُقِكَ ٱلْمُلْتَوِيَةِ فَدِيَانَتُكَ وَٱلسُّكْرُ وَٱلْفِسْقُ وَٱلنَّمِيمَةُ وَٱلْحَلْفُ وَٱلْكَذِبُ وَٱلْعِشْرَةُ ٱلرَّدِيئَةُ وَأَمْثَالُهُنَّ حِزْبٌ وَاحِدٌ. وَكَمَا قِيلَ فِي ٱلْمَثَلِ ٱلْمَرْأَةُ ٱلْفَاجِرَةُ عَارٌ لِكُلِّ ٱلنِّسَاءِ يُقَالُ إِنَّكَ عَارٌ لِكُلِّ ٱلْمُعْتَرِفِينَ بِدِيَانَةِ ٱلْمَسِيحِ. فَقَالَ إِذَا كُنْتَ هٰكَذَا تُصَدِّقُ كُلَّ مَا سَمِعْتَ وَتَقْضِي عَبَثًا عَلَى أَخِيكَ فَلَسْتَ أَهْلًا أَنْ تُخَاطَبَ وَلَا تُصَاحَبَ وَأَنَا أَسْتَوْدِعُكَ ٱللهَ. ثُمَّ ٱعْتَزَلَ بِنَفْسِهِ فَتَقَدَّمَ ٱلْمَسِيحِيُّ إِلَى ٱلْأَمِينِ وَقَالَ كَيْفَ رَأَيْتَ

صَاحِبَكَ. إِنِّي قَدْ أَنْذَرْتُكَ بِهٰذَا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ لِأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ كَلَامَكَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَّفِقَ مَعَ شَهَوَاتِهِ. وَهَا هُوَ قَدْ رَضِيَ بِتَرْكِ صُحْبَتِكَ أَكْثَرَ مِنْ إِصْلَاحِ سِيرَتِهِ. فَدَعْهُ يَذْهَبُ حَيْثُ شَاءَ وَنَرَى بِمَنْ تَقَعُ ٱلْخَسَارَةُ. وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي أَرَاحَنَا مِنَ ٱلتَّعَبِ فِي صُحْبَتِهِ لِأَنَّهُ لَوْ ثَبَتَ فِي مُرَافَقَتِنَا لَكَانَ دَنَسًا لَنَا. وَٱلرَّسُولُ يَقُولُ ٱبْتَعِدُوا مِنْ مِثْلِ هٰؤُلَاءِ[1] فَقَالَ إِنِّي قَدْ سُرِرْتُ بِٱلْكَلِمَاتِ ٱلَّتِي خَاطَبْتُهُ بِهَا وَإِنْ كَانَتْ يَسِيرَةً فَلَعَلَّهُ يُرَدِّدُهَا فِي نَفْسِهِ بَعْدَ ٱلْآنَ فَتَكُونَ مَوْعِظَةً لَهُ. وَأَنَا بَرِيءٌ مِنْ دَمِهِ إِذَا هَلَكَ لِأَنَّنِي أَوْضَحْتُ لَهُ ٱلْحَقَّ عَلَانِيَةً. قَالَ إِنَّكَ قَدْ أَحْسَنْتَ بِكَلَامِكَ مَعَهُ صَرِيحًا فَإِنَّ هٰذَا ٱلتَّصَرُّفَ ٱلْأَمِينَ لَا يُوجَدُ فِي هٰذَا ٱلْعَصْرِ إِلَّا قَلِيلًا وَلِذٰلِكَ صَارَتِ ٱلدِّيَانَةُ رَائِحَةً كَرِيهَةً عِنْدَ كَثِيرِينَ لِأَنَّ هٰؤُلَاءِ ٱلْأَغْنِيَاءَ ٱلَّذِينَ دِيَانَتُهُمْ بِٱلْقَوْلِ فَقَطْ وَسِيرَتُهُمْ بَاطِلَةٌ وَرَدِيئَةٌ هُمُ ٱلَّذِينَ بِدُخُولِهِمْ بَيْنَ ٱلْأَتْقِيَاءِ يُشَوِّشُونَ أَفْكَارَ ٱلنَّاسِ وَيَعِيبُونَ ٱلدِّيَانَةَ ٱلْحَقِيقِيَّةَ وَيُحْزِنُونَ ٱلضَّمَائِرَ ٱلسَّلِيمَةَ. فَيَالَيْتَ كُلَّ ٱلنَّاسِ يُعَامِلُونَ مِثْلَ هٰؤُلَاءِ هٰكَذَا فَيُقَوِّمُوا طُرُقَهُمْ أَوْ

---

(١) اتي ٥:٦

يَجْتَنِبُوا مُعَاشَرَةَ ٱلْأَبْرَارِ . ثُمَّ أَنْشَدَ يَقُولُ شِعْرًا

تَكَبَّرَ ٱلْمِنْطِيقُ وَٱسْتَطَالَا
وَقَالَ عَنْ جَرَاءَةٍ مَا قَالَا
قَدْ أَطْمَعَتْهُ نَفْسُهُ مُحَالَا
يَسُوقُ مِثْلَ ٱلْإِبِلِ ٱلرِّجَالَا
حَتَّى تَلَقَّاهُ ٱلْأَمِينُ حَالَا
يُبَيِّنُ ٱلْآثَارَ وَٱلْأَفْعَالَا
فَأَجْفَلَ ٱلْخَبِيثُ وَٱسْتَحَالَا
كَٱلْبَدْرِ عَادَ بَغْتَةً هِلَالَا

قَالَ صَاحِبُ ٱلرُّؤْيَا وَٱنْطَلَقَ ٱلْمَسِيحِيُّ وَٱلْأَمِينُ بَعْدَ ذٰلِكَ يَتَحَدَّثَانِ فِي مَا كَانَا قَدْ نَظَرَا فِي طَرِيقِهِمَا وَبِذٰلِكَ هَانَ عَلَيْهِمَا قَطْعُ تِلْكَ ٱلْقِفَارِ ٱلَّتِي خَرَجَا إِلَيْهَا وَٱنْتَهَيَا عَنِ ٱلْمَلَلِ مِنْ طُولِ مَسَافَتِهَا حَتَّى ٱنْتَهَيَا إِلَى أَطْرَافِهَا . فَٱلْتَفَتَ ٱلْأَمِينُ إِلَى وَرَائِهِ وَإِذَا بِرَجُلٍ مُقْبِلٍ عَلَيْهِمَا فَعَرَفَهُ وَقَالَ لِلْمَسِيحِيِّ هَلْ تَعْرِفُ مَنْ هٰذَا ٱلْقَادِمُ عَلَيْنَا . فَتَفَرَّسَ فِيهِ ٱلْمَسِيحِيُّ وَقَالَ هٰذَا حَبِيبِي ٱلْإِنْجِيلِيُّ . فَقَالَ ٱلْأَمِينُ وَهُوَ حَبِيبِي أَيْضًا لِأَنَّهُ هُوَ ٱلَّذِي سَلَّمَنِي

طَرِيقَ ٱلْبَابِ ٱلضَّيِّقِ. وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى أَدْرَكَهُمَا ٱلْإِنْجِيلِيُّ وَقَالَ ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمَا وَعَلَى مُسَاعِدِيكُمَا يَا حَبِيبَيَّ ٱلْمُخْلِصَيْنِ. فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ أَيُّهَا ٱلْإِنْجِيلِيُّ ٱلصَّالِحُ إِنَّ رُؤْيَتَكَ تُذَكِّرُنِي جَمِيلَكَ ٱلسَّابِقَ عَلَيَّ وَتَعَبَكَ مِنْ أَجْلِ خَيْرَاتِي ٱلْأَبَدِيَّةِ. وَقَالَ ٱلْأَمِينُ مَرْحَبًا بِكَ أَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ وَبِصُحْبَتِكَ ٱلْمَرْغُوبِ فِيهَا عِنْدَ أَمْثَالِنَا مِنْ أَهْلِ ٱلسِّيَاحَةِ ٱلْمَسَاكِينِ. قَالَ ٱلْإِنْجِيلِيُّ أَهْلَكَكُمَا ٱللهُ لِرَاحَتِهِ وَسَهَّلَ طَرِيقَكُمَا إِلَيْهِ فَمَاذَا لَقِيتُمَا بَعْدَ ٱفْتِرَاقِنَا وَكَيْفَ سَلَكْتُمَا. فَأَخْبَرَاهُ بِكُلِّ مَا كَانَ لَهُمَا. فَقَالَ بَارَكَ ٱللهُ فِيكُمَا لَقَدْ سُرِرْتُ جِدًّا لَا بِمَا كَابَدْتُمَا مِنَ ٱلْمَشَقَّاتِ وَلَكِنْ بِٱنْتِصَارِكُمَا عَلَى مَكَايِدِ ٱلْأَعْدَاءِ وَثَبَاتِكُمَا مَعَ ضُعْفِكُمَا إِلَى هٰذَا ٱلْيَوْمِ. وَلَا جَرَمَ إِنَّ ذٰلِكَ مِنْ مَسَرَّتِي لِنَفْسِي أَيْضًا لِأَنِّي أَنَا زَرَعْتُ وَأَنْتُمَا حَصَدْتُمَا. وَسَيَأْتِي ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي بِهِ يَفْرَحُ ٱلزَّارِعُ وَٱلْحَاصِدُ مَعًا (١) فَإِنَّنَا إِذَا لَمْ نَمَلَّ ٱلْآنَ فَسَيَكُونُ لَنَا وَقْتٌ نَحْصُدُ فِيهِ وَلَا نَمَلُّ أَيْضًا (٢) وَإِنَّ ٱلْإِكْلِيلَ أَمَامَكُمَا وَهُوَ لَا يَفْسُدُ فَأَسْرِعَا لِتَنَالَاهُ (٣) فَإِنَّ بَعْضَ ٱلنَّاسِ يُبَادِرُونَ لِيَنَالُوا هٰذَا ٱلْإِكْلِيلَ

---

(١) يو ٤: ٣٦ (٢) غل ٦: ٩ (٣) ١ كو ٩: ٢٤–٢٧

وَبَعْدَ أَنْ يَتَقَدَّمُوا كَثِيرًا يَدْخُلُ غَيْرُهُمْ وَيَنْزِعُهُ مِنْهُمْ. فَٱحْرَصَا عَلَى إِحْرَازِ نَصِيبِكُمَا لِئَلَّا يَأْخُذَ أَحَدٌ إِكْلِيلَكُمَا[1] لِأَنَّكُمَا ٱلْآنَ لَمْ تَأْمَنَا غَائِلَةَ سِهَامِ ٱلشَّيْطَانِ وَلَمْ تَبْلُغَا سَفْكَ ٱلدَّمِ فِي جِهَادِ ٱلْخَطِيئَةِ فَٱجْعَلَا ٱلْمَلَكُوتَ نُصْبَ أَعْيُنِكُمَا دَائِمًا وَآمِنَا بِٱلْحَقَائِقِ غَيْرِ ٱلْمَنْظُورَةِ إِيمَانًا وَطِيدًا وَلَا تَدَعَا شَيْئًا مِنْ وَسَاوِسِ هٰذَا ٱلْعَالَمِ يُخَامِرُكُمَا وَٱحْذَرَا قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ قَلْبَيْكُمَا وَشَهَوَاتِهِمَا لِأَنَّ ٱلْقَلْبَ أَخْدَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ[2] وَٱجْعَلَا وَجْهَكُمَا كَصَخْرَةٍ صُلْبَةٍ فَتَكُونَ لَكُمَا كُلُّ قُوَّةٍ فِي ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ. فَشَكَرَاهُ وَأَثْنَيَا عَلَيْهِ حَسَنًا وَقَالَا إِنَّكَ قَدْ سَاعَدْتَنَا بِكَلَامِكَ ٱلصَّالِحِ وَنُرِيدُ أَنْ لَا نَقْطَعَ عَنَّا هٰذِهِ ٱلْمُسَاعَدَةَ فِي بَقِيَّةِ طَرِيقِنَا هٰذِهِ. فَقَالَ حُبًّا وَكَرَامَةً يَا خَلِيلَيَّ قَدْ سَمِعْتُمَا كَلِمَةَ حَقِّ ٱلْإِنْجِيلِ ٱلْقَائِلَةَ إِنَّهُ بِشَدَائِدَ كَثِيرَةٍ يَنْبَغِي أَنْ نَدْخُلَ إِلَى مَلَكُوتِ ٱللهِ[3] وَٱعْلَمَا أَنَّ كَثِيرًا مِنَ ٱلْبَلَايَا وَٱلشَّدَائِدِ مُعَدٌّ لَكُمَا فِي كُلِّ مَدِينَةٍ تَأْتِيَانِهَا[4] فَلَا سَبِيلَ لَكُمَا إِلَى ٱلطَّمَعِ فِي أَنْ يَفُوتَكُمَا شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ عَلَى

---

(١) رؤ ٣: ١١ (٢) ار ١٧: ٩ (٣) اع ١٤: ٢٢

(٤) اع ٢٠: ٢٣

كُلِّ حَالٍ وَقَدْ أَصَابَكُمَا بَعْضُ هٰذِهِ ٱلنَّوَائِبِ شَاهِدًا عَلَى ٱلْعَوَاقِبِ ٱلْأُخَرِ وَسَيُفَاجِئُكُمَا أَكْثَرُ مِنْ ذٰلِكَ. فَإِنَّكُمَا سَتَقْدَمَانِ عَلَى مَدِينَةٍ أَمَامَكُمَا وَتُحِيطُ ٱلْأَعْدَاءُ بِكُمَا وَتُضَيِّقُ عَلَيْكُمَا طَالِبَةً قَتْلَكُمَا. وَلَا بُدَّ أَنْ يَخْتِمَ أَحَدُكُمَا شَهَادَةَ إِيمَانِهِ بِسَفْكِ دَمِهِ وَأَمَّا أَنْتُمَا فَكُونَا أَمِينَيْنِ حَتَّى ٱلْمَوْتِ فَيُعْطِيَكُمَا ٱلْمَلِكُ إِكْلِيلَ ٱلْحَيَاةِ (١) وَمَنْ مَاتَ هُنَاكَ وَإِنْ كَانَ مَوْتُهُ بِٱلسَّيْفِ عَنْ آلَامٍ شَدِيدَةٍ فَإِنَّ نَصِيبَهُ يَكُونُ أَفْضَلَ مِنْ نَصِيبِ صَاحِبِهِ لِأَنَّهُ يَصِلُ إِلَى ٱلْمَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوِيِّ عَاجِلًا وَفَضْلًا عَنْ ذٰلِكَ يَسْلَمُ مِنْ تَجَارِبَ كَثِيرَةٍ يَلْقَاهَا ٱلْآخَرُ فِي مَا بَقِيَ مِنْ سَفَرِهِ. وَإِذَا وَصَلْتُمَا إِلَى هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ وَأَصَابَكُمَا فِيهَا مَا أَنْذَرْتُكُمَا بِهِ فَٱذْكُرَا صَدِيقَكُمَا وَتَشَجَّعَا وَتَجَلَّدَا وَٱسْتَوْدِعَا ٱللهَ رُوحَكُمَا بِٱلْأَعْمَالِ ٱلصَّالِحَةِ

قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُهُمَا يَرْكُضَانِ حَتَّى خَرَجَا مِنْ تِلْكَ ٱلْقِفَارِ وَأَقْبَلَا عَلَى تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ يُقَالُ لَهَا مَدِينَةُ ٱلْبُطْلِ وَفِيهَا سُوقٌ يُقَالُ لَهَا سُوقُ ٱلْأَبَاطِيلِ تُفْتَحُ كُلَّ يَوْمٍ فِي ٱلسَّنَةِ. وَإِنَّمَا قِيلَ لَهَا ذٰلِكَ لِأَنَّ ٱلْمَدِينَةَ وَكُلَّ مَا يُبَاعُ هُنَاكَ وَكُلَّ مَا يُجْلَبُ

---

(١) رؤ ٢: ١٠

إِلَى هُنَاكَ بَاطِلٌ[1] وَهٰذِهِ ٱلسُّوقُ قَدِيمَةُ ٱلْعَهْدِ فَإِنَّهُ مِنْ مُدَّةِ خَمْسَةِ آلَافِ سَنَةٍ كَانَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ ٱلسِّيَاحَةِ مُنْطَلِقِينَ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ مِثْلَ هٰذَيْنِ ٱلرَّجُلَيْنِ وَنَظَرَ بَعْلَزَبُوبُ وَأَبُولِيُونُ وَلَجِئُونُ وَزُمْرَتُهُمْ أَنَّ ٱلطَّرِيقَ ٱلَّتِي يَسْلُكُهَا هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمُ لَا بُدَّ أَنْ تَمُرَّ فِي وَسَطِ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ فَأَقَامُوا فِيهَا سُوقًا يُبَاعُ فِيهَا كُلُّ صِنْفٍ مِنَ ٱلْأَبَاطِيلِ ٱلدُّنْيَوِيَّةِ كَٱلْبُيُوتِ وَٱلْأَرَاضِي وَٱلْبُلْدَانِ وَٱلْمَمَالِكِ وَٱلْمَتَاجِرِ وَٱلْوَظَائِفِ وَٱلْكَرَامَاتِ وَٱلْمَرَاتِبِ وَٱلشَّهَوَاتِ وَٱلتَّنَعُّمَاتِ وَٱللَّذَّاتِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ وَٱلْمُقْتَنَيَاتِ ٱلْمُتَنَوِّعَةِ كَٱلْفَوَاجِرِ وَٱلزَّوْجَاتِ وَٱلْأَزْوَاجِ وَٱلْأَوْلَادِ وَٱلسَّادَاتِ وَٱلْعَبِيدِ وَٱلدِّمَاءِ وَٱلْأَجْسَادِ وَٱلْأَنْفُسِ وَٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلدُّرَرِ وَٱلْحِجَارَةِ ٱلْكَرِيمَةِ وَكَثِيرٍ غَيْرِ ذٰلِكَ مِنْ فُنُونٍ شَتَّى. وَيُوجَدُ أَيْضًا دَائِمًا فِي هٰذِهِ ٱلسُّوقِ ٱلسِّحْرُ وَٱلْمَكْرُ وَٱلسُّكْرُ وَٱلْمَلَاهِي وَلَعِبُ

(١) جا ١١:٨ و١:٢ و٤ و٤:١ و١٧ واش ٤٠:١٧ ان سوق الاباطيل رمزٌ الى هذا العالم وتملقاتهِ الخادعة. ولا يخفى ان كرامة هذا العالم وغناهُ ولذّاتهِ واباطيلهُ تتراءى غالبًا للناس كأنها من الذخائر المعتبرة فتجتذب قلوبهم اليها وتقتنصهم باشراكها. ومن ثمَّ تستعبدهم فلا يُعتقون من اسرها الاَّ بعنايةٍ خاصَّةٍ من الله. وفضلاً عن ذلك ان ابليس المحال الذي هو اله هذا العالم يحاول على الدوام ان يجذبنا اليهِ لنكون من اصحابهِ ونشاركهُ في نصيبهِ اعاذنا الله

ٱلْقِمَارِ وَٱلْخَلَاعَةُ وَٱلْغِشُّ وَأَمْثَالُ ذٰلِكَ. وَهُنَاكَ يُرَى أَيْضًا مَجَّانًا ٱلسَّرِقَةُ وَٱلْقَتْلُ وَٱلزِّنَاءُ وَٱلْأَقْسَامُ ٱلْكَاذِبَةُ وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ. وَكَمَا يُوجَدُ فِي ٱلْأَسْوَاقِ ٱلْأُخَرِ أَزِقَّةٌ وَحَوَانِيتُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى طَائِفَةٍ أَوْ بِضَاعَةٍ مَا كَذٰلِكَ يُوجَدُ هُنَاكَ أَيْضًا. فَهُنَا زُقَاقٌ لِلْإِنْكِلِيزِ وَآخَرُ لِفَرَنْسَا وَآخَرُ لِإِيطَالِيَا وَكَذَا إِسْبَانِيَا وَٱلنَّمْسَا وَٱلرُّومُ وَٱلتُّرْكُ وَٱلْعَرَبُ وَٱلْعَجَمُ وَبَقِيَّةُ ٱلطَّوَائِفِ. وَفِي كُلِّ مَكَانٍ يُبَاعُ صِنْفٌ مِنَ ٱلْأَمْتِعَةِ ٱلْمَذْكُورَةِ يُطَابِقُ رَغْبَةَ ٱلْمُشْتَرِينَ مِنْ أَيِّ طَائِفَةٍ كَانُوا. وَٱلطَّرِيقُ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ مَبْسُوطَةٌ فِي وَسَطِ هٰذِهِ ٱلسُّوقِ لَا يُمْكِنُ ٱلْعَابِرِينَ أَنْ يَحِيدُوا عَنْهَا. فَمَنْ أَرَادَ ٱلسَّفَرَ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَمُرَّ بِهٰذِهِ ٱلسُّوقِ يَضْطَرُّ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ ٱلدُّنْيَا[1] لِأَنَّ مَلِكَ ٱلْمُلُوكِ نَفْسَهُ لَمَّا كَانَ فِي هٰذَا ٱلْعَالَمِ عَبَرَ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةَ إِلَى بَلْدَتِهِ وَجَازَ فِي وَسَطِ هٰذِهِ ٱلسُّوقِ وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ بَعْلَزْبُوبَ رَئِيسَ هٰذِهِ ٱلسُّوقِ ٱلْأَعْظَمَ عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَشْتَرِيَ مِنْ بَضَائِعِهِ وَأَرَادَ أَنْ يَجْعَلَهُ رَبَّ ٱلسُّوقِ وَٱعْتِبَارًا لِجَلَالَتِهِ أَخَذَهُ وَطَافَ بِهِ جَمِيعَ ٱلْأَسْوَاقِ وَأَرَاهُ كُلَّ

---

(١) اكو٥: ١٠

مَمَالِكِ ٱلْعَالَمِ فِي بُرْهَةٍ يَسِيرَةٍ لَعَلَّهُ يُغْرِي ذَاكَ ٱلْمَغْبُوطَ أَنْ يَسُومَ وَيَشْتَرِيَ شَيْئًا مِنْ أَبَاطِيلِهِ. أَمَّا هُوَ فَلَمْ يُحْفِلْ بِتِلْكَ ٱلتِّجَارَةِ وَلِذٰلِكَ خَرَجَ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ وَلَمْ يُنْفِقْ فَلْسًا وَاحِدًا عَلَى هٰذِهِ ٱلْأَبَاطِيلِ (١) وَٱلنَّتِيجَةُ أَنَّ هٰذِهِ ٱلسُّوقَ قَدِيمَةُ ٱلْعَهْدِ وَمُعْتَبَرَةٌ جِدًّا

قَالَ وَلَمَّا كَانَ لَا بُدَّ لِهٰذَيْنِ ٱلسَّائِحَيْنِ مِنْ عُبُورِ تِلْكَ ٱلسُّوقِ دَخَلَا فِي وَسَطِهَا فَنَهَضَ عَلَيْهِمَا كُلُّ مَنْ فِيهَا وَٱضْطَرَبَتْ مِنْهُمَا ٱلْمَدِينَةُ بِأَسْرِهَا لِأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا زِيَّهُمَا ٱلْمُخَالِفَ لِزِيِّ ٱلتُّجَّارِ ٱلَّذِينَ فِي ٱلسُّوقِ. فَكَانُوا يَتَفَرَّسُونَ فِيهِمَا وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ إِنَّهُمَا أَحْمَقَانِ وَبَعْضُهُمْ مَجْنُونَانِ وَٱلْبَعْضُ إِنَّهُمَا أَجْنَبِيَّانِ (٢) وَلَمْ يَكُونُوا يَفْهَمُونَ كَلَامَهُمَا إِلَّا قَلِيلًا لِأَنَّهُمَا كَانَا يَتَكَلَّمَانِ بِلُغَةِ كَنْعَانَ وَأَصْحَابِ ٱلسُّوقِ مِنْ أَهْلِ هٰذَا ٱلْعَالَمِ. فَكَانَا يُرْيَانِ مِنْ أَوَّلِ ٱلسُّوقِ إِلَى آخِرِهَا كَأَنَّهُمَا بَرْبَرِيَّانِ (٣) وَكَانَ ٱلْقَوْمُ يَسْتَغْرِبُونَ مِنْهُمَا أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ ذٰلِكَ ٱسْتِخْفَافَهُمَا بِهٰذِهِ ٱلْبَضَائِعِ ٱلْمُعْتَبَرَةِ

---

(١) مت ٤:٨—١٠ ولو ٤:٥—٨ (٢) اي ١٢:٤ واكو ٤:٩

(٣) اكو ٢:٧ و ٨

عِنْدَهُمْ لِأَنَّهُمَا كَانَا لَا يُبَالِيَانِ وَلَوْ بِٱلنَّظَرِ إِلَيْهَا وَإِذَا دَعَاهُمَا أَحَدٌ لِيَشْتَرِيَا مِنْهَا يَضَعَانِ أَصَابِعَهُمَا فِي آذَانِهِمَا وَيَقُولَانِ ٱرْدُدْ عَيْنَيَّ لِئَلَّا تُعَايِنَا بَاطِلًا (١) وَيَرْفَعَانِ أَعْيُنَهُمَا إِلَى فَوْقُ يُرِيدَانِ بِذٰلِكَ أَنَّ تِجَارَتَهُمَا وَأَمْتِعَتَهُمَا فِي ٱلسَّمَاءِ (٢) وَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ فِي ٱلسُّوقِ تَعَرَّضَ لَهُمَا رَجُلٌ وَقَالَ عَلَى سَبِيلِ ٱلْمُدَاعَبَةِ لَهُمَا مَاذَا تُرِيدَانِ أَنْ تَشْتَرِيَا . فَنَظَرَا إِلَيْهِ نَظَرَ ٱلْوَقَارِ وَقَالَا إِنَّنَا نَشْتَرِي ٱلْحَقَّ (٣) فَهَاجَتْ عَلَيْهِمَا ٱلنَّاسُ وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَهْزَأُ بِهِمَا وَٱلْبَعْضُ يَشْتِمُهُمَا وَٱلْبَعْضُ يَطْعَنُ فِيهِمَا وَٱلْبَعْضُ يَحُثُّ عَلَى ضَرْبِهِمَا حَتَّى حَدَثَ مِنْ جَرَّاءِ ذٰلِكَ شَغْبٌ عَظِيمٌ فِي ٱلسُّوقِ وَتَشَوَّشَ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلنِّظَامِ . وَبَلَغَ ٱلْخَبَرُ إِلَى ٱلرَّئِيسِ فَحَضَرَ وَأَمَرَ بِٱلْقَبْضِ عَلَيْهِمَا لِيَكْشِفَ عَنْ أَمْرِهِمَا . فَأَخَذُوهُمَا

---

(١) مز ١١٨ : ٣٧ (٢) في ٣ : ٢٠ و ٢١ ان في المسيحي ثلاثة امور لا يطيق العالم ان يحتملها فيه وهي . الاول ثوبهُ الذي هو كناية عن تبررهِ ببر المسيح . الثاني كلامهُ اي اخبارهُ بما فعل الله فيهِ من عظائم الامور وشعورهُ بان خطاياهُ قد غُفِرَت لهُ مجانًا واشتراكهُ مع الله بالمسيح . الثالث مضادتهُ لسيرة العالم الرديئة واعمالهِ السمجة وعوائدهِ الخبيثة . ومن ثمَّ يكون المؤمنون بالحق ضحكةً وعارًا عند الدنيويين وكثيرًا ما يمتحنونهم بالتجارب والبلايا واحيانًا يميتون بعضهم شرَّ ميتةٍ بعد تعذيبهم العذاب الاليم (٤) لم ٢٢ : ٢٢

وَسَأَلُوهُمَا مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُمَا وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبَانِ وَمَاذَا تَصْنَعَانِ هُنَا. فَقَالَا إِنَّهُمَا سَائِحَانِ غَرِيبَانِ ذَاهِبَانِ إِلَى بَلْدَتِهِمَا أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ[1] وَقَالَا إِنَّنَا لَمْ نُسِئْ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَتُجَّارِهَا شَيْئًا حَتَّى يُهِينُونَا وَيَصُدُّونَا عَنْ سِيَاحَتِنَا لَكِنَّنَا لَمَّا سُئِلْنَا مَاذَا نُرِيدُ أَنْ نَشْتَرِيَ قُلْنَا نُرِيدُ أَنْ نَشْتَرِيَ الْحَقَّ. هٰذَا وَإِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يُصَدِّقُوا سِوَى أَنَّ ذٰلِكَ جُنُونٌ مِنْهُمَا أَوْ خُبْثٌ يُبَلْبِلَانِ بِهِ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَضَرَبُوهُمَا وَلَطَخُوهُمَا بِالْأَوْحَالِ وَحَبَسُوهُمَا فِي قَفَصٍ لِيَكُونَا مَشْهَدًا لِكُلِّ أَهْلِ السُّوقِ. فَأَقَامَا عَلَى ذٰلِكَ مُدَّةً وَكَانَا مَوْضُوعًا لِلْهُزْءِ وَالشَّتِيمَةِ وَكَانَ رَئِيسُ السُّوقِ لَا يَزَالُ ضَاحِكًا بِكُلِّ مَا أَصَابَهُمَا. وَأَمَّا هُمَا فَكَانَا صَابِرَيْنِ يَحْتَمِلَانِ الشَّتَائِمَ وَيُبَارِكَانِ مَنْ يَلْعَنُهُمَا وَيُقَابِلَانِ الْكَلِمَاتِ الْخَبِيثَةَ بِالطَّيِّبَةِ وَيُكَافِئَانِ الْمُنْكَرَ بِالْمَعْرُوفِ[2] حَتَّى رَثَى لَهُمَا بَعْضُ الْجَمَاعَةِ مِمَّنْ كَانُوا أَكْثَرَ

---

(١) عب ١١: ١٣ و ١٦

(٢) كما ان الروح العالي المضاد لروح المسيح يجلب افتراء على اسمه واحتقارًا لدعوته ولا يصدر منه شيء من الخير للآخرين بعكس ذلك الروح التقوي الموافق لروح المسيح يجلب الاكرام لاسمه ودعوته وتصدر منه خيرات لا تحصى لانفس الآخرين

فِطْنَةً وَأَقَلَّ تَعَصُّبًا عَلَيْهِمَا وَأَخَذُوا يَنْهَوْنَ أَرْذَالَ ٱلنَّاسِ عَنْهُمَا وَيَلُومُونَهُمْ لِأَجْلِ ٱلْمُوَاظَبَةِ عَلَى إِهَانَتِهِمَا. فَثَارَ عَلَيْهِمْ هٰؤُلَاءِ بِغَضَبٍ شَدِيدٍ وَقَالُوا إِنَّكُمْ ٱشْتَرَكْتُمْ مَعَهُمَا فِي ٱلْخَبَائِثِ وَسَوْفَ تُشَارِكُونَهُمَا فِي ٱلْمَصَائِبِ. فَقَالُوا إِنَّنَا نَرَى هٰذَيْنِ ٱلرَّجُلَيْنِ قَدْ دَخَلَا بِٱلْهُدُوءِ وَٱلْوِقَايَةِ وَلَمْ يَمَسَّ أَحَدًا ضَرَرٌ مِنْهُمَا. وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ بَيْنَ هٰؤُلَاءِ ٱلتُّجَّارِ ٱلَّذِينَ فِي ٱلسُّوقِ كَثِيرًا مِنَ ٱلنَّاسِ يَسْتَحِقُّونَ أَنْ يُسْجَنُوا فِي ٱلْقَفَصِ بَلْ أَنْ يُقَيَّدُوا بِٱلْقُيُودِ أَكْثَرَ مِنْهُمَا. فَأَغْلَظَ أُولٰئِكَ فِي ٱلْجَوَابِ وَٱشْتَدَّتِ ٱلْفِتْنَةُ بَيْنَهُمْ حَتَّى ضَرَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَأَصَابَ كُلُّ صَاحِبِهِ بِمَكْرُوهٍ. وَأَمَّا ذَانِكَ ٱلسَّائِحَانِ فَكَانَا يُلْزِمَانِ ٱلسُّكُوتَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلرَّصَانَةِ وَبَيْنَمَا هُمَا كَذٰلِكَ دَخَلُوا عَلَيْهِمَا وَأَحْضَرُوهُمَا إِلَى دِيوَانِ ٱلْفَحْصِ فَحُكِمَ عَلَيْهِمَا بِٱلْقِصَاصِ بِنَاءً عَلَى أَنَّهُمَا كَانَا سَبَبًا لِهٰذِهِ ٱلْفِتْنَةِ ٱلَّتِي حَدَثَتْ فِي ٱلسُّوقِ فَضَرَبُوهُمَا ضَرْبًا مُؤْلِمًا وَأَوْثَقُوهُمَا بِٱلْأَغْلَالِ وَطَافُوا بِهِمَا فِي جَمِيعِ ٱلشَّوَارِعِ لِيَكُونَا قَضِيبَ أَدَبٍ لِمَنْ يَتَعَصَّبُ لَهُمَا أَوْ يَلْتَصِقُ بِهِمَا وَأَمَّا هُمَا فَكَانَا يَتَصَرَّفَانِ بِأَكْثَرِ حِكْمَةٍ وَيَقْبَلَانِ مَا يُصِيبُهُمَا مِنَ ٱلْعَارِ وَٱلْخِزْيِ

بالتواضع والصبر حتى مال إليهما بعض أهل السوق وإن كانوا قليلين بالنسبة إلى البقية. إلا أن ذلك كان سببا لاشتداد غضب الآخرين حتى حتموا بقتلهما وقالوا لهما إن هذا التأديب لا يقوم بحقكما ولكن يجب أن نقتلا على الشر الذي أحدثتماه في المدينة وعلى خدعكما أهل السوق. وحينئذ أرجعوهما إلى القفص حتى يخرج الحكم عليهما. فأقاما كذلك يتجلدان وذكرا ما سمعاه من صديقهما الإنجيلي فتشجعا وتشددت عزائمهما على احتمال تلك الأهوال وقال أحدهما للآخر من كان نصيبه الآلام فسيكون حظه السعادة. فكان كل منهما يريد ذلك الحظ ولكنهما سلما أمرهما إلى عناية الله الكلي الحكمة الذي يسود على كل شيء فثبتا على الحالة التي كانت لهما بالقبول والصبر الجميل حتى يتم أمرهما. ولما حضر وقتهما أخرجوهما إلى دار القضاء. وتواثبت خصومهما لدى القاضي وكان يقال له السيد عدو الخير فرفعوا إليه دعواهم وكان مضمونها أن هذين الرجلين ممن يقاومون التجارة ويعيبونها وأنهما قد أحدثا سجسا وانشقاقا في المدينة واجتذبا

جَمَاعَةً مِنَ ٱلشَّعْبِ إِلَى آرَائِهِمَا ٱلْمُهْلِكَةِ مُزْدَرِيَيْنِ بِشَرِيعَةِ مَلِكِهِمْ.(١)

فَقَالَ ٱلْأَمِينُ إِنِّي لَمْ أُقَاوِمْ إِلَّا مَنْ يُقَاوِمُ ٱلْعَلِيَّ. وَأَمَّا ٱلشَّعْبُ فَلَمْ أَفْعَلْ شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِهِ لِأَنَّنِي مِنْ أَهْلِ ٱلسَّلَامَةِ. وَٱلَّذِينَ مَالُوا إِلَيْنَا فَقَدْ جَذَبَهُمْ مَا رَأَوْهُ مِنْ عَدْلِنَا وَبَرَارَتِنَا فَتَمَسَّكُوا بِٱلْأَفْضَلِ. وَأَمَّا ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي تَذْكُرُونَهُ فَلِأَنَّهُ هُوَ بَعْلَزَبُوبُ عَدُوُّ رَبِّنَا فَإِنِّي أَرْفُضُهُ وَأَسْتَهِينُ بِهِ وَبِجَمِيعِ مَلَائِكَتِهِ. فَٱشْتَدَّ غَضَبُ ٱلْجَمِيعِ مِنْ هٰذَا ٱلْكَلَامِ وَأَطْلَقُوا ٱلنِّدَاءَ فِي شَوَارِعِ ٱلْمَدِينَةِ أَنَّ كُلَّ مَنْ عِنْدَهُ شَهَادَةٌ لِسَيِّدِهِ ٱلْمَلِكِ عَلَى هٰذَا ٱلرَّجُلِ فَلْيَحْضُرْ بِهَا وَيُقَدِّمْهَا فِي ٱلْمَجْلِسِ ٱلشَّرْعِيِّ. فَحَضَرَ ثَلَاثَةُ شُهُودٍ وَهُمُ ٱلْحَسَدُ وَٱلْوَسْوَسَةُ وَٱلْمَكْرُ. وَلَمَّا دَخَلُوا إِلَى ٱلْمَجْلِسِ سُئِلُوا عَنْ ذٰلِكَ ٱلْمَسْجُونِ هَلْ يَعْرِفُونَهُ وَبِمَاذَا يَشْهَدُونَ

---

(١) ان هذه الدعوى ادّعاها اناسٌ في جميع القرون لاجل اضطهاد المسيحيين بالحق. فكنت ترى الذين بشّروا ابتداء بديانة المسيح يُشكى عليهم بانهم قد سجسوا الجماعات واضلّوا الشعب ولا يخفى على من يطالع تواريخ البيعة ان الصالحين في كل عصر كانوا يُقذفون بانهم محتالون موسوسون للامة مسببون للفتنة واعداء لقيصر ونحو ذلك من الشكايات

عَلَيْهِ. فَتَقَدَّمَ ٱلْحَسَدُ وَقَالَ إِنِّي أَعْرِفُ هٰذَا مِنْ زَمَانٍ طَوِيلٍ. وَهُوَ وَلَوْ كَانَ لَهُ ٱسْمٌ حَسَنٌ يُعَدُّ مِنْ أَحْقَرِ أَهْلِ بَلْدَتِنَا لِأَنَّهُ لَا يَعْتَبِرُ ٱلْمَلِكَ وَلَا ٱلشَّرِيعَةَ وَلَا ٱلْعَادَةَ بَلْ يَحْتَالُ بِكُلِّ مَا يُمْكِنُهُ حَتَّى يَمْلِكَ ٱلنَّاسَ بِبَعْضِ تَخَيُّلَاتِهِ ٱلْفَاسِدَةِ ٱلَّتِي يَدْعُوهَا مَبَادِئَ ٱلْإِيمَانِ وَٱلْقَدَاسَةِ. وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّ ٱلْأَفْعَالَ ٱلْمَسِيحِيَّةَ وَعَوَائِدَ مَدِينَتِنَا أَضْدَادٌ عَلَى ٱلْخَطِّ ٱلْمُسْتَقِيمِ. لَا يُمْكِنُ ٱتِّفَاقُهَا أَبَدًا. وَبِهٰذَا ٱلْكَلَامِ لَا يَحْكُمُ عَلَى أَفْعَالِنَا ٱلْحَمِيدَةِ فَقَطْ بَلْ عَلَيْنَا أَيْضًا بِفِعْلِنَا إِيَّاهَا. فَقَالَ ٱلْقَاضِي وَهَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ تَقُولُهُ غَيْرَ هٰذَا. قَالَ يَا مَوْلَايَ إِنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ أَكْثَرَ وَلٰكِنِّي أَخَافُ أَنْ تَضْجَرَ ٱلْمَحْكَمَةُ مِنْ كَثْرَةِ ٱلْكَلَامِ. أَمَّا إِذَا ٱقْتَضَى ٱلْأَمْرُ فَبَعْدَ أَنْ يُقَدِّمَ هٰذَانِ ٱلرَّجُلَانِ شَهَادَتَهُمَا أَزِيدُ عَلَى ذٰلِكَ بِقَدْرِ مَا يَنْبَغِي لِإِثْبَاتِ ٱلْحُكْمِ عَلَيْهِ. فَأَمَرَهُ ٱلْقَاضِي أَنْ يَقِفَ جَانِبًا وَدَعَا صَاحِبَهُ ٱلَّذِي يُقَالُ لَهُ ٱلْوَسْوَسَةُ وَأَشَارَ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْمَسْجُونِ وَقَالَ مَا عِنْدَكَ مِنَ ٱلشَّهَادَةِ عَلَيْهِ. فَقَالَ يَا سَيِّدِي إِنَّنِي لَمْ أُعَاشِرْ هٰذَا ٱلرَّجُلَ وَلَا أُرِيدُ أَنْ تَكُونَ لِي مَعْرِفَةٌ كَثِيرَةٌ بِهِ. وَأَمَّا ٱلشَّهَادَةُ ٱلَّتِي عِنْدِي فَهِيَ أَنَّنِي مُنْذُ أَيَّامٍ خَاطَبْتُهُ قَلِيلًا

فَظَهَرَ لِي أَنَّهُ رَجُلٌ مُنَافِقٌ لِأَنَّنِي حِينَئِذٍ سَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّ دِيَانَتَنَا فَاسِدَةٌ حَتَّى إِنَّهُ لَا يُمْكِنُ ٱلْإِنْسَانَ أَنْ يُرْضِيَ ٱللهَ بِهَا أَصْلًا. وَلَا يَخْفَى عَلَى سَيِّدِي أَنَّ ٱلْحَاصِلَ مِنْ ذٰلِكَ أَنَّنَا نَعْبُدُ عِبَادَةً بَاطِلَةً وَأَنَّنَا لَمْ نَزَلْ بِخَطَايَانَا وَأَنَّنَا سَنَهْلِكُ أَخِيرًا وَهٰذَا هُوَ ٱلَّذِي أَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ. فَأَوْقَفَهُ ٱلْقَاضِي إِلَى جَانِبِ صَاحِبِهِ وَدَعَا بِٱلْآخَرِ ٱلَّذِي يُقَالُ لَهُ ٱلْمَكْرُ وَٱسْتَشْهَدَهُ كَذٰلِكَ فَقَالَ يَا سَيِّدِي إِنَّنِي قَدْ عَرَفْتُ هٰذَا ٱلرَّجُلَ مِنْ زَمَانٍ طَوِيلٍ وَسَمِعْتُهُ يَتَكَلَّمُ بِمَا لَا يَلِيقُ لِأَنَّهُ شَتَمَ رَئِيسَنَا ٱلشَّرِيفَ بَعْلَزْبُوبَ وَهَزِأَ بِأَصْحَابِهِ ٱلْكِرَامِ ٱلَّذِينَ يُقَالُ لَهُمُ ٱلْإِنْسَانُ ٱلْقَدِيمُ وَٱلشَّهْوَةُ ٱلْجَسَدِيَّةُ وَٱللَّذَّةُ ٱلدُّنْيَوِيَّةُ وَٱلْمَجْدُ ٱلْبَاطِلُ وَٱلشَّرَاهَةُ وَٱلطَّمَعُ وَبَقِيَّةُ أَكَابِرِنَا. وَقَالَ لَوْ أَنَّ ٱلْكُلَّ يُوَافِقُونَهُ عَلَى إِرَادَتِهِ لَمَا كَانَ يُبْقِي أَحَدًا مِنْ هٰؤُلَاءِ ٱلْأَشْرَافِ فِي هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ. وَفَضْلًا عَنْ ذٰلِكَ قَدْ تَجَاسَرَ عَلَى شَتْمِكَ يَا مَوْلَانَا وَسَمَّاكَ خَبِيثًا شَقِيًّا وَنَاهِيكَ عَنْ شَتَائِمِهِ وَطَعْنِهِ فِي أَكْثَرِ أَشْرَافِ مَدِينَتِنَا

قَالَ وَلَمَّا فَرَغَ ٱلْمَكْرُ مِنْ تَقْدِيمِ ٱلشَّهَادَةِ ٱلْتَفَتَ ٱلْقَاضِي إِلَى ٱلْمُدَّعَى عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ هَلْ سَمِعْتَ أَيُّهَا ٱلْمُنَافِقُ ٱلضَّالُّ

ٱلْخَبِيثُ مَا شَهِدَ بِهِ عَلَيْكَ هٰؤُلَاءِ ٱلْأَشْرَافُ. فَقَالَ ٱلْأَمِينُ هَلْ يُؤْذَنُ لِي أَنْ أُدَافِعَ عَنْ نَفْسِي بِكَلِمَاتٍ تُبَرِّرُنِي. قَالَ ٱخْرَسْ أَيُّهَا ٱلْخَبِيثُ إِنَّكَ مُسْتَوْجِبُ ٱلْقَتْلَ حَالًا فِي هٰذَا ٱلْمَجْلِسِ وَلٰكِنْ لِكَيْ يَظْهَرَ لِلْجَمِيعِ حِلْمُنَا نَأْذَنُ لَكَ فِي ٱلْكَلَامِ. فَقَالَ إِنَّنِي أُجِيبُ أَوَّلًا عَمَّا قَالَهُ ٱلشَّاهِدُ ٱلْأَوَّلُ بِأَنَّنِي لَمْ أَقُلْ شَيْئًا غَيْرَ هٰذَا وَهُوَ أَنَّ كُلَّ ٱلسُّنَنِ وَٱلشَّرَائِعِ وَٱلْعَادَاتِ وَٱلشُّعُوبِ ٱلَّتِي تُضَادُّ كَلِمَةَ ٱللّٰهِ هِيَ مُنَاقِضَةٌ لِلدِّيَانَةِ ٱلْمَسِيحِيَّةِ فَإِنْ كَانَ قَوْلِي هٰذَا قَبِيحًا فَأَظْهِرُوا زَلَلِي وَأَنَا حَاضِرٌ أَنْ أُقِرَّ بِهِ لَدَيْكُمْ. ثُمَّ أُجِيبُ ثَانِيًا عَمَّا قَالَهُ ٱلثَّانِي بِأَنَّنِي لَمْ أَقُلْ شَيْئًا سِوَى هٰذَا وَهُوَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَحَدًا أَنْ يَعْبُدَ ٱللّٰهَ بِدُونِ إِيمَانٍ إِلٰهِيٍّ وَلَا يَكُونُ إِيمَانٌ إِلٰهِيٌّ مِنْ دُونِ وَحْيٍ إِلٰهِيٍّ يُنْبِئُ بِمَشِيئَةِ ٱللّٰهِ فَلِذٰلِكَ كُلُّ مَا يَدْخُلُ فِي عِبَادَةِ ٱللّٰهِ وَهُوَ غَيْرُ مُوَافِقٍ لِلْوَحْيِ ٱلْإِلٰهِيِّ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا مِنَ ٱلْإِيمَانِ ٱلْبَشَرِيِّ وَهٰذَا ٱلْإِيمَانُ لَا يُفِيدُ لِلْحَيَاةِ ٱلْأَبَدِيَّةِ. وَأَمَّا مَا شَهِدَ بِهِ ٱلثَّالِثُ عَلَيَّ مِنْ أَمْرِ ٱلشَّتْمِ وَٱلْمَذَمَّةِ فَأَتْرُكُهُ وَأَقُولُ إِنَّ مَلِكَ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ وَجَمِيعَ أَعْوَانِهِ ٱلَّذِينَ ذَكَرَهُمْ هٰذَا ٱلشَّاهِدُ يَسْتَحِقُّونَ أَنْ يَكُونُوا فِي جَهَنَّمَ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَكُونُوا فِي

هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ. أَقُولُ هٰذَا وَأَسْأَلُ ٱللهَ ٱلرَّحْمَةَ. فَنَظَرَ ٱلْقَاضِي إِلَى جُلَسَائِهِ وَقَالَ قَدْ رَأَيْتُمْ هٰذَا ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي حَدَثَ بِسَبَبِهِ مَا حَدَثَ مِنَ ٱلشَّغْبِ فِي هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ وَسَمِعْتُمْ مَا شَهِدَ بِهِ عَلَيْهِ هٰؤُلَاءِ ٱلثِّقَاتُ وَمَا أَجَابَ بِهِ. فَبِمَاذَا تَقْضُونَ عَلَيْهِ وَأَيَّ مِيتَةٍ يَنْبَغِي أَنْ يَمُوتَ. فَإِنَّ فِرْعَوْنَ ٱلْعَظِيمَ عَبْدَ مَلِكِنَا لِئَلَّا تَكْثُرَ أَضْدَادُ دِيَانَتِهِ أَمَرَ فِي أَيَّامِهِ أَنْ تُطْرَحَ ذُكُورُهُمْ فِي ٱلنَّهْرِ (١) وَبُخْتُنَصَّرَ ٱلْمُعَظَّمَ خَادِمَ مَلِكِنَا أَمَرَ أَنَّ كُلَّ مَنْ لَا يَسْجُدُ لِصَنَمِهِ ٱلذَّهَبِيِّ يُلْقَى فِي أَتُونِ ٱلنَّارِ ٱلْمُشْتَعِلَةِ (٢) وَكَذٰلِكَ قَدْ بَرَزَ أَمْرٌ فِي أَيَّامِ دَارِيُوسَ ٱلْمَلِكِ أَنَّ كُلَّ مَنْ طَلَبَ طَلْبَةً مِنْ إِلٰهٍ أَوْ إِنْسَانٍ غَيْرِهِ إِلَى ثَلَاثِينَ يَوْمًا يُطْرَحُ فِي جُبِّ ٱلْأُسُودِ (٣) وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ هٰذَا ٱلْعَاصِيَ قَدْ خَالَفَ سُنَّةَ هٰذِهِ ٱلشَّرَائِعِ قَوْلًا وَعَمَلًا. وَلَا يَخْفَى أَنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ يَطْرَحُ أَعْدَاءَ دِينِهِ فِي ٱلنَّهْرِ خَوْفًا مِنْ تَشْوِيشٍ يَكُونُ مِنْهُمْ فِي مَا بَعْدُ فَضْلًا عَنْ قِصَاصِ ٱلذَّنْبِ ٱلْحَاضِرِ كَمَا فِي قَضِيَّةِ هٰذَا ٱلْخَبِيثِ فَمَاذَا تَرَوْنَ. فَٱعْتَزَلَ أَرْبَابُ ٱلْمَجْلِسِ نَاحِيَةً وَهُمُ ٱلْعَمَى وَعَدَمُ ٱلْخَيْرِ وَٱلْحِقْدُ وَحُبُّ ٱلشَّهْوَةِ

---

(١) خر ١: ٢١ (٢) دا ٣: ٦ (٣) دا ٦: ٧

وَالتَّرَاخِي وَالْعِنَادُ وَالْعَظَمَةُ وَالْعَدَاوَةُ وَالْكَذِبُ وَالْقَسَاوَةُ وَبُغْضُ النُّورِ وَالرِّجْزُ وَتَدَاوَلُوا سِرًّا فِي أَمْرِهِ ثُمَّ أَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى إِثْبَاتِ الْحُكْمِ عَلَيْهِ أَمَامَ الْقَاضِي. فَتَقَدَّمَ أَوَّلُهُمُ الْعَمَى وَقَالَ إِنِّي أَرَى جَلِيًّا أَنَّ هٰذَا الرَّجُلَ مُبْتَدِعٌ. وَقَالَ عَدَمُ الْخَيْرِ مَنْ كَانَ مِثْلَ هٰذَا يُبَادُ مِنَ الْأَرْضِ. وَقَالَ الْحِقْدُ نَعَمْ لِأَنِّي أُبْغِضُ مَنْظَرَهُ. وَقَالَ حُبُّ الشَّهْوَةِ إِنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أَحْتَمِلَهُ. وَقَالَ التَّرَاخِي وَأَنَا كَذٰلِكَ لِأَنَّهُ دَائِمًا يَعِيبُ أَعْمَالِي. وَقَالَ الْعِنَادُ أَسْرِعُوا فِي قَتْلِهِ. وَقَالَ الْعَظَمَةُ مَنْ هُوَ هٰذَا الصُّعْلُوكُ حَتَّى يَسْتَخِفَّ بِنَا. وَقَالَ الْعَدَاوَةُ إِنَّ قَلْبِي يَهِيجُ عَلَيْهِ. وَقَالَ الْكَذِبُ إِنَّهُ خَائِنٌ غَشَّاشٌ. وَقَالَ الْقَسَاوَةُ لَوْ قَطَّعْنَاهُ إِرْبًا إِرْبًا لَمَا وَفَيْنَا حَقَّ عَذَابِهِ. وَقَالَ بُغْضُ النُّورِ لِنَخْلُصْ مِنْهُ. وَقَالَ الرِّجْزُ لَوْ مَلَّكَنِي الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا لَمْ أَقْدِرْ أَنْ أَتَّفِقَ مَعَهُ فَلْنَقْضِ إِذًا عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ حَالًا. وَحِينَئِذٍ حَكَمُوا بِرَدِّهِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَتَى مِنْهُ وَقَتْلِهِ هُنَاكَ شَرَّ قِتْلَةٍ. وَعَلَى هٰذَا أَخْرَجُوهُ لِيَفْعَلُوا بِهِ حَسَبَ سُنَّتِهِمْ فَجَلَدُوهُ أَوَّلًا ثُمَّ لَطَمُوهُ ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ ثُمَّ قَطَّعُوهُ بِالسُّيُوفِ ثُمَّ أَحْرَقُوهُ بِالنَّارِ حَتَّى صَارَ رَمَادًا فَهٰكَذَا انْتَهَتْ حَيَاةُ الْأَمِينِ

قَالَ صَاحِبُ ٱلرُّؤْيَا ثُمَّ رَأَيْتُ أَنِّي أَنْظُرُ وَإِذَا بِمَرْكَبَةٍ وَرَاءَ ٱلْجُمُوعِ يَجُرُّهَا فَرَسَانِ وَهِيَ تَنْتَظِرُ ٱلْأَمِينَ إِلَى أَنْ قَتَلَهُ أَعْدَاؤُهُ. فَمَا رَأَيْتُهُ إِلَّا وَهُوَ قَدِ ٱسْتَوَى عَلَيْهَا وَلِلْوَقْتِ ٱرْتَفَعَتْ بِهِ إِلَى ٱلسَّحَابِ بِصَوْتِ ٱلْبُوقِ آخِذَةً بِهِ فِي ٱلطَّرِيقِ ٱلْأَقْرَبِ إِلَى ٱلْبَابِ ٱلسَّمَاوِيِّ. وَأَمَّا ٱلْمَسِيحِيُّ فَوَقَعَتْ فَتْرَةٌ فِي أَمْرِهِ وَعَادَ إِلَى ٱلسِّجْنِ فَمَكَثَ حِينًا هُنَاكَ وَٱللهُ ٱلضَّابِطُ فِي يَدِهِ كُلَّ مُؤَامَرَاتِهِمْ جَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا وَنَجَا مِنْ سِجْنِهِ. فَٱشْتَدَّ يَرْكُضُ فِي طَرِيقِهِ وَأَنْشَدَ يَقُولُ شِعْرًا

نِعِمَّا أَيُّهَا ٱلْعَبْدُ ٱلْأَمِينُ
وَفَيْتَ وَإِنَّ مِثْلَكَ لَا يَخُونُ
لَقَدْ نَادَيْتَ بِٱسْمِ ٱللهِ جَهْرًا
فَأَنْتَ مُبَارَكًا مَعْهُ تَكُونُ
إِذَا ٱلْكُفَّارُ نَاحُوا فِي جَحِيمٍ
فَكُنْ مُتَهَلِّلًا وَلَكَ ٱلْيَقِينُ
لَئِنْ تَكُ قَدْ قُتِلْتَ فَأَنْتَ حَيٌّ
وَذِكْرُكَ فِي ٱلصَّحَائِفِ مُسْتَبِينُ

قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُ ٱلْمَسِيحِيَّ يَرْكُضُ وَفِي إِثْرِهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ ٱلرَّاجِي. وَكَانَ هٰذَا ٱلرَّجُلُ قَدْ لَاحَظَ سُلُوكَ ٱلْمَسِيحِيِّ وَٱلْأَمِينِ وَسَمِعَ كَلَامَهُمَا وَرَأَى إِهَانَتَهُمَا فِي ٱلسُّوقِ وَثَبَاتَهُمَا عَلَى ٱلْأَدَبِ وَٱلرَّصَانَةِ فَأَعْجَبَهُ ذٰلِكَ وَٱلْتَصَقَ بِٱلْمَسِيحِيِّ وَعَاهَدَهُ عَهْدًا أَخَوِيًّا وَسَأَلَهُ ٱلدُّخُولَ فِي صُحْبَتِهِ. وَهٰكَذَا مَاتَ ٱلْوَاحِدُ لِيَشْهَدَ لِلْحَقِّ وَقَامَ مِنْ رَمَادِهِ آخَرُ لِيَكُونَ رَفِيقًا لِلْمَسِيحِيِّ فِي سِيَاحَتِهِ (١) وَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ قَالَ ٱلرَّاجِي لِلْمَسِيحِيِّ يَا أَخِي إِنَّهُ يُوجَدُ كَثِيرُونَ مِمَّنْ فِي ٱلسُّوقِ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ فُرْصَةٌ لِيَتْبَعُونَا. وَكَانَ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا فِي ٱلطَّرِيقِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ ٱلْمُدَاجِي أَدْرَكَاهُ يُرِيدَانِ مُرَافَقَتَهُ وَقَالَا لَهُ مِنْ أَيِّ بَلَدٍ أَنْتَ يَا صَاحِ وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. فَقَالَ قَدْ أَتَيْتُ مِنْ مَدِينَةِ ٱلْفَصَاحَةِ وَأَنَا مُنْطَلِقٌ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ وَلَمْ يَعْرِفْهُمَا بِٱسْمِهِ. فَقَالَ لَهُ ٱلْمَسِيحِيُّ أَمِنْ مَدِينَةِ ٱلْفَصَاحَةِ أَنْتَ وَهَلْ يُوجَدُ هُنَاكَ أَحَدٌ صَالِحٌ. فَقَالَ نَعَمْ كَمَا أَرْجُو. قَالَ أَلْتَمِسُ مِنْكَ يَا سَيِّدِي أَنْ تُعَرِّفَنِي بِٱسْمِكَ. فَقَالَ أَنَا غَرِيبٌ عِنْدَكُمَا وَأَنْتُمَا غَرِيبَانِ عِنْدِي فَإِنْ كُنْتُمَا ذَاهِبَيْنِ

---

(١) ان دم الشهداء بذارٌ في الكنيسة لان الآلام التي يحتملها مثل هولاء بصبرٍ هي من اقوى المواعظ فعلاً واكثرها نفعاً للذين يعتبرونها

فِي هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ فَأَنَا أُسَرُّ جِدًّا بِمُرَافَقَتِكُمَا وَإِلَّا فَأَنَا أَكْتَفِي بِنَفْسِي
قَالَ قَدْ سَمِعْتُ بِهٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ وَأَظُنُّ قَدْ قِيلَ إِنَّهَا غَنِيَّةٌ. فَقَالَ
نَعَمْ هِيَ كَذٰلِكَ وَلِي فِيهَا أَقْرِبَاءُ كَثِيرُونَ أَغْنِيَاءُ. قَالَ أَسْأَلُكَ
أَنْ تُخْبِرَنِي مَنْ هُمْ أَقْرِبَاؤُكَ وَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ فُضُولًا مِنِّي. فَقَالَ إِنَّ
أَكْثَرَ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ أَقْرِبَائِي وَلَا سِيَّمَا ٱلسَّيِّدُ مُتَقَلِّبٌ وَٱلسَّيِّدُ
فَصِيحٌ وَٱلسَّيِّدُ خَادِمُ ٱلزَّمَانِ وَهُوَ ٱلَّذِي ٱنْتَسَبَتِ ٱلْمَدِينَةُ فِي
ٱلتَّسْمِيَةِ إِلَى جُدُودِهِ وَٱللَّيِّنُ وَٱلْمُحَابِي وَذُو ٱللِّسَانَيْنِ وَهُوَ كَاهِنُ
ٱلْمَدِينَةِ وَٱبْنُ خَالِي. وَٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكَ إِنِّي ذُو نَسَبٍ جَلِيلٍ
إِلَّا أَنَّ أَبِي كَانَ قَذَّافًا يَنْظُرُ إِلَى جِهَةٍ وَيَقْذِفُ إِلَى أُخْرَى وَأَنَا
قَدْ وَصَلْتُ إِلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ بِهٰذِهِ ٱلْمِهْنَةِ. قَالَ هَلْ أَنْتَ مُتَزَوِّجٌ
فَقَالَ نَعَمْ وَٱمْرَأَتِي فَاضِلَةُ بِنْتُ ٱمْرَأَةٍ فَاضِلَةٍ يُقَالُ لَهَا ٱلْمُزَوِّرَةُ
وَهِيَ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ شُرَفَاءَ فِي ٱلْغَايَةِ وَلَهَا أَخْلَاقٌ مَرْضِيَّةٌ تَسْلُكُ
مَعَ كُلِّ أَحَدٍ عَلَى حَسَبِ حَالِهِ وَهَوَاهُ وَهٰذَا هُوَ ٱلصَّوَابُ. وَنَحْنُ
نَفْرُقُ فِي ٱلدِّيَانَةِ عَمَّنْ يَتَمَسَّكُونَ جِدًّا بِهَا فِي وَجْهَيْنِ يَسِيرَيْنِ
ٱلْأَوَّلُ أَنَّنَا لَا نُضَادُّ ٱلرِّيحَ فِي مَسِيرِنَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱلثَّانِي أَنَّنَا
نَغَارُ عَلَى ٱلدِّيَانَةِ حِينَمَا تَمْشِي بِأَثْوَابِهَا ٱلْبَهِيَّةِ وَنُحِبُّ أَنْ نَزُفَّهَا

فِي ٱلشَّوَارِعِ إِذَا كَانَ ٱلزَّمَانُ صَافِيًا وَٱلنَّاسُ يَتَلَقَّوْنَهَا بِٱلْكَرَامَةِ (١)
فَمَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ إِلَى نَحْوِ ٱلرَّاجِي مُنْفَرِدًا وَقَالَ لَهُ يَا أَخِي يَلُوحُ لِي
أَنَّ هٰذَا ٱلرَّجُلَ هُوَ ٱلْمُدَاجِي وَإِنْ كَانَ كَذٰلِكَ فَبِئْسَ ٱلرَّفِيقُ .
قَالَ سَلْهُ عَنِ ٱسْمِهِ فَأَنَا أَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَسْتَحِي بِهِ فَعَادَ إِلَيْهِ ٱلْمَسِيحِيُّ
وَقَالَ لَهُ يَا مَوْلَايَ إِنِّي أَرَاكَ تَتَكَلَّمُ كَأَنَّكَ تَعْرِفُ أَشْيَاءَ لَا يَعْرِفُهَا
غَيْرُكَ مِنْ جَمِيعِ ٱلنَّاسِ فَإِنْ صَدَقَ تَوَسُّمِي فَقَدْ عَرَفْتُكَ .
أَلَسْتَ ٱلَّذِي يُقَالُ لَهُ ٱلْمُدَاجِي . فَقَالَ نَعَمْ لَيْسَ هٰذَا ٱسْمِي وَلٰكِنِ
ٱلْبَعْضُ مِنْ أَعْدَائِي لَقَّبَنِي بِهِ فَيَجِبُ عَلَيَّ ٱحْتِمَالُهُ كَعَارٍ لِي مِثْلَمَا
ٱحْتَمَلَ بَعْضُ ٱلصَّالِحِينَ عَارَهُمْ قَبْلِي . قَالَ نَعَمْ وَلٰكِنْ أَمَا جَعَلَتْ
سَبَبًا لِلنَّاسِ حَتَّى يَدْعُوكَ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ . فَقَالَ حَاشَا وَكَلَّا فَإِنَّ
نَصِيبِي كَانَ دَائِمًا أَنْ يَتَّفِقَ رَأْيِي مَعْ حَالَةِ ٱلزَّمَانِ ٱلْحَاضِرِ كَيْفَمَا
كَانَتْ وَحَصَلَ لِي مِنْ ذٰلِكَ رِبْحٌ . وَلٰكِنْ إِذَا كَانَتِ ٱلْخَيْرَاتُ
تَأْتِينِي عَفْوًا فَأَحْسِبُهَا نِعْمَةً فَلَا يَعِيبُنِي ٱلْخُبَثَاءُ بِمِثْلِ هٰذَا قَالَ قَدْ

---

(١) ان المداجي كان يسلك بحسب اقتضاء الوقت وهو رجلٌ دنيوي خالٍ من كل ميلٍ الى جانب الله وقد علّق قلبهُ بالامور الدنيوية كما نرى كثيرًا من الناس الذين لا يريدون ان يخسروا صيتهم او ربحهم او راحتهم الدنيوية لاجل محبة المسيح

أَصَابَ ظَنِّي أَنَّكَ ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي سَمِعْتُ نَبَأَهُ وَلَا رَيْبَ أَنَّ هٰذَا ٱلِٱسْمَ يَلِيقُ بِكَ أَكْثَرَ مِمَّا تُرِيدُ أَنْ تُسَلِّمَ بِهِ فَقَالَ إِذَا كُنْتَ تَعْتَقِدُ هٰكَذَا فَلَيْسَ لِي حِيلَةٌ فِي دَفْعِ هٰذَا ٱلْوَهْمِ عَنْكَ وَلَعَلَّكُمَا إِذَا سَحَبْتُمَا لِي بِمُصَاحَبَتِكُمَا تَجِدَانِي نِعْمَ ٱلصَّاحِبُ. قَالَ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ صُحْبَتَنَا يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَجْرِيَ ضِدَّ ٱلرِّيحِ خِلَافًا لِرَأْيِكَ وَعَادَتِكَ وَتَغَارَ عَلَى ٱلدِّيَانَةِ وَهِيَ تَمْشِي فِي ٱلْأَثْوَابِ ٱلْبَالِيَةِ كَمَا تَغَارُ عَلَيْهَا وَهِيَ فِي ٱلْأَثْوَابِ ٱلْبَهِيَّةِ وَتَمْشِي مَعَهَا وَهِيَ مَغْلُولَةٌ بِٱلسَّلَاسِلِ كَمَا تَمْشِي مَعَهَا وَهِيَ مَزْفُوفَةٌ فِي ٱلشَّوَارِعِ. فَقَالَ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَتَحَكَّمَ فِي إِيمَانِي وَلَا تَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ وَلٰكِنْ دَعْنِي عَلَى حُرِّيَّتِي أَمْشِي مَعَكُمَا فِي ٱلطَّرِيقِ. قَالَ لَا تَخْطُ مَعَنَا خُطْوَةً وَاحِدَةً مَا لَمْ تَفْعَلْ فِي ذٰلِكَ كَمَا نَفْعَلُ نَحْنُ. فَقَالَ إِنِّي لَا أَتْرُكُ مَذْهَبِي ٱلْقَدِيمَ وَلَا أَنْقُضُ عَادَتِي ٱلْمُفِيدَةَ. فَإِنْ كُنْتُمَا لَا تَدْعَانِنِي أُرَافِقُكُمَا أَمْشِي وَحْدِي كَمَا كُنْتُ قَبْلَ أَنْ أَدْرَكْتُمَانِي حَتَّى يُدْرِكَنِي مَنْ تَسُرُّهُ صُحْبَتِي (١)

---

(١) انظر كيف ان هذين السائحين سلكا بحكمةٍ مع المداجي الماكر ولم يحكما عليه بالخبث الاَّ بعد ان تقرَّر لهما حالهُ بالحقيقة وحينئذٍ وعظاهُ وتركاهُ في الحال كما تقتضي وصيَّة المحبَّة الاخوية

قَالَ وَحِينَئِذٍ رَأَيْتُ ٱلْمَسِيحِيَّ وَرَفِيقَهُ قَدْ سَبَقَاهُ . ثُمَّ ٱلْتَفَتَ أَحَدُهُمَا إِلَى وَرَائِهِ فَرَأَى ثَلَاثَةَ رِجَالٍ يَتْبَعُونَ ٱلْمُدَاجِيَ حَتَّى أَدْرَكُوهُ فَحَيَّا بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِٱلسَّلَامِ . وَكَانَ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا ٱلْمُتَمَسِّكُ بِٱلدُّنْيَا وَلِلْآخَرِ مُحِبُّ ٱلْمَالِ وَلِلْآخَرِ شَدِيدُ ٱلطَّمَعِ . وَكَانَ ٱلْمُدَاجِي يَعْرِفُهُمْ قَدِيمًا لِأَنَّهُمْ كَانُوا جَمِيعًا فِي مَدْرَسَةٍ وَاحِدَةٍ يَتَعَلَّمُونَ عِنْدَ أُسْتَاذٍ يُقَالُ لَهُ ٱلْحِرْصُ وَهُوَ أُسْتَاذُ مَدْرَسَةٍ فِي بَلَدٍ يُقَالُ لَهَا مَحَبَّةُ ٱلرِّبْحِ فِي قَطِيعَةِ ٱلنَّخْلِ فِي ٱلْجِهَةِ ٱلشِّمَالِيَّةِ . وَهٰذَا ٱلْأُسْتَاذُ عَلَّمَهُمْ صِنَاعَةَ ٱلرِّبْحِ سَوَاءٌ كَانَ بِٱلِٱغْتِصَابِ أَمْ بِٱلْغِشِّ أَمْ بِٱلتَّمْلِيقِ أَمْ بِٱلْكَذِبِ أَمْ بِٱلتَّدْلِيسِ فِي ٱلدِّيَانَةِ . وَهٰؤُلَاءِ ٱلْأَرْبَعَةُ قَدْ تَعَلَّمُوا كَثِيرًا مِنْ صِفَاتِ مُعَلِّمِهِمْ حَتَّى صَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَادِرًا أَنْ يَفْتَحَ مِثْلَ هٰذِهِ ٱلْمَدْرَسَةِ بِذَاتِهِ

قَالَ وَلَمَّا سَلَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى صَاحِبِهِ قَالَ مُحِبُّ ٱلْمَالِ لِلْمُدَاجِي مَنْ هٰذَانِ ٱلْمَاشِيَانِ قُدَّامَنَا فِي ٱلطَّرِيقِ . فَقَالَ هُمَا رَجُلَانِ مِنْ بَلْدَةٍ بَعِيدَةٍ سَائِحَانِ سِيَاحَةً كَهَوَاهُمَا . قَالَ تَبًّا لَهُمَا لِمَاذَا لَمْ يَنْتَظِرَانَا حَتَّى كُنَّا نُرَافِقُهُمَا لِأَنَّنَا جَمِيعًا مُنْطَلِقُونَ لِلسِّيَاحَةِ . فَقَالَ إِنَّهُمَا مُتَصَلِّبَانِ جِدًّا يَتَمَسَّكَانِ بِأَوْهَامِهِمَا ٱلسَّخِيفَةِ

وَلَا يَعْتَبِرَانِ آرَاءَ غَيْرِهِمَا . فَإِنْ صَحِبَهُمَا رَجُلٌ صَالِحٌ كَالْمَلَائِكَةِ وَلَمْ يُوَافِقْهُمَا فِي تِلْكَ الْأَوْهَامِ يَمْتَنِعَانِ عَنْ مُرَافَقَتِهِ . قَالَ شَدِيدُ الطَّمَعِ إِنَّهَا طَرِيقَةٌ رَدِيئَةٌ وَنَحْنُ قَدْ قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ عَنْ أُنَاسٍ يَتَنَاهَوْنَ فِي الْعِبَادَةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَلْزَمُ وَذٰلِكَ التَّنَاهِي يَجْعَلُهُمْ يَدِينُونَ الْجَمِيعَ وَيَحْكُمُونَ عَلَى كُلِّ مَنْ سِوَاهُمْ بِالْغَلَطِ . غَيْرَ أَنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَقُولَ لِي مَا هِيَ الْأُمُورُ الَّتِي جَرَى الْخِلَافُ بَيْنَكُمْ فِيهَا . فَقَالَ إِنَّهُمَا قَدْ حَتَمَا عَلَى مُقْتَضَى عُتُوِّهِمَا أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِمَا أَنْ يَعْتَسِفَا فِي سَفَرِهِمَا كُلَّ وَقْتٍ وَأَمَّا أَنَا فَأُحِبُّ أَنْ أَجْرِيَ مَعَ الرِّيحِ . وَهُمَا يُخَاطِرَانِ فِي كُلِّ شَيْءٍ لِأَجْلِ اللّٰهِ وَأَنَا أُرَاعِي حِفْظَ حَيَاتِي وَصَلَاحَ حَالِي . وَهُمَا يَتَمَسَّكَانِ بِأَوْهَامِهِمَا وَلَوْ كَانَ الْعَالَمُ كُلُّهُ يُضَادُّهُمَا وَأَنَا أَتَمَسَّكُ مِنَ الدِّيَانَةِ بِمَا يُنَاسِبُ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ[1] وَهُمَا يُلَازِمَانِ الدِّيَانَةَ وَهِيَ فِي الثِّيَابِ الْبَالِيَةِ تَحْتَ أَجْنِحَةِ الظُّلْمَةِ وَالْمَذَلَّةِ وَأَنَا أُلَازِمُهَا وَهِيَ فِي الثِّيَابِ الْمُزَخْرَفَةِ تَحْتَ أَلْوِيَةِ الضِّيَاءِ وَالِابْتِهَاجِ . فَقَالَ الْمُتَمَسِّكُ

(١) ان من يحفظ رسوم الديانة كما يجب ويتناهى في ذلك يلومهُ اهل زمانهِ لانهُ يتمسك بعوائد مخالفة لعوائدهم . واما من يترك هذه الطريقة فانهُ يسرُّ الناس الدنيويين ولا يلومهُ احد منهم لانهُ يكون من حزبهم

بِالدُّنْيَا نِعِمَّا تَفْعَلُ يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْحَاذِقُ لِأَنِّي لَا أَحْسَبُ مَنْ لَهُ الْحُرِّيَّةُ فِي حِفْظِ مَا يَمْلِكُ وَهُوَ يَذْهَبُ وَيُبَدِّدُهُ بِجَهْلِهِ إِلَّا أَحْمَقَ فَلْنَكُنْ حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ. وَالْأَفْضَلُ أَنْ نَجْنِيَ الزَّهْرَ فِي اعْتِدَالِ الرَّبِيعِ. وَأَنْتَ تَرَى كَيْفَ تَسْتَرِيحُ النَّحْلَةُ كُلَّ الشِّتَاءِ وَتَهْتَمُّ حِينَمَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْنِيَ بِلَذَّةٍ. فَإِنَّ اللهَ يُرْسِلُ أَحْيَانًا مَطَرًا وَأَحْيَانًا صَحْوًا. وَإِنْ كَانَ هٰذَانِ الرَّجُلَانِ فِي هٰذَا الْمِقْدَارِ مِنَ الْجَهْلِ حَتَّى يَسِيرَا تَحْتَ الْمَطَرِ فَسَبِيلُنَا نَحْنُ أَنْ نَسِيرَ عِنْدَ الصَّحْوِ. وَمِنْ جِهَتِي فَإِنِّي أُفَضِّلُ الدِّيَانَةَ الْقَائِمَةَ مَعَ الْأَمْنِ وَالْخِصْبِ لِأَنَّ اللهَ مَا أَفَاضَ عَلَيْنَا مَوَاهِبَ الْحَيَاةِ إِلَّا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ نَحْفَظَهَا حُبًّا بِهِ. وَلَا يَخْفَى أَنَّ إِبْرٰهِيمَ وَسُلَيْمَانَ قَدِ اسْتَغْنَيَا مَعَ حُسْنِ الدِّيَانَةِ. وَأَيُّوبُ يَقُولُ إِنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ يَجْمَعُ الذَّهَبَ كَمِثْلِ التُّرَابِ وَلٰكِنْ لَا يَصِحُّ قَوْلُهُ هٰذَا عَلَى مِثْلِ هٰذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِذَا كَانَا كَمَا أَخْبَرْتَ عَنْهُمَا. فَقَالَ شَدِيدُ الطَّمَعِ إِنَّنَا كُلَّنَا سَوَاءٌ فِي هٰذَا الْحُكْمِ فَلَا احْتِيَاجَ إِلَى زِيَادَةِ الْكَلَامِ عَنْهُ. وَقَالَ مُحِبُّ الْمَالِ نَعَمْ إِنَّنَا لَا نَحْتَاجُ إِلَى كَثْرَةِ التَّقْرِيرِ فِي ذٰلِكَ لِأَنَّ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْكِتَابِ وَلَا بِالْبَرَاهِينِ كَمَا نُؤْمِنُ

نَحْنُ لَا يَعْرِفُ حُرِّيَّتَهُ وَلَا يَطْلُبُ نَجَاتَهُ

فَقَالَ ٱلْمُدَاحِي يَا إِخْوَنِي إِنَّنَا سَائِحُونَ جَمِيعًا كَمَا تَعْلَمُونَ وَلِكَيْ نَلْتَهِيَ عَنِ ٱلْأُمُورِ ٱلسَّمِجَةِ أَسْتَأْذِنُكُمْ فِي بَسْطِ هٰذِهِ ٱلْمَسْئَلَةِ لَدَيْكُمْ. قَالُوا قُلْ مَا بَدَا لَكَ. فَقَالَ إِذَا فَرَضْنَا أَنَّ رَجُلًا عَالِمِيًّا أَوْ قِسِّيسًا وَجَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ فُرْصَةً بِهَا يَكْتَسِبُ بَرَكَاتِ هٰذِهِ ٱلْحَيَاةِ وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلِٱكْتِسَابُ لَا يَتِمُّ إِلَّا أَنْ يَصِيرَ غَيُورًا أَكْثَرَ مِنَ ٱلْعَادَةِ فِي مَا لَمْ يَكُنْ يُمَارِسُهُ قَبْلًا مِنْ أُمُورِ ٱلدِّيَانَةِ أَفَلَا يَصِحُّ لَهُ أَنْ يَسْتَعْمِلَ هٰذِهِ ٱلْوَاسِطَةَ لِيَحْصُلَ بِهَا عَلَى مُرَادِهِ وَيَكُونُ مَعَ ذٰلِكَ صَالِحًا فِي ٱلْحَقِيقَةِ. فَقَالَ مُحِبُّ ٱلْمَالِ قَدْ عَرَفْتُ مَا تَبْنِي عَلَيْهِ مَسْأَلَتَكَ وَأَنَا أَسْتَأْذِنُ هٰؤُلَاءِ ٱلْأَشْرَافَ ٱلصَّالِحِينَ فِي ٱلْكَلَامِ. أَمَّا بِخُصُوصِ ٱلْقِسِّيسِ فَلْنَفْرِضْ أَنَّ قِسِّيسًا صَالِحًا لَيْسَ لَهُ سِوَى دَخْلٍ قَلِيلٍ فِي مَكَانِهِ وَهُوَ يَرَى أَنَّ لَهُ دَخْلًا أَكْثَرَ فِي مَكَانٍ آخَرَ وَلَهُ فُرْصَةٌ فِي تَحْصِيلِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِٱزْدِيَادٍ مِنْهُ فِي ٱلْغِيرَةِ وَٱلْوَعْظِ وَتَغْيِيرٍ فِي بَعْضِ مَبَادِئِهِ بِحَسَبِ هَوَى ٱلشَّعْبِ فَعَلَى مَا أَرَى أَنَّهُ يُبَاحُ لَهُ ذٰلِكَ بَلْ أَكْثَرُ وَيَكُونُ مَعَ ٱسْتِعْمَالِهِ رَجُلًا صِدِّيقًا. لِأَنَّ رَغْبَتَهُ فِي تِلْكَ ٱلْفَائِدَةِ غَيْرُ

مُحَرَّمَةٍ عَلَيْهِ لِأَنَّ تِلْكَ ٱلْفَائِدَةَ قَدْ وُضِعَتْ أَمَامَهُ بِعِنَايَةٍ إِلٰهِيَّةٍ وَلَا رَيْبَ أَنَّ هٰذِهِ ٱلرَّغْبَةَ تَجْعَلُهُ أَشَدَّ هِمَّةً وَأَجَدَّ نَشَاطًا فِي مُوَاظَبَةِ ٱلدَّرْسِ وَٱلْوَعْظِ فَيَصِيرُ رَجُلًا أَفْضَلَ مِمَّا كَانَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي يُرْضِي ٱللّٰهَ . وَأَمَّا جَرْيُهُ عَلَى هَوَى ٱلشَّعْبِ فِي تَرْكِ بَعْضِ مَبَادِئِهِ ٱلْمَأْلُوفَةِ لِأَجْلِ خِدْمَتِهِ لَهُمْ عَلَى ٱلْوَجْهِ ٱلْمَقْبُولِ عِنْدَهُمْ فَذٰلِكَ دَلِيلٌ عَلَى إِنْكَارِهِ لِهَوَى نَفْسِهِ وَعَلَى حُسْنِ تَصَرُّفِهِ ٱلْمَحْمُودِ وَهٰكَذَا عَلَى لِيَاقَتِهِ لِوَظِيفَتِهِ . وَإِذَا كَانَ قَدْ تَرَكَ ٱلْقَلِيلَ فِي طَلَبِ ٱلْكَثِيرِ لَا يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِٱلطَّمَعِ وَلٰكِنْ بِٱعْتِبَارِ أَنَّهُ يُصْلِحُ شَأْنَهُ بِذٰلِكَ وَيَتَقَدَّمُ فِي حُسْنِ سُلُوكِهِ يُحْسَبُ كَمَنْ يُهَذِّبُ وَظِيفَتَهُ وَيَجْتَهِدُ فِي ٱلْقِيَامِ بِحَقِّهَا

وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ ٱلرَّجُلِ ٱلْعَالَمِيِّ فَلْنَفْرِضْ أَنَّ رَجُلًا لَيْسَ لَهُ إِلَّا دَخْلٌ يَسِيرٌ مِنْ حِرْفَةٍ دَنِيئَةٍ تَوَرَّعَ فِي دِينِهِ وَكَانَ ذٰلِكَ وَسِيلَةً لَهُ إِلَى ٱلتَّقَدُّمِ فِي رَوَاجِ حِرْفَتِهِ أَوْ إِلَى ٱلِٱتِّصَالِ بِبَعْضِ ٱلْأَغْنِيَاءِ فَيَمُدُّهُ بِمَالِهِ فَعَلَى مَا أَرَى أَنَّ لَا مَانِعَ لَهُ فِي ذٰلِكَ . لِأَنَّ ٱلتَّوَرُّعَ فِي ٱلدِّيَانَةِ هُوَ فَضِيلَةٌ عَلَى أَيِّ وَجْهٍ كَانَ وَٱلْإِنْسَانُ لَا يُحْرَمُ عَلَيْهِ زِيَادَةُ ٱلرِّبْحِ فِي حَانُوتِهِ وَلَا ٱلِٱتِّصَالُ بِٱلْأَغْنِيَاءِ .

وَلَعَلَّهُ بِذٰلِكَ ٱلتَّعَمُّقِ فِي ٱلصَّلَاحِ يَكُونُ عَثِيرًا لِلصَّالِحِينَ فَيَكُونَ قَدْ جَمَعَ ٱلصَّلَاحَ فِي ٱلْمَالِ وَٱلْحَالِ وَذٰلِكَ مِنَ ٱلْمَقَاصِدِ ٱلْجَيِّدَةِ ٱلْمُفِيدَةِ (١) وَلَمَّا فَرَغَ هٰذَا ٱلْقَائِلُ مِنْ كَلَامِهِ مَلَأَ بِهِ مَسَامِعَ أَصْحَابِهِ وَقُلُوبَهُمْ وَأَجْمَعُوا عَلَى صِحَّتِهِ وَسَلَامَتِهِ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَٱعْتِرَاضٍ وَعَوَّلُوا عَلَى أَنَّهُمْ يُدْرِكُونَ ٱلْمَسِيحِيَّ وَٱلرَّاحِيَ وَيُصَادِمُونَهُمَا بِهِ . وَكَانُوا لَمْ يَزَالُوا بِٱلْقُرْبِ مِنْهُمَا فَٱسْتَوْقَفُوهُمَا حَتَّى وَصَلُوا إِلَيْهِمَا. وَكَانُوا قَدْ عَلِمُوا بِٱلْمُنَافَرَةِ ٱلَّتِي وَقَعَتْ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ ٱلْمُدَاجِي فَٱسْتَحْسَنُوا أَنْ يَكُونَ ٱلْخِطَابُ مِنَ ٱلْمُتَمَسِّكِ بِٱلدُّنْيَا لَعَلَّهُمَا يُجِيبَانِهِ عَنْ رِضًا . فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمَا بِتِلْكَ ٱلْمَسْأَلَةِ وَطَلَبَ ٱلْجَوَابَ عَنْهَا

فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ إِنَّ ٱلصَّبِيَّ يَقْدِرُ أَنْ يُجِيبَ عَنْ أُلُوفٍ مِنَ ٱلْمَسَائِلِ مِثْلِ هٰذِهِ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ لَا يَجُوزُ ٱتِّبَاعُ ٱلْمَسِيحِ

---

(١) هنا يظهر ما الفطنة الدنيوية والاحتجاجات الجهنمية وحيل المحال وخداعهُ . ولا يخفى اننا نسمع ذلك كل يوم من افواه محبي المال الذين ليس لهم قوة الايمان ولا براهين التقوى ولكن اسمع ما يقول الروح القدس مضادًّا لهولاء ان محبة المال اصل لكل الشرور اتي ٦ : ١٠ وقولهُ ايضًا والطمع الذي هو عبادة الاوثان كو ٣ : ٥

لِأَجْلِ ٱلْخُبْزِ (١) فَكَمْ بِٱلْحَرِيِّ يَكُونُ مَرْذُولًا جَعْلُ ٱلدِّيَانَةِ وَاسِطَةً لِنَيْلِ ٱلْأَشْيَاءِ ٱلدُّنْيَوِيَّةِ وَٱلتَّمَتُّعِ بِهَا. وَنَحْنُ لَا نَجِدُ أَحَدًا عَلَى هٰذَا ٱلرَّأْيِ إِلَّا عُبَّادَ ٱلْوَثَنِ وَٱلْمُرَائِينَ وَٱلشَّيَاطِينَ وَٱلسَّحَرَةَ. أَمَّا عُبَّادُ ٱلْوَثَنِ فَيَشْهَدُ لَنَا عَلَى ذٰلِكَ مِنْهُمْ عَمَلُ حَمُورَ وَشَكِيمَ ٱللَّذَيْنِ لَمَّا أَرَادَا أَنْ يَأْخُذَا ٱبْنَةَ يَعْقُوبَ وَمَوَاشِيَهُ لَمْ يَجِدَا حِيلَةً لِبُلُوغِ أَرَبِهِمَا إِلَّا أَنْ يَخْتَتِنَا. لِأَنَّهُمَا قَالَا لِأَصْحَابِهِمَا إِذَا ٱخْتَتَنَ كُلُّ ذَكَرٍ مِنَّا مِثْلَمَا ٱخْتَتَنُوا هُمْ فَكُلُّ مَا يَمْلِكُونَهُ يَكُونُ لَنَا فَقَدْ كَانَ ٱلْمَقْصُودُ عِنْدَهُمَا ٱلْبَنَاتِ وَٱلْمَوَاشِيَ وَكَانَتِ ٱلْوَاسِطَةُ لِذٰلِكَ هِيَ ٱلدِّيَانَةَ (٢) وَأَمَّا ٱلْمُرَاؤُونَ فَإِنَّ ٱلْفَرِّيسِيِّينَ كَانُوا يُطَوِّلُونَ صَلَوَاتِهِمْ لِيَأْكُلُوا بُيُوتَ ٱلْأَرَامِلِ (٣) وَأَمَّا ٱلشَّيَاطِينُ فَإِنَّ يَهُوذَا ٱلْإِسْخَرْيُوطِيَّ كَانَ يَتَوَرَّعُ فِي ٱلدِّيَانَةِ لِكَيْ يُسْتَأْمَنَ عَلَى ٱلصُّنْدُوقِ طَمَعًا فِي مَا كَانَ مَوْضُوعًا فِيهِ وَسَمَّاهُ ٱلْمَسِيحُ شَيْطَانًا وَٱبْنَ ٱلْهَلَاكِ. وَأَمَّا ٱلسَّحَرَةُ فَإِنَّ سِيمُونَ ٱلسَّاحِرَ أَرَادَ أَنْ يَنَالَ ٱلرُّوحَ ٱلْقُدُسَ لِكَيْ يَقْدِرَ أَنْ يَرْبَحَ أَمْوَالًا بِوَاسِطَتِهِ. وَأَنْتَ تَعْلَمُ ٱلْكَلَامَ ٱلَّذِي قَالَهُ لَهُ بُطْرُسُ (٤) فَقَدْ تَقَرَّرَ أَنَّ مَنْ يُمْسِكُ ٱلدِّينَ

(١) يو ٦: ١٦ (٢) تك ٣٤: ٢٠–٢٤ (٣) لو ٢٠: ٤٦ و٤٧
(٤) اع ٨: ١٨–٢٣

لِأَجْلِ ٱلدُّنْيَا يَتْرُكُهُ لِأَجْلِهَا ثُمَّ يَخْسَرُهُمَا جَمِيعًا كَمَا أَصَابَ يَهُوذَا . وَمَنْ أَجَابَ عَنْ هٰذِهِ ٱلْمَسْأَلَةِ بِإِثْبَاتِهَا وَقَبُولِهَا كَمَا هِيَ عِنْدَكُمْ فَيَكُونُ جَوَابُهُ وَثَنِيًّا وَشَيْطَانِيًّا وَمُرَائِيًا . وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ سَوْفَ تُجَازَوْنَ حَسَبَ أَعْمَالِكُمُ ٱلْخَبِيثَةِ لِأَنَّ ٱللهَ لَا يَقْبَلُ ٱلرِّيَاءَ وَلَا يُحَابِي بِٱلْوُجُوهِ . وَلَمَّا فَرَغَ ٱلْمَسِيحِيُّ مِنْ كَلَامِهِ أَخَذَ كُلٌّ مِنْهُمْ يَنْظُرُ إِلَى صَاحِبِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَا يُجِيبُونَ بِهِ وَٱرْدَفَ ٱلرَّاجِي عَلَى تَصْحِيحِ جَوَابِ ٱلْمَسِيحِيِّ وَتَأْيِيدِهِ . فَمَا زَادَهُمْ إِلَّا حَيْرَةً وَخَجَلًا فَتَأَخَّرُوا حَتَّى سَبَقَهُمُ ٱلْمَسِيحِيُّ وَصَاحِبُهُ . وَحِينَئِذٍ قَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ لِلرَّاجِي إِنْ كَانَ هٰؤُلَاءِ لَمْ يَسْتَطِيعُوا ٱلثَّبَاتَ قُدَّامَ حُكْمِ ٱلنَّاسِ فَكَيْفَ يَثْبُتُونَ قُدَّامَ حُكْمِ ٱللهِ . وَإِنْ كَانَ قَدْ أَبْكَمَهُمْ كَلَامُنَا نَحْنُ آنِيَةُ ٱلْفَخَّارِ فَمَاذَا يَفْعَلُونَ عِنْدَمَا يُوبَّخُونَ بِلَهِيبِ تِلْكَ ٱلنَّارِ ٱلْجَهَنَّمِيَّةِ . قَالَ وَبَعْدَ ذٰلِكَ تَقَدَّمَ ٱلْمَسِيحِيُّ وَصَاحِبُهُ حَتَّى وَصَلَا إِلَى سَهْلَةٍ طَيِّبَةٍ يُقَالُ لَهَا ٱلرَّاحَةُ . فَسَارَا فِيهَا مُبْتَهِجَيْنِ وَكَانَتْ قَصِيرَةَ ٱلْمَسَافَةِ فَتَجَاوَزَاهَا سَرِيعًا . وَكَانَ فِي جَانِبِ هٰذِهِ ٱلسَّهْلَةِ أَكَمَةٌ يُقَالُ لَهَا ٱلرِّبْحُ فِيهَا مَعْدِنٌ مِنَ ٱلْفِضَّةِ وَكَانَ كَثِيرُونَ مِنْ عَابِرِي تِلْكَ ٱلطَّرِيقِ يَمِيلُونَ إِلَيْهِ لِلتَّفَرُّجِ عَلَى

بَهْجَتِهِ حَتَّى يُشْرِفُوا عَلَى طَرَفِ تِلْكَ ٱلْحُفْرَةِ فَتَسْقُطُ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ وَيَهْبِطُونَ فَيُقْتَلُونَ وَرُبَّمَا سَلِمَ بَعْضُهُمْ مِنَ ٱلْمَوْتِ لٰكِنَّهُ يَتَخَلَّعُ فَلَا يُشْفَى إِلَى ٱلْمَمَاتِ (١)

قَالَ صَاحِبُ ٱلرُّؤْيَا وَحِينَئِذٍ رَأَيْتُ أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ دِيمَاسُ كَانَ جَالِسًا بِٱلْقُرْبِ مِنَ ٱلطَّرِيقِ إِلَى جَانِبِ مَعْدِنِ ٱلْفِضَّةِ يَدْعُو أَبْنَاءَ ٱلسَّبِيلِ إِلَى ٱلتَّفَرُّجِ عَلَيْهِ. فَلَمَّا دَنَا ٱلْمَسِيحِيُّ وَصَاحِبُهُ قَالَ لَهُمَا عَرِّجَا إِلَى هُنَا لِأُرِيَكُمَا مَنْظَرًا عَجِيبًا. فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ مَا يَكُونُ هٰذَا ٱلْمَنْظَرُ ٱلَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ نَعْدِلَ عَنِ ٱلطَّرِيقِ مِنْ أَجْلِهِ. قَالَ هُوَ مَعْدِنٌ عَظِيمٌ مِنَ ٱلْفِضَّةِ وَٱلْآنَ فِيهِ أُنَاسٌ يَحْتَفِرُونَ فِي طَلَبِ مَا فِيهِ مِنَ ٱلْمَنْفَعَةِ فَإِنْ شِئْتُمَا فَلُمَّا إِلَيْهِ لِأَنَّكُمَا تَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَسْتَغْنِيَا مِنْهُ بِتَعَبٍ يَسِيرٍ. فَقَالَ ٱلرَّاعِي لِلْمَسِيحِيِّ يَا أَخِي دَعْنَا نَذْهَبُ إِلَيْهِ وَنَنْظُرُ. فَقَالَ حَاشَا لِلّٰهِ إِنِّي

(١) لا شيء اكثر ضررًا للنفس من الغنى العالمي. فانهُ فخ يضعهُ الشرير في طريقها وما اكثر الذين اغترُّوا بالحطام الدنيوية وارتدُّوا عن سبيل الله بعد ان قطعوا مسافة طويلة منهُ وكابدوا شدائد كثيرة. ولا ريب ان من كان عندهُ المال يصعب عليهِ تركهُ ويتعلق قلبهُ اشد تعلُّقٍ كما يشير الروح الى ذلك بقولهِ ان محبة المال اصل لكل الشرور وكثيرون ممن رغبوا في المال ضلوا بهِ عن الايمان ورشقوا انفسهم بسهام كثيرة من الاحزان والمصائب ١ تي ٦: ١٠

سَمِعْتُ قَبْلَ ٱلْآنَ نَبَأَ هٰذَا ٱلْمَكَانِ وَعَلِمْتُ أَنَّ كَثِيرِينَ قُتِلُوا فِيهِ وَفَضْلًا عَنْ ذٰلِكَ إِنَّ هٰذَا ٱلْمَعْدِنَ فَخٌّ لِمَنْ يَطْلُبُونَهُ يَمْسِكُهُمْ عَنْ سِيَاحَتِهِمْ (١) وَٱلْتَفَتَ إِلَى دِيمَاسَ وَقَالَ لَهُ أَلَيْسَ هٰذَا ٱلْمَكَانُ خَطِرًا كَمَا أَقُولُ أَوْ مَا مَنَعَ كَثِيرِينَ عَنْ سِيَاحَتِهِمْ. فَقَالَ لَيْسَ فِيهِ خَطَرٌ كَثِيرٌ إِلَّا عَلَى ٱلْغَافِلِينَ. إِلَّا أَنَّهُ تَلَوَّنَ عِنْدَ كَلَامِهِ. فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ لِلرَّاعِي مَعَاذَ ٱللهِ أَنْ تَخْطُوَ خَطْوَةً نَحْوَهُ وَلٰكِنْ دَعْنَا نَلْزَمُ طَرِيقَنَا. فَقَالَ أَصَبْتَ وَلٰكِنْ لَا أَشُكُّ أَنَّ ٱلْمُدَاجِيَ إِذَا وَصَلَ إِلَى هُنَا وَدُعِيَ إِلَيْهِ كَمَا دُعِينَا يَرْكُضُ إِلَيْهِ وَلَا يَتَوَقَّفُ. قَالَ لَا شَكَّ فِي ذٰلِكَ لِأَنَّ عَقِيدَتَهُ تَقُودُهُ إِلَى هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ وَٱلْأَرْجَحُ أَنَّهُ يَمُوتُ هُنَاكَ. وَبَيْنَمَا هُمَا فِي هٰذَا ٱلْكَلَامِ نَادَاهُمَا دِيمَاسُ وَقَالَ لَهُمَا أَلَا تُرِيدَانِ ٱلْمَجِيءَ إِلَى هُنَا. فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ يَا دِيمَاسُ إِنَّكَ عَدُوٌّ لِرَبِّ هٰذَا ٱلسَّبِيلِ ٱلْمُسْتَقِيمِ وَقَدْ صِرْتَ تَحْتَ دَيْنُونَةِ جَلَالِهِ لِأَجْلِ ٱنْحِرَافِكَ عَنْهَا (٢) فَلِمَاذَا تَجْتَهِدُ أَنْ

---

(١) انهُ ينفعنا جدًّا ان يكون لنا صديق امين ولكن ما اقلَّ الاصدقاء الامناء الذين يجتهدون ان يمنعوا غيرهم عن الانهماك في تحصيل الاموال الفانية واقلّ منهم الذين يحذرون الطمع كأنهُ عبادة الاوثان. فليضع هولاء بازاء اعينهم ما وعظهم بهِ السيد لهُ المجد بقولهِ انظروا وتحفَّظوا من الطمع لو ١٢: ١٥

(٢) ٢ تي ٤: ٩

تَجْلُبَ عَلَيْنَا هٰذِهِ ٱلدَّيْنُونَةَ لِأَنَّنَا إِذَا مِلْنَا عَنِ ٱلطَّرِيقِ يَعْلَمُ سَيِّدُنَا ٱلْمَلِكُ فَيُجَازِينَا حِينَمَا نُرِيدُ أَنْ نَقِفَ قُدَّامَهُ بِٱلْقَبُولِ. فَقَالَ لَا بَأْسَ إِنِّي مِنْ أَصْحَابِكُمَا فَٱصْبِرَا قَلِيلًا حَتَّى آتِيَ وَأُرَافِقَكُمَا. قَالَ مَا ٱسْمُكَ يَا صَاحِ أَمَا أَنْتَ دِيمَاسُ كَمَا دَعَوْتُكَ. فَقَالَ بَلَى وَأَنَا ٱبْنُ إِبْرِهِيمَ. فَقَالَ أَنَا أَعْرِفُكَ إِنْ جِيجَزِيَ كَانَ جَدَّكَ وَيَهُوذَا أَبَاكَ وَأَنْتَ سَلَكْتَ فِي أَثَرِهِمَا. وَأَمَّا ٱلْحِيلَةُ ٱلَّتِي تَسْتَعْمِلُهَا فَمَا هِيَ إِلَّا حِيلَةٌ شَيْطَانِيَّةٌ. وَأَبُوكَ مَاتَ شَنْقًا لِأَجْلِ ٱلْخِيَانَةِ وَأَنْتَ لَا تَسْتَأْهِلُ مُجَازَاةً أَحْسَنَ (١) وَٱعْلَمْ أَنَّنَا فِي حَالِ وُصُولِنَا إِلَى ٱلْمَلِكِ نُخْبِرُهُ بِعَمَلِكَ هٰذَا وَهُوَ أَوْلَى بِمُكَافَأَتِكَ. وَهٰكَذَا ٱنْطَلَقَا فِي طَرِيقِهِمَا وَمَا أَبْعَدَا حَتَّى نَظَرَا ٱلْمُدَاحِيَ وَأَصْحَابَهُ قَدْ وَصَلُوا إِلَى تِلْكَ ٱلسَّهْلَةِ وَنَادَاهُمْ دِيمَاسُ فَٱنْعَطَفُوا إِلَيْهِ وَلَا أَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُمْ وَلٰكِنِّي أَعْرِفُ أَنَّنِي لَمْ أَنْظُرْهُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ فِي ٱلطَّرِيقِ. وَلَمَّا خَلَا ٱلْمَسِيحِيُّ بِنَفْسِهِ فِي تِلْكَ ٱلْبَرِّيَّةِ تَهَلَّلَ بِنَجَاتِهِ مِنْ تِلْكَ ٱلْفِخَاخِ وَأَنْشَدَ يَقُولُ

إِنَّ ٱلْمُدَاحِيَ وَٱلْفَتَى دِيمَاسَا تَوَافَقَا يُخَاتِلَانِ ٱلنَّاسَا

---

(١) ٢ صم ١٥: ٢–٢٧ ومت ٢٦: ١٤ و١٥ و٢٧: ٣–٥

ذٰلِكَ يَدْعُو مَنْ يَرَى ٱخْتِلَاسَا
وَذَا يُجِيبُ لَا يَرَى ٱحْتِرَاسَا
يُرِيدُ فِي قَبُولِهِ ٱلْوَسْوَاسَا
شِرْكَةَ رِبْحٍ يَمْلَأُ ٱلْأَكْيَاسَا
قَدْ شَرِبَا مِنْ خَيْرِ أَرْضٍ كَاسَا
وَتَرَكَا ٱلْأُخْرَى فَقُلْ لَا بَاسَا
إِنَّ ٱلْمَجَازِي يَحْسُبُ ٱلْأَنْفَاسَا

قَالَ صَاحِبُ ٱلرُّؤْيَا ثُمَّ رَأَيْتُ ٱلْمَسِيحِيَّ وَٱلرَّاجِيَ قَدِ ٱنْطَلَقَا فِي ٱلْجَانِبِ ٱلْآخَرِ مِنَ ٱلسَّهْلَةِ وَوَصَلَا إِلَى مَكَانٍ فِيهِ عَمُودٌ قَدِيمٌ بِٱلْقُرْبِ مِنَ ٱلطَّرِيقِ فَبَهِتَا مِنْ رُؤْيَتِهِ لِأَجْلِ مَنْظَرِهِ ٱلْغَرِيبِ لِأَنَّهُ كَانَ يَتَرَاءَى لَهُمَا كَأَنَّ ٱمْرَأَةً تَحَوَّلَتْ إِلَى شَكْلِ عَمُودٍ. فَجَعَلَا يَتَفَرَّسَانِ فِيهِ وَلَا يَعْلَمَانِ جَلِيَّةَ أَمْرِهِ. وَبَيْنَمَا ٱلرَّاجِي يُقَلِّبُ بَصَرَهُ فِيهِ رَأَى عَلَى رَأْسِهِ كِتَابَةً غَرِيبَةً لَمْ يَعْرِفْ أَنْ يَقْرَأَهَا فَدَعَا ٱلْمَسِيحِيَّ لِأَنَّهُ كَانَ مُطَّلِعًا فِي ٱلدَّرْسِ وَٱلْقِرَاءَةِ أَكْثَرَ مِنْهُ وَأَرَاهُ إِيَّاهَا فَتَأَمَّلَهَا وَإِذَا هِيَ ٱذْكُرُوا ٱمْرَأَةَ لُوطٍ. فَقَرَأَهَا لِلرَّاجِي وَحَكَمَا أَنَّ ذٰلِكَ هُوَ عَمُودُ ٱلْمِلْحِ ٱلَّذِي ٱسْتَحَالَتْ إِلَيْهِ

امْرَأَةُ لُوطٍ لِأَجْلِ الْتِفَاتِهَا إِلَى وَرَائِهَا بِقَلْبٍ شَيِّقٍ عِنْدَمَا خَرَجَتْ مِنْ سَدُومَ (١) فَقَالَ الْمَسِيحِيُّ سُبْحَانَ اللهِ يَا أَخِي إِنَّ هٰذَا الْمَنْظَرَ قَدْ طَابَقَ الْمَكَانَ وَالزَّمَانَ . فَإِنَّنَا لَوْ كُنَّا الْتَفَتْنَا إِلَى الْمَعْدِنِ الَّذِي دَعَانَا إِلَيْهِ دِيمَاسُ لَكُنَّا جَعَلْنَا أَنْفُسَنَا مَنْظَرًا يَعْتَبِرُ بِهِ مَنْ يَأْتِي بَعْدَنَا . قَالَ الرَّاجِي إِنَّنِي مُتَأَسِّفٌ يَا مَوْلَايَ عَلَى جَهَالَتِي السَّابِقَةِ وَمُتَعَجِّبٌ مِنْ حِلْمِ اللهِ الَّذِي لَمْ يَمْسَخْنِي كَامْرَأَةِ لُوطٍ لِأَنَّهَا الْتَفَتَتْ إِلَى وَرَائِهَا فَقَطْ وَأَمَّا أَنَا فَاشْتَهَيْتُ أَنْ أَقْصِدَ ذٰلِكَ الْمَكَانَ وَأَرَى مَا فِيهِ . فَلْتَكُنْ نِعْمَةُ اللهِ مُبَارَكَةً وَلْتُخْذَلْ جَمِيعُ أَفْكَارِي الْبَاطِلَةِ وَشَهَوَاتِي الشِّرِّيرَةِ. قَالَ الْمَسِيحِيُّ فَلْنَعْتَبِرْ إِذًا مَا رَأَيْنَاهُ هُنَا لِيَكُونَ لَنَا عَوْنًا فِي مَا يَأْتِي . إِنَّ هٰذِهِ الْمَرْأَةَ قَدْ سَلِمَتْ مِنْ حُكْمٍ وَاحِدٍ لِأَنَّهَا لَمْ تَهْلِكْ مَعَ أَهْلِ سَدُومَ إِلَّا أَنَّهَا هَلَكَتْ بِحُكْمٍ آخَرَ لِأَنَّنَا نَرَى أَنَّهَا قَدْ صَارَتْ عَمُودَ مِلْحٍ . فَقَالَ نَعَمْ إِنَّهُ يُمْكِنُنَا أَنْ نَعْتَبِرَ بِهَا فَلْنَحْذَرْ عَلَى أَنْفُسِنَا حَتَّى نَجْتَنِبَ أَنْ نَسْقُطَ فِي مَا سَقَطَتْ فِيهِ . وَأَمَّا الَّذِينَ لَا يَعْتَبِرُونَ فَتَجِبُ عَلَيْهِمْ تِلْكَ الدَّيْنُونَةُ كَمَا أَصَابَ قُورَحَ وَدَاثَانَ وَأَبِيرَامَ

---

(١) تك ١٩: ٢٦

وَٱلْمِئَتَيْنِ وَٱلْخَمْسِينَ رَجُلًا ٱلَّذِينَ هَلَكُوا بِخَطِيَّتِهِمْ[1] وَصَارُوا عِبْرَةً لِلْآخَرِينَ لِيَحْتَفِظُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ. وَفَوْقَ ذٰلِكَ أَنِّي أَتَعَجَّبُ كَيْفَ يَطْمَئِنُّ دِيمَاسُ وَأَصْحَابُهُ عَلَى ٱلْوُقُوفِ حَتَّى يُفَتِّشُوا عَنْ ذَهَبِ ذٰلِكَ ٱلْمَعْدِنِ ٱلَّذِي تَحَوَّلَتْ هٰذِهِ ٱلْمَرْأَةُ حَجَرًا بِسَبَبِ ٱلْتِفَاتِهَا إِلَى مِثْلِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَخْرُجَ عَنْ مَكَانِهَا. وَلَا سِيَّمَا أَنَّ ٱلْقَضَاءَ قَدْ نَزَلَ عَلَيْهَا حَتَّى جَعَلَهَا عِبْرَةً تَرَاهَا ٱلْعَيْنُ مِنَ ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ لِأَنَّهُمْ لَوْ رَفَعُوا ٱلْحَاظَهُمْ نَحْوَهَا لَرَأَوْهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَحَوَّلُوا عَنْ ذٰلِكَ ٱلْمَوْقِفِ. فَقَالَ إِنَّ هٰذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قُلُوبَهُمْ قَدْ خَدِرَتْ فَلَا يَعْتَبِرُونَ حَيْثُ يَجِبُ ٱلِٱعْتِبَارُ وَلَا يَحْذَرُونَ فِي مَقَامِ ٱلْحَذَرِ. فَهُمْ أَشْبَهُ بِمَنْ يَسْرِقُ بِحَضْرَةِ ٱلْقَاضِي أَوْ يَقْتُلُ تَحْتَ سَيْفِ ٱلْجَلَّادِ. وَقَدِ ٱسْتُعْظِمَتْ خَطِيئَةُ أَهْلِ سَدُومَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا هٰكَذَا قُدَّامَ ٱلرَّبِّ كَافِرِينَ بِنِعْمَتِهِ ٱلَّتِي أَعْطَاهُمْ إِيَّاهَا وَهٰذَا ٱلَّذِي حَرَّكَ ٱنْتِقَامَ ٱللهِ حَتَّى أَحْرَقَهُمْ بِٱلنَّارِ فِي ٱلدُّنْيَا قَبْلَ ٱلْآخِرَةِ. وَلَا رَيْبَ أَنَّ مَنْ يَمْشِي فِي هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ ٱلْمُهْلِكَةِ وَلَا يُبَالِي بِٱلْعِبَرِ ٱلْمَنْصُوبَةِ أَمَامَهُ كَهٰؤُلَاءِ فَلَا بُدَّ أَنْ يُشَارِكَهُمْ فِي

---

(١) عد ١٦: ٤١ و ٢٦: ٩ و ١٠

دَيْنُونَتِهِمِ ٱلْهَائِلَةِ. قَالَ صَدَقْتَ يَا أَخِي فَيَا لَهَا مِنْ رَحْمَةٍ عَظِيمَةٍ أَنَّنَا لَمْ نَصِرْ عِبْرَةً لِلنَّاسِ وَهٰذَا يَجْعَلُنَا نَشْكُرُ ٱللهَ وَنَتَذَكَّرُ ٱمْرَأَةَ لُوطٍ دَائِمًا

قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُهُمَا قَدْ جَدَّا فِي طَرِيقِهِمَا حَتَّى وَصَلَا إِلَى نَهْرٍ عَظِيمٍ دَعَاهُ دَاوُدُ ٱلْمَلِكُ نَهْرَ ٱللهِ (١) وَدَعَاهُ يُوحَنَّا نَهْرَ مَاءِ ٱلْحَيَاةِ (٢) وَكَانَتْ طَرِيقُهُمَا عَلَى جَانِبِ ذٰلِكَ ٱلنَّهْرِ فَمَشَيَا بِٱبْتِهَاجٍ عَظِيمٍ وَشَرِبَا مِنْ مَائِهِ ٱلشَّهِيِّ ٱلَّذِي يُرْوِي عَطَشَ ٱلْأَنْفُسِ. وَكَانَ عَلَى جَانِبَيْهِ أَشْجَارٌ خُضْرٌ حَافِلَةٌ بِٱلثِّمَارِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ وَعَلَيْهَا وَرَقٌ يَشْفِي مِنْ جَمِيعِ ٱلْأَمْرَاضِ ٱلَّتِي تَعْرِضُ مِنْ مَشَقَّةِ ٱلسَّفَرِ. وَهُنَاكَ أَيْضًا رَوْضَةٌ مُكَلَّلَةٌ بِٱلسَّوْسَنِ ٱلْبَهِيجِ لَا تَذْبُلُ عَلَى تَوَالِي ٱلْفُصُولِ فَٱضْطَجَعَا فِي تِلْكَ ٱلرَّوْضَةِ وَنَامَا لِأَنَّهُمَا يَسْتَطِيعَانِ أَنْ يَسْتَرِيحَا فِيهَا بِٱلْأَمَانِ (٣) وَلَمَّا ٱسْتَيْقَظَا نَهَضَا يَجْتَنِيَانِ مِنْ تِلْكَ

---

(١) مز ٦٥: ٩ (٢) رؤ ٢٢: ١ وكذا حز ٤٧: ١ و ٩ ان النهر كناية عن عمق محبة الله. والينابيع التي تفرّح مدينة الله كناية عن الغفران والتبني والتبرير والتقديس وكل البركات التي تصدر من العناية الالهية والظفر الى الابد بالحياة العلوية. والقناة التي تجري فيها هذه الينابيع كناية عن الرب يسوع الذي تصدر منهُ كل البركات الروحية المفاضة على المؤمنين

(٢) مز ٢٣: ٢ واش ١٤: ٣٠

ٱلثِّمَارِ ٱللَّذِيذَةِ وَيَشْرَبَانِ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْمَاءِ ٱلْعَذْبِ ثُمَّ رَقَصَا أَيْضًا . وَطَابَ لَهُمَا ذٰلِكَ ٱلْمَكَانُ فَأَقَامَا فِيهِ أَيَّامًا يَشْكُرَانِ ٱللّٰهَ وَيَتَنَاشَدَانِ ٱلْأَشْعَارَ بِتَسْبِيحَتِهِ قَائِلَيْنِ

قِفُوا ٱنْظُرُوا يَا قَوْمُ كَيْفَ تَجْرِي
كَفِضَّةٍ مِيَاهُ هٰذَا ٱلنَّهْرِ
فَهْيَ تُسَلِّي سَائِحًا فِي ٱلْقَفْرِ
رَاوِيَةً ظَمَاهُ وَقْتَ ٱلْحَرِّ
يَحُفُّهَا مِنَ ٱلرِّيَاضِ ٱلْخُضْرِ
كَجَنَّةٍ عَابِقَةٍ بِٱلْعِطْرِ
تَجْمَعُ بَيْنَ ثَمَرٍ وَزَهْرِ
لِشَبَعِ ٱلْجَوْفِ وَرَحْبِ ٱلصَّدْرِ
فَقُلْتُ إِعْجَابًا بِهَا مَنْ يَدْرِي
قِيمَةَ هٰذَا ٱلْمَنْزِلِ ٱلْأَغَرِّ
فَبَاعَ مَا فِي بَرِّهِ وَٱلْبَحْرِ
ثُمَّ ٱشْتَرَاهُ لَمْ يَكُنْ فِي خُسْرِ

هٰذَا وَإِنَّ ٱلْمَسِيحِيَّ وَصَاحِبَهُ لَمَّا عَزَمَا عَلَى ٱلْخُرُوجِ مِنْ ذٰلِكَ

ٱلْمَكَانِ لِإِتْمَامِ سِيَاحَتِهِمَا قَطَفَا شَيْئًا مِنْ تِلْكَ ٱلثِّمَارِ فَأَكَلَا وَشَرِبَا مِنْ ذٰلِكَ ٱلْمَاءِ وَخَرَجَا يَمْشِيَانِ فِي تِلْكَ ٱلْقِفَارِ إِلَى حَيْثُمَا شَاءَ ٱللّٰهُ

قَالَ صَاحِبُ ٱلرُّؤْيَا وَبَعْدَ مَا مَشَيَا قَلِيلاً أَخَذَتْ بِهِمَا ٱلطَّرِيقُ فِي ٱنْحِرَافٍ عَنِ ٱلنَّهْرِ حَتَّى فَارَقَاهُ فَحَزِنَا لِذٰلِكَ جِدًّا إِلَّا أَنَّهُمَا لَمْ يَجْسُرَا أَنْ يَخْرُجَا عَنِ ٱلطَّرِيقِ فَٱتَّبَعَاهَا. وَكَانَتْ تِلْكَ ٱلْأَرْضُ خَشِنَةً وَأَرْجُلُهُمَا لَيِّنَةٌ مِنَ ٱلْمَشْيِ فَكَرِبَتْ أَنْفُسُهُمَا فِي ٱلطَّرِيقِ (١) وَٱنْطَلَقَا فِي مَشْيِهِمَا يَلْتَمِسَانِ طَرِيقًا أَحْسَنَ فَمَا لَبِثَا أَنْ وَجَدَا أَمَامَهُمَا عَلَى جَانِبِ ٱلطَّرِيقِ ٱلْأَيْسَرِ رَوْضَةً يُقَالُ لَهَا رَوْضَةُ ٱلْمَعَاجِيلِ وَهِيَ مُحَاطَةٌ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ صَغِيرٌ. فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ لِصَاحِبِهِ إِنَّ هٰذِهِ ٱلرَّوْضَةَ فِي جَانِبِ طَرِيقِنَا فَهَلُمَّ إِلَيْهَا. وَتَقَدَّمَ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْبَابِ وَإِذَا بِمَسْلَكٍ عَلَى ٱلْجَانِبِ ٱلْآخَرِ مِنَ ٱلْحَائِطِ. فَقَالَ إِنَّ ٱلْمَشْيَ هُنَا أَيْسَرُ عَلَيْنَا فَلْنَسْلُكْ فِيهِ. قَالَ ٱلرَّاجِي فَإِذَا أَوْصَلَنَا هٰذَا ٱلْمَسْلَكُ إِلَى خَارِجِ ٱلطَّرِيقِ فَمَاذَا نَصْنَعُ. فَقَالَ إِنَّ هٰذَا لَا يَكُونُ. أَلَا تَرَاهُ عَلَى جَانِبِ ٱلطَّرِيقِ (٢) فَوَثِقَ

---

(١) عد ٢١: ٤ (٢) قد يكون الانحراف عن الطريق المستقيم في اوّل

ٱلرَّاجِي بِذٰلِكَ وَٱلْتَحَقَ بِهِ دَاخِلًا فِي ٱلْبَابِ حَتَّى وَصَلَا إِلَى ذٰلِكَ ٱلْمَسْلَكِ فَوَجَدَاهُ سَهْلًا لَيِّنًا فِي ٱلْغَايَةِ فَأَخَذَا فِيهِ. وَبَيْنَمَا هُمَا كَذٰلِكَ نَظَرَا رَجُلًا مَاشِيًا مِثْلَهُمَا يُقَالُ لَهُ ٱلثِّقَةُ ٱلْبَاطِلَةُ فَنَادَيَاهُ وَسَأَلَاهُ إِلَى أَيْنَ تُؤَدِّي هٰذِهِ ٱلطَّرِيقُ فَقَالَ إِلَى ٱلْبَابِ ٱلسَّمَاوِيِّ. فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ لِصَاحِبِهِ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ هٰكَذَا فَٱعْلَمْ أَنَّنَا مُهْتَدِيَانِ إِنْ شَاءَ ٱللهُ. وَٱنْطَلَقَا يَتْبَعَانِ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلَ وَهُوَ يَتَقَدَّمُهُمَا إِلَى أَنْ أَقْبَلَ ٱللَّيْلُ وَخَيَّمَ ٱلظَّلَامُ حَتَّى سَتَرَاهُ عَنْ أَبْصَارِهِمَا وَسَتَرَا ٱلطَّرِيقَ عَنْ بَصَرِهِ أَيْضًا. فَسَقَطَ فِي حُفْرَةٍ عَمِيقَةٍ هُنَاكَ قَدْ جَعَلَهَا مَلِكُ تِلْكَ ٱلْأَرْضِ لِيَصْطَادَ بِهَا ٱلْأَغْبِيَاءَ أَصْحَابَ ٱلْمَجْدِ ٱلْبَاطِلِ فَتَهَشَّمَ عِنْدَ سُقُوطِهِ (١) وَلَمَّا سَقَطَ هٰذَا ٱلرَّجُلُ شَعَرَ ٱلْمَسِيحِيُّ وَصَاحِبُهُ بِسُقُوطِهِ فَنَادَيَاهُ لِيَسْأَلَاهُ عَنْ أَمْرِهِ فَلَمْ يَكُنْ مَنْ يُجِيبُهُمَا إِلَّا أَنَّهُمَا سَمِعَا عَوِيلًا فِي تِلْكَ ٱلْهَاوِيَةِ. فَقَالَ ٱلرَّاجِي أَيْنَ نَحْنُ ٱلْآنَ. فَسَكَتَ ٱلْمَسِيحِيُّ خَجَلًا وَأَسَفًا لِأَنَّ تِلْكَ ٱلضَّلَالَةَ كَانَتْ بِرَأْيِهِ. وَبَيْنَمَا هُمَا عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ وَإِذَا قَدْ قَصَفَتِ

الامر قليلاً. ثم يزداد شيئاً فشيئاً حتى نضلّ ولا يعود لنا من ذاتنا سبيل الى الهداية لان من تهاون بالصغائر يسقط رويداً رويداً في الكبائر

(١) اش ١٦:٩

ٱلرُّعُودُ وَلَمَعَتِ ٱلْبُرُوقُ وَٱنْصَبَّتِ ٱلْأَمْطَارُ حَتَّى طَفَحَتِ ٱلْأَرْضُ بِٱلْمِيَاهِ

فَتَنَهَّدَ ٱلرَّاجِي وَقَالَ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُفَارِقِ ٱلطَّرِيقَ . فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ ذٰلِكَ ٱلشُّرُودَ عَنْهَا يُضِلُّنَا هٰذَا ٱلضَّلَالَ . قَالَ إِنِّي كُنْتُ خَائِفًا مِنَ ٱلْأَوَّلِ وَلِذٰلِكَ نَبَّهْتُكَ ذٰلِكَ ٱلتَّنْبِيهَ ٱللَّطِيفَ وَلَمْ أَتَجَاسَرْ عَلَى أَكْثَرَ مِنْهُ لِأَنَّكَ أَكْبَرُ مِنِّي . فَقَالَ لَا تَغْضَبْ يَا أَخِي فَإِنَّنِي أَشَدُّ مِنْكَ حُزْنًا لِأَنَّنِي أَضْلَلْتُكَ عَنِ ٱلطَّرِيقِ وَأَطْلُبُ مِنْكَ ٱلْمُسَامَحَةَ لِأَنَّنِي مَا أَرَدْتُ إِلَّا خَيْرًا وَأَنْتَ تَعْلَمُ ذٰلِكَ لِأَنِّي شَرِيكٌ لَكَ فِي كُلِّ مَا يُصِيبُنَا مِنَ ٱلشِّدَّةِ وَٱلرَّخَاءِ . قَالَ لَا بَأْسَ إِنَّنِي قَدْ سَامَحْتُكَ وَلَعَلَّ ذٰلِكَ يَكُونُ خَيْرًا لَنَا . فَقَالَ ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي جَعَلَ لِي رَفِيقًا يَرْفُقُ بِي وَيَعْذِرُنِي إِنْ زَلِلْتُ . وَأَمَّا ٱلْآنَ فَٱلْأَوْلَى بِنَا أَنْ نَرْجِعَ مِنْ حَيْثُ أَتَيْنَا . قَالَ نَعَمْ وَلٰكِنْ دَعْنِي أَمْشِي أَمَامَكَ . فَقَالَ لَا بَلْ أَنَا أَتَقَدَّمُ حَتَّى إِذَا عَرَضَ لَنَا خَطَرٌ أَتَلَقَّاهُ دُونَكَ وَأَكُونُ نَذِيرًا لَكَ مِنْهُ لِأَنَّنِي كُنْتُ سَبَبًا لِإِضَاعَةِ ٱلطَّرِيقِ . قَالَ لَا يَحْسُنُ ذٰلِكَ لِأَنِّي لَا أُفَضِّلُ نَفْسِي عَلَيْكَ وَأَخْشَى أَنْ تَكُونَ قَدْ ذَهِلْتَ

غَيْظًا وَنَدَمًا فَنَضِلَّ عَنِ ٱلطَّرِيقِ مَرَّةً أُخْرَى

وَبَيْنَمَا هُمَا فِي هٰذِهِ ٱلْمُحَاوَرَةِ سَمِعَا لِأَجْلِ تَشْجِيعِهِمَا هَاتِفًا يَقُولُ أَهْدِ قَلْبَكَ فِي ٱلطَّرِيقِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ٱلَّذِي سَلَكْتَ فِيهِ (١) وَكَانَتِ ٱلْمِيَاهُ فِي ذٰلِكَ ٱلْوَقْتِ قَدْ قَامَتْ عَلَى سَاقٍ وَقَدَمٍ فِي تِلْكَ ٱلْبِطَاحِ فَصَارَتْ طَرِيقُ ٱلرُّجُوعِ خَطِرَةً جِدًّا. وَلٰكِنْ لَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمَا بُدٌّ مِنْ ذٰلِكَ تَشَجَّعَا وَرَجَعَا يَخُوضَانِ فِي تِلْكَ ٱلْمِيَاهِ تَحْتَ ذٰلِكَ ٱلظَّلَامِ. وَكَانَا يُشْرِفَانِ عَلَى ٱلْغَرَقِ مِرَارًا كَثِيرَةً وَلَمْ يَسْتَطِيعَا ٱلْوُصُولَ إِلَى ٱلْبَابِ كُلَّ تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ. إِلَّا أَنَّهُمَا أَخِيرًا وَجَدَا سُتْرَةً صَغِيرَةً فَجَلَسَا تَحْتَهَا وَغَلَبَهُمَا ٱلنُّعَاسُ تَعَبًا فَنَامَا. وَكَانَ بِٱلْقُرْبِ مِنْهُمَا قَلْعَةٌ يُقَالُ لَهَا قَلْعَةُ ٱلشَّكِّ لِرَجُلٍ جَبَّارٍ يُقَالُ لَهُ ٱلْإِيَاسُ وَهُوَ صَاحِبُ ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي نَامَا بِهَا

وَلَمَّا أَصْبَحَ ٱلرَّجُلُ خَرَجَ يَتَمَشَّى فِي نَوَاحِي ٱلْقَلْعَةِ فَرَآهُمَا نَائِمَيْنِ فَنَادَاهُمَا بِصَوْتِهِ ٱلْغَلِيظِ حَتَّى ٱنْتَبَهَا. وَقَالَ لَهُمَا مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُمَا وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبَانِ وَمَاذَا أَدْخَلَكُمَا إِلَى أَرْضِي. فَقَالَا إِنَّنَا

---

(١) ار ٣١: ٢١

سائِحَانِ ضَلَلْنَا عَنِ ٱلطَّرِيقِ فَقَالَ قَدْ تَعَدَّيْتُمَا حُقُوقِي بِتَجَاوُزِكُمَا أَرْضِي فَٱذْهَبَا مَعِي. وَٱسْتَاقَهُمَا قُدَّامَهُ إِلَى تِلْكَ ٱلْقَلْعَةِ وَأَلْقَاهُمَا فِي سِجْنٍ مُظْلِمٍ مُنْتِنِ ٱلرَّائِحَةِ. فَأَقَامَا فِيهِ مِنْ صَبَاحِ ٱلْأَرْبِعَاءِ إِلَى مَسَاءِ ٱلسَّبْتِ لَا يَذُوقَانِ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا وَلَا يَرَيَانِ ضَوْءًا وَلَا يَسْأَلُ عَنْهُمَا أَحَدٌ. وَضَاقَتْ صُدُورُهُمَا مِنْ ذٰلِكَ ٱلنَّتَنِ فَضْلًا عَنْ تِلْكَ ٱلشَّدَائِدِ. فَكَانَا فِي حَالَةٍ يُرْثَى لَهَا بَعِيدَيْنِ عَنِ ٱلْأَصْدِقَاءِ وَٱلْمَعَارِفِ (١) وَكَانَ أَشَدَّهُمَا حُزْنًا ٱلْمَسِيحِيُّ لِأَنَّ تِلْكَ ٱلْبَلِيَّةَ قَدْ نَزَلَتْ بِهِمَا مِنْ سُوءِ رَأْيِهِ (٢) وَكَانَ لِذٰلِكَ ٱلْجَبَّارِ زَوْجَةٌ يُقَالُ لَهَا ٱلْمَوْسُومَةُ وَفِي ذٰلِكَ ٱلْمَسَاءِ حَدَّثَهَا بِقِصَّتِهِمَا وَقَالَ مَاذَا تَرَيْنَ أَنْ أَصْنَعَ بِهِمَا. فَقَالَتْ إِذَا نَهَضْتَ غَدًا مِنْ مَضْجَعِكَ فَٱدْخُلْ عَلَيْهِمَا وَٱجْلِدْهُمَا جَلْدًا عَنِيفًا. وَلَمَّا ٱنْتَبَهَ فِي ٱلْغَدِ أَخَذَ بِيَدِهِ عَصًا وَدَخَلَ إِلَى ٱلسِّجْنِ. وَجَعَلَ يَشْتِمُهُمَا شَتْمًا غَلِيظًا وَهُمَا يَتَذَلَّلَانِ لَدَيْهِ. ثُمَّ أَهْوَى عَلَيْهِمَا بِٱلْعَصَا حَتَّى كَادَ يَرُضُّ

(١) مز ٨٨: ١٧ (٢) لو هرب السائحان عند ما سقطا الى المجاز الحقيقي الذي هو السيد المسيح لما اصابهما ما اصابهما من شدّة اليأس والخوف. فلنطلب من الرب ان يعلّمنا ان نهرب اليهِ عند وقوعنا في الخطية ونتكل على دمهِ الذي يطهّرنا ونتذكّر كل حين ذاك الذي يشفع فينا عند الآب وهو وحدهُ كفّارة لخطايانا

عِظَامَهُمَا وَلَمْ يَعُودَا يَقْدِرَانِ أَنْ يَتَحَرَّكَا وَلَا يَنْقَلِبَا مِنْ جَنْبٍ إِلَى آخَرَ. وَلَمَّا كَلَّتْ يَدُهُ مِنَ ٱلضَّرْبِ تَرَكَهُمَا وَخَرَجَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَهُمَا يَنْدُبَانِ شَقَاءَهُمَا وَنَقَضَى عَلَيْهِمَا كُلُّ ذٰلِكَ ٱلنَّهَارِ بِٱلْبُكَاءِ وَٱلتَّنَهُّدِ

وَفِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ تَحَدَّثَ ٱلْجَبَّارُ مَعَ زَوْجَتِهِ فِي أَمْرِهِمَا وَأَخْبَرَهَا بِٱلضَّرْبِ ٱلَّذِي ضَرَبَهُمَا إِيَّاهُ. فَقَالَتْ إِنَّهُمَا لَا شَكَّ يَمُوتَانِ مِنْ شِدَّةِ ٱلْعَذَابِ فَٱلْأَفْضَلُ لَهُمَا أَنْ يَقْتُلَا أَنْفُسَهُمَا وَيَسْتَرِيحَا. وَلَمَّا كَانَ ٱلصَّبَاحُ دَخَلَ ٱلْجَبَّارُ عَلَيْهِمَا وَهُوَ عَابِسٌ حَنِقٌ فَرَآهُمَا قَدْ كَثُرَتْ جِرَاحُهُمَا مِنْ ذٰلِكَ ٱلضَّرْبِ ٱلَّذِي نَالَهُمَا. فَقَالَ لَهُمَا إِنَّهُ مِنَ ٱلْمُحَالِ أَنْ تَخْرُجَا مِنْ هٰذَا ٱلسِّجْنِ وَتَمُوتَانِ فِيهِ عَذَابًا. فَأَرَى أَنْ تَقْتُلَا أَنْفُسَكُمَا بِوَاسِطَةٍ مِنَ ٱلْوَسَائِطِ وَتَسْتَرِيحَا مِنْ قَرِيبٍ لِأَنَّ ٱلْمَوْتَ أَفْضَلُ لَكُمَا مِنْ بَقِيَّةِ هٰذِهِ ٱلْحَيَاةِ ٱلْمُرَّةِ. فَقَالَا نَعَمْ يَا سَيِّدَنَا إِلَّا أَنْ تَفَضَّلْتَ عَلَيْنَا بِٱلْإِطْلَاقِ. فَلَمَّا سَمِعَ ذٰلِكَ ٱلْكَلَامَ عَبَسَ وَٱحْتَدَّ غَضَبُهُ وَهَجَمَ عَلَيْهِمَا. وَكَانَ قَدِ ٱسْتَوْلَى عَلَيْهِ مَرَضٌ يُزْعِجُهُ نَهَارًا مُنْذُ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ حَتَّى تَرْتَخِيَ أَعْصَابُهُ. وَلَمَّا وَثَبَ عَلَيْهِمَا تِلْكَ ٱلْوَثْبَةَ

كَانَتِ ٱلشَّمْسُ قَدْ طَلَعَتْ وَسَرَى ٱلْمَرَضُ فِي أَعْصَابِهِ فَٱنْحَلَّتْ يَدَاهُ عَنِ ٱلضَّرْبِ وَتَرَكَهُمَا لِيَتَبَصَّرَا فِي مَا يَفْعَلَانِ. وَلَمَّا خَرَجَ عَنْهُمَا قَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ لِصَاحِبِهِ مَاذَا نَصْنَعُ يَا أَخِي إِنَّ ٱلْحَيَاةَ ٱلَّتِي نَحْنُ ٱلْآنَ فِيهَا كَمَا تَرَى. أَمَّا أَنَا فَلَا أَعْلَمُ هَلِ ٱلْأَفْضَلُ أَنْ أَعِيشَ هٰكَذَا أَمْ أُقْبِلَ ٱلْمَوْتَ حَالًا وَقَدِ ٱخْتَارَتْ نَفْسِي ٱلْمَوْتَ عَلَى ٱلْحَيَاةِ وَٱلْقَبْرُ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ هٰذَا ٱلْحَبْسِ (١) فَمَاذَا تَقُولُ هَلْ نَقْبَلُ مَشُورَةَ هٰذَا ٱلْجَبَّارِ (٢) فَقَالَ لَا رَيْبَ أَنَّ حَالَتَنَا هٰذِهِ شَقِيَّةٌ وَٱلْمَوْتُ أَفْضَلُ مِنْ هٰذِهِ ٱلشَّدَائِدِ ٱلَّتِي نُكَابِدُهَا. غَيْرَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَبِرَ أَوَّلًا أَنَّ رَبَّ ٱلْمَدِينَةِ ٱلَّتِي نَحْنُ ذَاهِبَانِ إِلَيْهَا قَدْ قَالَ فِي وَصِيَّتِهِ لَا تَقْتُلْ. فَإِنْ كَانَ يَنْهَانَا عَنْ قَتْلِ غَيْرِنَا فَكَمْ بِالْحَرِيِّ عَنْ قَتْلِ أَنْفُسِنَا ٱلَّذِي هُوَ أَعْظَمُ شَرًّا لِأَنَّ مَنْ يَقْتُلُ غَيْرَهُ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَقْتُلَ سِوَى جَسَدِهِ وَأَمَّا مَنْ يَقْتُلُ ذَاتَهُ فَإِنَّهُ يَقْتُلُ ٱلْجَسَدَ وَٱلنَّفْسَ مَعًا وَيُلْقِيهِمَا فِي جَهَنَّمَ ٱلنَّارِ ٱلْمُعَدَّةِ لِلْقَاتِلِينَ.

---

(١) اي ٧ : ١٥ (٢) هوذا المسيحي قد وقع في تجربة عظيمة لكي يهلك. وكان ينبغي له ان يثق بما كتبهُ الرسول القائل لم تصبكم تجربة الاَّ بشرية ولكن الله امين الذي لا يدَعكم تجرَّبون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة ايضًا المنفذ لتستطيعوا ان تحتملوا ١كو ١٠ : ١٣

لِأَنهُ قِيلَ إِنَّ ٱلْقَاتِلِينَ لَيْسَ لَهُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلْأَبَدِيَّةُ . وَلَعَلَّكَ نَسِيتَ هٰذَا حَتَّى ٱخْتَرْتَ رَاحَةَ ٱلْقَبْرِ . وَيَجِبُ أَنْ نَعْتَبِرَ ثَانِيًا أَنَّ ٱلْأَمْرَ لَيْسَ كُلُّهُ فِي يَدِ هٰذَا ٱلْجَبَّارِ فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ قَبَضَ عَلَى أُنَاسٍ قَبْلَنَا ثُمَّ أَفْلَتُوا مِنْ يَدِهِ وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّ ٱللهَ يُمِيتُهُ أَوْ يَهِيجُ عَلَيْهِ مَرَضَهُ فَتَنْحَلُّ أَعْضَاؤُهُ أَوْ أَنَّهُ يَغْفُلُ مَرَّةً فَلَا يُقْفِلُ ٱلْبَابَ . وَأَنَا قَدْ عَزَمْتُ إِنْ وَقَعَتْ لِي فُرْصَةٌ مِنْ ذٰلِكَ أَنْ أَحْتَالَ فِي خَلَاصِنَا مِنْ سِجْنِهِ وَنَدِمْتُ عَلَى تَرْكِ هٰذَا ٱلسَّعْيِ مِنْ أَوَّلِ ٱلْأَمْرِ . وَأَمَّا ٱلْآنَ فَلْنَصْبِرْ قَلِيلًا وَنَحْتَمِلْ لَعَلَّ ٱللهَ يَجْعَلُ لَنَا فَرَجًا فَنَخْلُصَ بِٱلسَّلَامَةِ وَلَا نَكُونَ قَدْ قَتَلْنَا أَنْفُسَنَا وَخَسِرْنَا ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ

وَكَانَ ٱلرَّاجِي يُطَيِّبُ قَلْبَ ٱلْمَسِيحِيِّ بِمِثْلِ هٰذَا ٱلْكَلَامِ وَيُسَكِّنُ بَعْضَ مَا بِهِ وَعَلَى ذٰلِكَ قَطَعَا ذٰلِكَ ٱلنَّهَارَ وَهُمَا بَيْنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلرَّجَاءِ[1] وَلَمَّا كَانَ ٱلْمَسَاءُ نَزَلَ ٱلْجَبَّارُ إِلَى ٱلسِّجْنِ

(١) ان البراهين التي قدّمها الراجي للمسيحي لما نهاهُ عن قتل نفسهِ هي سديدةٌ قاطعة . ولا يخفى ان كثيرين يرتكبون هذا الاثم الفظيع ولا يلتفتون الى ما تقولهُ الكتب الالهية في العقاب والثواب المعدّين للانسان في العالم الآتي او بالحري لا يصدّقون ذلك

لِيَرَى هَلْ عَمِلَا بِرَأْيِهِ أَوْ لَا . فَوَجَدَهُمَا حَيَّيْنِ إِلَّا أَنَّهُمَا قَدْ سَقَطَتْ قُوَاهُمَا مِنَ ٱلْجُوعِ وَٱلْأَلَمِ وَلَمْ يَبْقَ فِيهِمَا إِلَّا قَلِيلُ رَمَقٍ مِنَ ٱلْحَيَاةِ . فَغَضِبَ مِنْ مُخَالَفَتِهِمَا رَأْيَهُ وَقَالَ ٱلْأَفْضَلُ لَكُمَا أَنْ لَا تَكُونَا وُلِدْتُمَا . هَلَّا قَبِلْتُمَا مَا أَشَرْتُ بِهِ عَلَيْكُمَا وَٱسْتَرَحْتُمَا مِنْ هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ . فَأَخَذَتْهُمَا رِعْدَةُ ٱلْخَوْفِ وَغَلَبَ ٱلْأَمْرُ عَلَى ٱلْمَسِيحِيِّ حَتَّى كَانَ يُرَى أَنَّهُ مَغْشِيٌّ عَلَيْهِ . وَلَمَّا عَادَ إِلَى رُشْدِهِ تَأَوَّهَ وَقَالَ مَا أَرَاهَا إِلَّا نَصِيحَةً لَنَا مِنْ هٰذَا ٱلرَّجُلِ . فَقَالَ ٱلرَّاجِي أَيْنَ شَجَاعَتُكَ ٱلْأُولَى تِلْكَ ٱلشَّجَاعَةُ ٱلَّتِي لَقِيتَ بِهَا أَبُولِيُّونَ وَٱلْأَهْوَالَ ٱلَّتِي رَأَيْتَهَا وَسَمِعْتَهَا فِي وَادِي ظِلَالِ ٱلْمَوْتِ فَضْلًا عَنْ بَقِيَّةِ ٱلْمَخَاوِفِ وَكُلُّ ذٰلِكَ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَسْحَقَ نَفْسَكَ وَلَا يَكْسِرَ عَزْمَكَ . وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّنِي أَضْعَفُ مِنْكَ طَبْعًا وَأَقْصَرُ هِمَّةً وَأَنَا مَعَكَ فِي هٰذَا ٱلْمَكَانِ تَحْتَ ٱلشَّدَائِدِ ٱلَّتِي كَابَدْتَهَا وَٱلْبَلَاءُ عَلَيْنَا جَمِيعًا لَا يَفْرُقُ فِيهِ أَحَدُنَا عَنِ ٱلْآخَرِ . وَهَا أَنَا لَمْ أَخَفْ مِنَ ٱلشِّدَّةِ . وَلَمْ أَقْطَعْ رَجَائِي مِنَ ٱلْفَرَجِ . فَعَلَيْكَ بِٱلصَّبْرِ ٱلْجَمِيلِ وَٱلثِّقَةِ بِرَحْمَةِ ٱللهِ أَنَّهُ يَجْعَلُ لَكَ مَخْرَجًا مِنْ هٰذَا ٱلسِّجْنِ كَمَا أَخْرَجَكَ مِنْ قَفَصِ سُوقِ ٱلْأَبَاطِيلِ ٱلَّتِي بِنِعْمَتِهِ غَلَبْتَ

أَهْلَهَا وَلَمْ تَرْهَبِ ٱلْقُيُودَ وَلَا ٱلْقَفَصَ وَلَا ٱلْمَوْتَ. فَلْنَصْبِرْ إِذًا وَنَحْتَمِلْ فَنُسَلِّمَ أَقَلَّهُ مِنَ ٱلْعَارِ ٱلَّذِي لَا يَلِيقُ بِشَأْنِ ٱلْمَسِيحِيِّ (١) هٰذَا وَإِنَّ ٱلْجَبَّارَ فِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ لَمَّا جَلَسَ مَعَ زَوْجَتِهِ سَأَلَتْهُ عَنْهُمَا. فَقَالَ أَرَاهُمَا قَدْ تَصَلَّبَا لِٱحْتِمَالِ ٱلْعَذَابِ وَلَمْ يَجْسُرَا عَلَى قَتْلِ أَنْفُسِهِمَا. فَقَالَتْ لَعَلَّهُمَا يَطْمَعَانِ فِي ٱلسَّلَامَةِ فَإِذَا أَصْبَحَتْ فَخُذْهُمَا إِلَى دَارِ ٱلْقَلْعَةِ وَأَرِهِمَا عِظَامَ ٱلْقَتْلَى وَجَمَاجِمَهُمْ وَأَنْذِرْهُمَا بِأَنَّكَ قَبْلَ تَمَامِ ٱلْأُسْبُوعِ تُمَزِّقُ أَجْسَادَهُمَا كَمَا فَعَلْتَ بِأُولٰئِكَ قَبْلَهُمَا (٢) قَالَ نَعَمْ وَلَمَّا أَصْبَحَ فَعَلَ كَذٰلِكَ وَقَالَ لَهُمَا إِنَّ أَصْحَابَ هٰذِهِ ٱلْعِظَامِ كَانُوا قَدْ مَرُّوا فِي سِيَاحَتِهِمْ بِأَرْضِي فَأَخَذْتُهُمْ أُسَارَى إِلَى أَنْ أَرَدْتُ قَتْلَهُمْ فَمَزَّقْتُهُمْ إِرْبًا إِرْبًا وَهٰكَذَا سَأَفْعَلُ بِكُمَا بَعْدَ عَشَرَةِ أَيَّامٍ فَٱرْجِعَا إِلَى سِجْنِكُمَا. ثُمَّ سَاقَهُمَا إِلَى ٱلسِّجْنِ وَهُوَ يَضْرِبُهُمَا حَتَّى وَصَلَا إِلَيْهِ وَقَضَيَا يَوْمَ ذٰلِكَ

---

(١) يجب علينا ان نذكر ما عرض لنا في ما مضى من المصائب لان ذلك مما يجعلنا نلقي على الرب اتكالنا في ما يعرض لنا ايضًا وهو قد وعدنا بانهُ لا يهملنا . وبناءً على ذلك كان الراجي يذكّر المسيحي بغلبتهِ ابوليون وبما اظهرهُ من الشجاعة في سوق الاباطيل لعلمهِ ان ذلك مما يقوّي عزمهُ ويشدّد فتورهُ

(٢) ان الذين سلكوا سلوكًا حسنًا الى زمانٍ ثم غلبهم العالم والخطية فتأخروا الى الوراء يكون مثالهم حجر عثرةٍ لمن يأتون بعدهم

ٱلسَّبْتِ فِي شَرِّ حَالٍ. وَلَمَّا كَانَ ٱلْمَسَاءُ جَاسَ ٱلْجَبَّارُ مَعَ زَوْجَتِهِ يَتَحَدَّثَانِ فِي أَمْرِهِمَا وَهُوَ يَعْجَبُ مِنْ سَلَامَتِهِمَا. فَقَالَتْ أَخْشَى أَنْ تَطُولَ حَيَاتُهُمَا فَيَأْتِي أَحَدٌ وَيُخَلِّصُهُمَا أَوْ يُعَالِجَا ٱلْأَقْفَالَ بِمَفَاتِيحَ أَوْ غَيْرِهَا وَيَخْرُجَا. فَقَالَ أَنَا أَنْظُرُ فِي ذٰلِكَ غَدًا وَأَرَى هَلْ لَهُمَا حِيلَةٌ أَوْ مَعَهُمَا مَفَاتِيحُ. وَأَمَّا هُمَا فَإِنَّهُمَا كَانَا يُصَلِّيَانِ عِنْدَ ٱنْتِصَافِ ٱللَّيْلِ وَيَطْلُبَانِ مِنَ ٱللهِ تَعَالَى أَنْ يُمِدَّهُمَا بِنِعْمَةِ ٱلْخَلَاصِ وَمَا زَالَا كَذٰلِكَ إِلَى أَوَاخِرِ ٱللَّيْلِ (١) وَقَبْلَ شَقِّ ٱلْفَجْرِ بِقَلِيلٍ ٱنْتَبَهَ ٱلْمَسِيحِيُّ وَقَالَ وَيْلِي قَدْ لَبِثْنَا هٰذِهِ ٱلْأَيَّامَ فِي هٰذَا ٱلسِّجْنِ تَحْتَ هٰذِهِ ٱلشَّدَائِدِ وَغَفَلْتُ عَنْ مِفْتَاحِ ٱلْمَوْعِدِ ٱلَّذِي مَعِي وَهُوَ كَمَا أَرْجُو يَفْتَحُ كُلَّ قُفْلٍ فِي هٰذِهِ ٱلْقَلْعَةِ

فَٱبْتَهَجَ ٱلرَّاجِي بِذٰلِكَ وَقَالَ إِنَّهَا لَنِعْمَ ٱلْبِشَارَةُ فَلْنُجَرِّبْ يَا أَخِي عَسَى ٱللهُ أَنْ يَأْتِيَنَا بِٱلْفَرَجِ. فَأَخْرَجَ ٱلْمَسِيحِيُّ ذٰلِكَ ٱلْمِفْتَاحَ وَأَخَذَ يُعَالِجُ بِهِ بَابَ ٱلسِّجْنِ حَتَّى أَدَارَهُ فِي ٱلْقُفْلِ وَإِذَا

---

(١) لا يوجد شيء يقدر على انهاض الساقطين الاَّ الصلاة بحرارة ولجاجة ومواظبة اكثر من العادة المألوفة. لان الاجتهاد المعتاد لا يكفي لقضاء مثل هذه الحاجة. ولا ريب ان من طلب راحة الجسد في مواقيت الصلاة يلتزم ان يسهر ويصلي والناس نيام ويواظب على رفع الابتهالات المتتابعة الى عرش النعمة حتى ينال الاجابة

بِهِ قَدِ ٱنْفَتَحَ بِسُهُولَةٍ فَخَرَجَا وَهُمَا يَكَادَانِ يُصَفِّقَانِ مِنَ ٱلْفَرَحِ (١)
وَكَانَ قَدَّامَهُمَا قَبْلَ ٱلْوُصُولِ إِلَى دَارِ ٱلْقَلْعَةِ بَابٌ آخَرُ فَعَمَدَ
إِلَيْهِ ٱلْمَسِيحِيُّ بِمِفْتَاحِهِ فَكَانَ أَسْهَلَ فَتْحًا . وَكَانَ لِلْقَلْعَةِ بَابٌ
حَدِيدِيٌّ صَعْبُ ٱلْمَرَامِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَجَازٌ إِلَّا مِنْهُ . فَأَتَاهُ
ٱلْمَسِيحِيُّ بِٱسْمِ ٱللهِ فَلَمْ يَمْتَنِعْ عَلَيْهِ فَطَرَبَ وَجَذَبَهُ جَذْبًا عَنِيفًا
لِيُسْرِعَ خُرُوجُهُمَا مِنْهُ . فَصَرَفَ صَرِيفًا شَدِيدًا أَيْقَظَ ٱلْجَبَّارَ
مِنْ نَوْمِهِ فَثَارَ إِلَيْهِمَا . وَلٰكِنِ ٱتَّفَقَ فِي ذٰلِكَ ٱلْوَقْتِ أَنْ رَاجَعَهُ
مَرَضُهُ ٱلْمُعْتَادُ عَلَيْهِ وَٱنْحَلَّتْ رِجْلَاهُ فَلَمْ يُدْرِكْهُمَا . وَمَا زَالَا
يَشْتَدَّانِ فِي رَكْضِهِمَا حَتَّى خَرَجَا مِنْ أَرْضِهِ وَرَجَعَا إِلَى ٱلطَّرِيقِ
ٱلسُّلْطَانِيِّ ٱلَّذِي كَانَا قَدْ أَضَاعَاهُ . فَطَابَتْ أَنْفُسُهُمَا وَشَكَرَا ٱللهَ
عَلَى هٰذِهِ ٱلْعِنَايَةِ ٱلْبَاهِرَةِ وَٱرْتَجَزَ ٱلْمَسِيحِيُّ يَقُولُ

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى ٱلْفِرَارِ مِنْ يَدِ هٰذَا ٱلظَّالِمِ ٱلْجَبَّارِ
حَبْسٌ وَصَوْمُ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
وَٱلضَّرْبُ وَٱلتَّهْدِيدُ فِي ٱلْأَسْحَارِ

---

(١) ان موعد الخلاص مجانًا بالمسيح هو المفتاح الوحيد الذي يدخل اقفال ضعف الايمان وقطع الرجاء ويفتحها . والايمان هو اليد التي تدير مفتاح الموعد في القفل وتفتح الباب للمسجونين المتضايقين لكي يخرجوا من سجنهم

وَمَا بِنَا هٰذَا ٱلْقَضَاءُ ٱلْجَارِي
وَمَا لَقِينَاهُ مِنَ ٱلْأَخْطَارِ
وَلَا فِرَاقُ ٱلْعَالَمِ ٱلْغَرَّارِ وَلَا ٱرْتِكَابُ زَلَّةٍ وَعَارِ
لَوْ لَمْ يُعَوِّقْنَا عَنِ ٱلْأَسْفَارِ
إِلَى طَرِيقِ بَابِ تِلْكَ ٱلدَّارِ
لٰكِنَّ مَا كَانَ مِنَ ٱلْأَضْرَارِ لَعَلَّهُ يَنْفَعُ بِٱلتَّذْكَارِ
لِمَا يَكُونُ مِنْ عَذَابِ ٱلنَّارِ

وَكَانَا لَمَّا مَرَّا بِبَابِ ٱلْحَدِيقَةِ ٱلَّذِي أَضَلَّهُمَا قَالَا هٰذَا ٱلَّذِي طَغَانَا حَتَّى وَقَعْنَا فِي هٰذَا ٱلْبَلَاءِ فَلْنَجْعَلْ عَلَيْهِ مَا يُنْذِرُ ٱلنَّاسَ بَعْدَنَا مِنْ هٰذِهِ ٱلْمَهْلَكَةِ. وَكَانَ هُنَاكَ عَمُودٌ فَنَصَبَاهُ عَلَمًا وَنَقَشَا عَلَيْهِ إِنَّ هٰذَا ٱلْبَابَ يُؤَدِّي إِلَى قَلْعَةِ ٱلْجَبَّارِ ٱلَّذِي يُقَالُ لَهُ ٱلْإِيَاسُ وَهُوَ عَدُوُّ مَلِكِ ٱلْمَدِينَةِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ وَمُهْلِكُ ٱلسَّائِحِينَ إِلَيْهَا. وَكَانَ كَثِيرُونَ بَعْدَ ذٰلِكَ مِنْ أَهْلِ ٱلسِّيَاحَةِ إِذَا دَفَعَتْهُمُ ٱلطَّرِيقُ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْبَابِ يَقْرَأُونَ ذٰلِكَ ٱلْخَطَّ وَيَرْجِعُونَ إِلَى طَرِيقِ ٱلسَّلَامَةِ(١) وَقَالَ ٱلرَّاجِي فِي ذٰلِكَ شِعْرًا

(١) ان الايمان الذي خلّص السائحين من قلعة الإياس ردهما حالاً الى

قَدْ ضَلَلْنَا عَنِ ٱلطَّرِيقِ فَجُزْنَا
فِي أَرَاضٍ بِهَا ٱلْعَذَابَ نُقَاسِي
فَٱحْذَرُوا ٱلْآنَ أَنْ تَصِيرُوا أَسَارَى
قَلْعَةِ ٱلشَّكِّ تَحْتَ حُكْمِ ٱلْإِيَاسِ

قَالَ وَأَخَذَ ٱلْمَسِيحِيُّ وَصَاحِبُهُ بَعْدَ ذٰلِكَ فِي تِلْكَ ٱلطَّرِيقِ حَتَّى وَصَلَا إِلَى ٱلْجِبَالِ ٱلْمُبْهِجَةِ وَهِيَ فِي مُلْكِ رَبِّ ٱلْجَبَلِ ٱلَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ[1] فَصَعِدَا إِلَيْهَا وَأَكَلَا مِنْ ثِمَارِهَا وَشَرِبَا وَٱغْتَسَلَا مِنْ

طريق الطاعة فسلكا فيها بانتباهٍ ولم يتذمرا من صعوبتها . وزد على ذلك انهما رسما تذكرةً تنذر من يأتي بعدها من الوقوع في يد الجبار بخلاف الايمان الميت والثقة الباطلة فانهما يزيلان كل شكٍّ وخوفٍ حتى في الارض المحرمة وتحت اكناف قلعة الشك . فيقع الذي خدعاهُ في الاسر بغتةً ولا يعود لهُ سبيل الى النجاة

(١) ان الجبال المبهجة كنايةٌ عن اوقات الراحة والتعزية التي يحصل عليها المؤمنون بالحق مراراً كثيرة في ايام شيخوختهم فانهم يكونون قد تجاوزوا ايام الشباب التي يكون فيها شدَّة الآلام الشهوانية . وتمَّموا جهادهم في البلايا والمصائب التي عرضت لهم في ما مضى . وبذلك حصلوا على الثبات في بساطة الاتكال على الله والطاعة لهُ وعلى المعرفة بخدامهِ تعالى وشعبهِ وباصحاب كثيرين من افاضل الناس يحترمونهم ويحبونهم . ومراراً كثيرة يتفاوضون مع اصحابهم في محبة الرب وجودتهِ وحقهِ حتى تمسي قلوبهم محترقة فيهم لو ٢٤ : ٣٢

أَوْسَاخِ ٱلسَّفَرِ. وَكَانَ عَلَى تِلْكَ ٱلْجِبَالِ رُعَاةٌ يَرْعَوْنَ مَوَاشِيَهُمْ وَهُمْ قَدْ جَلَسُوا عَلَى قَارِعَةِ ٱلطَّرِيقِ. فَأَتَيَاهُمْ وَوَقَفَا أَمَامَهُمْ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُتَّكِئٌ عَلَى عَصَاهُ كَمَا يَفْعَلُ أَهْلُ ٱلسِّيَاحَةِ. وَقَالَا لَهُمْ حَيَّاكُمُ ٱللهُ لِمَنْ هٰذِهِ ٱلْجِبَالُ وَٱلْمَوَاشِي ٱلَّتِي تَرْعَى فِيهَا فَقَالُوا هِيَ لِعِمَّانُوئِيلَ فِي مُقَابَلَةِ مَدِينَتِهِ تَحْتَ نَظَرِهِ وَهٰذِهِ ٱلْغَنَمُ غَنَمُهُ ٱلَّتِي بَذَلَ نَفْسَهُ عَنْهَا[1] قَالَا أَهٰذِهِ طَرِيقُ ٱلْمَدِينَةِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ. فَقَالُوا إِنَّكُمَا فِي طَرِيقِهَا. قَالَا كَمْ تَبْعُدُ مِنْ هُنَا. فَقَالُوا هِيَ بَعِيدَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْوَاصِلِينَ إِلَيْهَا بِٱلْحَقِّ. قَالَا وَهَلْ فِي ٱلطَّرِيقِ خَطَرٌ. فَقَالُوا هِيَ أَمِينَةٌ مُسْتَقِيمَةٌ وَٱلْأَبْرَارُ يَسْلُكُونَ فِيهَا وَأَمَّا ٱلْمُنَافِقُونَ فَيَعْثُرُونَ فِيهَا[2] قَالَا وَهَلْ يُوجَدُ مَكَانٌ هُنَا لِرَاحَةِ ٱلْغُرَبَاءِ ٱلسَّائِحِينَ. فَقَالُوا إِنَّ رَبَّ هٰذِهِ ٱلْجِبَالِ أَوْصَانَا بِأَنْ لَا نَنْسَى مَحَبَّةَ ٱلْغُرَبَاءِ[3] وَهٰذِهِ خَيْرَاتُ ٱلْمَكَانِ قُدَّامَكُمَا فَتَمَتَّعَا بِمَا شِئْتُمَا مِنْهَا

قَالَ صَاحِبُ ٱلرُّؤْيَا ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّ أُولٰئِكَ ٱلرُّعَاةَ لَمَّا عَلِمُوا أَنَّهُمَا مِنْ أَهْلِ ٱلسِّيَاحَةِ قَالُوا لَهُمَا مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُمَا وَكَيْفَ دَخَلْتُمَا فِي ٱلطَّرِيقِ وَبِأَيِّ وَاسِطَةٍ ثَبَتُّمَا فِيهَا حَتَّى وَصَلْتُمَا إِلَى

---

(١) يو ١٠: ١١ و ١٥ (٢) هو ١٤: ٩ (٣) عب ١٣: ٢

هٰذِهِ ٱلْجِبَالِ ٱلَّتِي لَا يَصِلُ إِلَيْهَا إِلَّا قَلِيلٌ مِنْ أَبْنَاءِ هٰذَا ٱلسَّبِيلِ. فَأَجَابَاهُمْ كَمَا كَانَا يُجِيبَانِ فِي مَا مَضَى. وَكَانَتْ تِلْكَ ٱلرُّعَاةُ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَهُمُ ٱلْعَارِفُ وَٱلْمُخْتَبِرُ وَٱلْمُسْتَيْقِظُ وَٱلصَّادِقُ (١) فَنَظَرُوا إِلَيْهِمَا بِعَيْنِ ٱلْمَحَبَّةِ وَرَحَّبُوا بِهِمَا وَأَخَذُوهُمَا إِلَى خِيَامِهِمْ وَقَدَّمُوا لَهُمَا مَا حَضَرَ مِنَ ٱلطَّعَامِ فَأَكَلَا وَطَابَتْ أَنْفُسُهُمَا. ثُمَّ قَالُوا لَهُمَا إِنَّكُمَا قَدْ تَعِبْتُمَا مِنَ ٱلسَّفَرِ فَلَا بَأْسَ بِٱلرَّاحَةِ هُنَا لِتَمْكِينِ ٱلْمَعْرِفَةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمَا وَٱلتَّنَزُّهِ فِي هٰذِهِ ٱلْجِبَالِ أَيَّامًا. فَقَالَا نَعَمْ وَكَانَ قَدْ صَارَ وَقْتُ ٱلْمَنَامِ فَأَخَذُوهُمَا إِلَى مَضْجَعٍ وَنَامَا هُنَاكَ إِلَى ٱلصَّبَاحِ. وَلَمَّا نَهَضَا مِنْ مَنَامِهِمَا دَعَتْهُمَا ٱلرُّعَاةُ إِلَى ٱلنُّزْهَةِ عَلَى تِلْكَ ٱلْجِبَالِ. فَخَرَجَا يَتَمَشَّيَانِ مَعَهُمْ وَيَتَفَرَّجَانِ عَلَى تِلْكَ ٱلْمَنَاظِرِ ٱلْبَهِيجَةِ حَتَّى ٱنْتَهَوْا بِهِمَا إِلَى رَأْسِ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جَبَلُ ٱلضَّلَالَةِ. وَقَالُوا لَهُمَا ٱنْظُرَا إِلَى أَسْفَلِ هٰذَا ٱلْجَبَلِ. فَنَظَرَا وَإِذَا بِأُنَاسٍ قَدْ سَقَطُوا مِنْ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ وَٱنْطَرَحُوا فِي جَوَانِبِ ذٰلِكَ ٱلْوَادِي فَتَقَطَّعَتْ أَعْضَاؤُهُمْ قِطَعًا شَتَّى. فَقَالَ

---

(١) ان اسماء الرعاة تشير الى الصفات الضرورية لخدام المسيح. وهي ان يكونوا ذوي معرفة بتعاليم الانجيل واختبار لقوتها. ومستيقظين على الخراف المسلَّمة اليهم وصادقين في تعليمهم ما قبلوهُ من الرب

ٱلْمَسِيحِيُّ مَا هٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ نَرَاهُمْ . فَقَالُوا أَمَا سَمِعْتَ بِأُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ ضَلُّوا لِأَنَّهُمْ سَمِعُوا لِهِيمِينَايِسَ وَفِيلِيتِسَ مَا يَخْتَصُّ بِقِيَامَةِ ٱلْأَجْسَادِ (١) فَقَالَ بَلَى . فَقَالُوا هٰؤُلَاءِ هُمْ وَقَدْ تُرِكُوا عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَمَسَّهُمُ ٱلْبِلَى لِيَكُونُوا عِبْرَةً لِلصَّاعِدِينَ إِلَى ٱلْأَعَالِي وَٱلَّذِينَ يَدْنُونَ مِنْ نَوَاحِي هٰذَا ٱلْجَبَلِ (٢) قَالَ ثُمَّ تَحَوَّلُوا بِهِمَا إِلَى قُمَّةِ جَبَلٍ آخَرَ يُقَالُ لَهُ جَبَلُ ٱلِٱحْتِرَازِ وَأَشَارُوا إِلَى بُقْعَةٍ بَعِيدَةٍ يَنْظُرَانِ إِلَيْهَا . فَنَظَرُوا وَإِذَا أُنَاسٌ كَثِيرُونَ يَجُولُونَ بَيْنَ قُبُورٍ هُنَاكَ . وَكَانُوا يَتَعَثَّرُونَ بِحِجَارَةٍ عَلَى تِلْكَ ٱلْقُبُورِ وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ ٱلْمَكَانِ كَأَنَّهُمْ عُمْيَانٌ . فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ وَمَا هٰؤُلَاءِ . فَقَالُوا أَمَا رَأَيْتَ فِي أَسْفَلِ هٰذِهِ ٱلْجِبَالِ بَابًا يُؤَدِّي إِلَى رَوْضَةٍ عَلَى ٱلْجَانِبِ ٱلْأَيْسَرِ مِنْ هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ . قَالَ قَدْ رَأَيْتُهُ . فَقَالُوا وَهٰذَا ٱلْبَابُ يَتَفَرَّعُ مِنْهُ طَرِيقٌ تُؤَدِّي عَلَى خَطٍّ مُسْتَقِيمٍ إِلَى قَلْعَةٍ يُقَالُ لَهَا قَلْعَةُ ٱلشَّكِّ فِيهَا جَبَّارٌ يُقَالُ لَهُ ٱلْإِيَاسُ وَهٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ تَرَاهُمْ قَدْ أَتَوْا قَدِيمًا يَطْلُبُونَ ٱلسِّيَاحَةَ مِثْلَكُمَا

---

(١) ٢ تي ٢ : ١٧ و ١٨ (٢) لا ريب في ان كل ضلال مضرٌّ غير ان البعض منهُ خطرٌ والبعض مهلكٌ . وهذا هو الذي ارادهُ المؤلف هنا . لانهُ يبين في هذا المقام حال المرتدين الذين يسقطون واخيرًا يهلكون هلاكًا ابديًّا

حَتَّى وَصَلُوا إِلَى هٰذَا ٱلْبَابِ وَرَأَوْا خُشُونَةَ ٱلطَّرِيقِ ٱلْأَعْظَمِ فِي مَا يَلِيهِ فَعَدَلُوا إِلَى ذٰلِكَ ٱلطَّرِيقِ ٱلْمُؤَدِّي إِلَى ٱلرَّوْضَةِ وَهُنَاكَ قَبَضَ عَلَيْهِمِ ٱلْجَبَّارُ وَحَبَسَهُمْ أَيَّامًا ثُمَّ قَلَعَ عُيُونَهُمْ وَٱقْتَادَهُمْ إِلَى هٰذِهِ ٱلتُّرْبَةِ فَأَقَامُوا بِهَا يَطُوفُونَ بَيْنَ ٱلْقُبُورِ وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى ٱلْخُرُوجِ حَتَّى ٱلْيَوْمِ لِيَتِمَّ مَا قَالَهُ ٱلْحَكِيمُ ٱلرَّجُلُ ٱلضَّالُّ عَنْ طَرِيقِ ٱلْمَعْرِفَةِ يَسْكُنُ بَيْنَ جَمَاعَةِ ٱلْأَخِيلَةِ (١) فَنَظَرَ ٱلْمَسِيحِيُّ وَٱلرَّاعِي كُلٌّ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ وَقَدْ دَمَعَتْ أَعْيُنُهُمَا إِلَّا أَنَّهُمَا لَمْ يَذْكُرَا لِلرُّعَاةِ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِمَا

قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّ ٱلرُّعَاةَ أَخَذُوهُمَا إِلَى مَكَانٍ مُنْخَفِضٍ وَكَانَ هُنَاكَ بَابٌ إِلَى جَانِبِ جَبَلٍ فَفَتَحُوهُ وَقَالُوا لَهُمَا ٱنْظُرَا إِلَى دَاخِلٍ. فَنَظَرَا وَإِذَا هُوَ مَكَانٌ مُظْلِمٌ قَدْ تَكَاثَفَ فِيهِ ٱلدُّخَانُ. وَسَمِعَا فِيهِ صَوْتًا كَزَفِيرِ ٱلنَّارِ وَعَوِيلًا كَصُرَاخِ ٱلْمُعَذَّبِينَ وَٱشْتَمَّا رَائِحَةً كَرَائِحَةِ ٱلْكِبْرِيتِ. فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ وَمَا هٰذَا. فَقَالُوا هٰذِهِ ثُغْرَةٌ مِنَ ٱلطَّرِيقِ تُؤَدِّي إِلَى جَهَنَّمَ يَسْلُكُ فِيهَا ٱلْمُرَاؤُونَ وَهُمُ ٱلَّذِينَ يَبِيعُونَ بَكُورِيَّتَهُمْ مِثْلَ عِيسُوَ أَوْ مُعَلِّمُهُمْ مِثْلَ يَهُوذَا

(١) ام ٢١: ١٦

وَٱلَّذِينَ يُجَدِّفُونَ عَلَى ٱلْإِنْجِيلِ مِثْلَ إِسْكَنْدَرَ أَوْ يَكْذِبُونَ وَيَغْدُرُونَ مِثْلَ حَنَانِيَّا وَٱمْرَأَتِهِ سَفِّيرَةَ. فَقَالَ ٱلرَّاجِي أَرَى أَنَّ ٱلْقَوْمَ مِنْ أَهْلِ ٱلسِّيَاحَةِ مِثْلَنَا. قَالُوا نَعَمْ وَقَدْ تَمَادَوْا عَلَى ذٰلِكَ زَمَانًا طَوِيلًا. فَقَالَ وَكَمْ سَافَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. قَالُوا بَعْضُهُمْ فَاتَ هٰذِهِ ٱلْجِبَالَ وَٱلْبَعْضُ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا. فَقَالَ كُلٌّ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ إِنَّنَا نَحْتَاجُ إِلَى أَنْ نَطْلُبَ مِنَ ٱلْقَوِيِّ قُوَّةً. قَالَتِ ٱلرُّعَاةُ نَعَمْ وَتَحْتَاجَانِ إِلَى أَنْ تَسْتَعْمِلَاهَا بَعْدَ نَيْلِهَا(١)

قَالَ وَبَعْدَ ذٰلِكَ أَخَذَتِ ٱلسَّائِحَيْنِ رَغْبَةٌ فِي ٱلتَّقَدُّمِ فِي سِيَاحَتِهِمَا وَكَانَ ذٰلِكَ مَرْغُوبَ ٱلرُّعَاةِ أَيْضًا فَأَخَذُوا يَمْشُونَ مَعًا نَحْوَ طَرَفِ ٱلْجَبَلِ. ثُمَّ قَالَ لَهُمَا ٱلرُّعَاةُ نُرِيدُ أَنْ نُرِيَكُمَا بَابَ ٱلْمَدِينَةِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ إِنْ كُنْتُمَا تُحْسِنَانِ ٱلنَّظَرَ بِهٰذِهِ ٱلْمِنْظَرَةِ. فَقَالَا حَبَّذَا ذٰلِكَ. فَأَخَذُوهُمَا إِلَى رَأْسِ جَبَلٍ عَالٍ يُقَالُ لَهُ ٱلصَّافِي وَأَعْطَوْهُمَا تِلْكَ ٱلْمِنْظَرَةَ فَأَخَذَاهَا. وَكَانَ قَدْ أَثَّرَ

(١) هكذا نقرأ ان الذين استُنيروا مرّة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتي وسقطوا لا يمكن تجديدهم للتوبة عب ٦: ٤ و٥ و٦. وهذا مما ينهضنا الى الاجتهاد والتواضع والاحتراز ويجعلنا ننظر كل حين الى يسوع ملتمسين منهُ ان يحفظنا من السقوط

ٱلرُّعْبُ فِي قَلْبِهِمَا مِنَ ٱلْمَنْظَرِ ٱلْجَهَنَّمِيِّ ٱلَّذِي رَأَيَاهُ أَخِيرًا حَتَّى لَمْ يَكُنْ مِنْهُمَا مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ . فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدُهُمَا أَنْ يَضْبُطَ ٱلْمَنْظَرَةَ بِيَدِهِ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لَهُ ٱلنَّظَرُ بِهَا . وَلَكِنْ تَرَاءَى لَهُمَا شَيْءٌ كَأَنَّهُ بَابُ ٱلْمَدِينَةِ وَتَجَلَّى عَلَيْهِمَا طَرَفٌ مِنْ بَهْجَةِ ٱلْمَكَانِ (١) فَقَالَا نَتْرُكُ لَذَّةَ ٱلْعِيَانِ إِلَى أَنْ تَنَالَهَا ٱلْعَيْنُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ . وَٱسْتَوْدَعَا ٱلرُّعَاةَ فَأَعْطَاهُمَا أَحَدُهُمْ صَحِيفَةً تُنْبِئُ بِٱلطَّرِيقِ . وَقَالَ ٱلْآخَرُ إِيَّاكُمَا أَنْ تَنَامَا فِي أَرْضٍ مَسَّتْهَا أَعْمَالُ ٱلشَّيْطَانِ . وَقَالَ ٱلْآخَرُ قَدْ أَوْصَيْنَاكُمَا خَيْرًا فَٱذْهَبَا بِسَلَامِ ٱللهِ وَأَمَانِهِ . فَوَدَّعَاهُمْ وَٱنْصَرَفَا يُنْشِدَانِ شِعْرًا

إِنَّ ٱلْخَفَايَا ٱلْغَامِضَاتِ ... كُشِفَتْ بِوَاسِطَةِ ٱلرُّعَاةِ
فَمَنِ ٱشْتَهَى كَشْفَ ٱلْخَفَايَا ... فَإِلَى جِبَالِ ٱللهِ يَأْتِي

قَالَ صَاحِبُ ٱلرُّؤْيَا وَكَانَتْ قَدْ أَثَّرَتْ فِي جَنْبِي خُشُونَةُ ذٰلِكَ ٱلْمَوْضِعِ فَتَحَوَّلْتُ إِلَى ٱلْجَانِبِ ٱلْآخَرِ فَٱنْتَبَهْتُ وَإِذَا أَنَا

---

(١) ان الايمان يأخذ منظرة الموعد وينظر بها ما وراء الارض البعيدة. واذا كان حاذقًا يرى جيدًا ما يريد ان يراهُ ويفرح متهللاً برجاء مجد الله . واما اذا كان سخيفًا فلا يتمكن من رؤية الامور السماوية لاجل ما يأخذهُ من الارتعاش

فِي تِلْكَ ٱلْمَغَارَةِ لَا أَسْمَعُ فِيهَا وَلَا أَرَى. فَٱبْتَهَجْتُ بِذٰلِكَ ٱلْحُلْمِ وَقُلْتُ لَعَلِّي أَنَامُ فَأَرَى كَيْفَ يَتِمُّ أَمْرُ هٰذَيْنِ ٱلسَّائِحَيْنِ. وَأَلْقَى ٱللّٰهُ عَلَيَّ سُبَاتَ ٱلنَّوْمِ فَنِمْتُ أَيْضًا وَإِذَا أَنَا أَرَاهُمَا بِجَانِبِ تِلْكَ ٱلْجِبَالِ مُنْطَلِقَيْنِ فِي ٱلطَّرِيقِ ٱلْمُسْتَقِيمَةِ نَحْوَ ٱلْمَدِينَةِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ. وَكَانَ بِقُرْبِ هٰذِهِ ٱلْجِبَالِ عَلَى ٱلْجِهَةِ ٱلْيُسْرَى قَرْيَةٌ يُقَالُ لَهَا ٱلتِّيهُ تَتَفَرَّعُ مِنْهَا شُعْبَةٌ عَوْجَاءُ تَتَّصِلُ بِٱلطَّرِيقِ ٱلَّتِي كَانَ ٱلسَّائِحَانِ يَسْلُكَانِ فِيهَا وَلَمَّا وَصَلَا إِلَى هُنَاكَ ٱلْتَقَيَا بِفَتًى خَارِجٍ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ يُقَالُ لَهُ ٱلْجَهْلُ. فَقَالَ لَهُ ٱلْمَسِيحِيُّ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا فَتَى وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ[1] فَقَالَ قَدْ أَتَيْتُ يَا مَوْلَايَ مِنْ قَرْيَتِنَا هٰذِهِ ٱلَّتِي تَرَاهَا عَلَى ٱلْجَانِبِ ٱلْأَيْسَرِ وَأَنَا ذَاهِبٌ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ. قَالَ إِنَّ دُونَ ذٰلِكَ أَهْوَالًا فَكَيْفَ تَظُنُّ أَنْ تَدْخُلَهَا. فَقَالَ أَفْعَلُ كَمَا يَفْعَلُ غَيْرِي مِمَّنْ يَرْكَبُ هٰذِهِ ٱلطَّرِيقَ. قَالَ وَبِمَاذَا تُعَالِجُ ذٰلِكَ ٱلْبَابَ لِيُفْتَحَ لَكَ. قَالَ أَنَا أَعْلَمُ مَشِيئَةَ سَيِّدِي وَقَدْ سِرْتُ سِيرَةً حَسَنَةً أُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ

---

(١) ان الجهل رمزٌ الى الذين يرجون نيل الملكوت السماوي جزاء عن اعمالهم الصالحة ولا يشعرون بقصورهم عن استبقاء الصالحات ولا يعلمون كم يلتزمون بالرجوع الى الله بالايمان بيسوع المسيح الذي لا تنفعهم اعمالهم بدونهِ

حَقَّهُ وَأُصَلِّي وَأَصُومُ وَأُعَشِّرُ مَالِي وَأَتَصَدَّقُ عَلَى ٱلْفُقَرَاءِ وَقَدْ تَرَكْتُ وَطَنِي لِأَجْلِ هٰذِهِ ٱلْغَايَةِ ٱلَّتِي أَنَا ذَاهِبٌ إِلَيْهَا. قَالَ إِنَّكَ قَدْ جِئْتَ مِنْ هٰذِهِ ٱلشُّعْبَةِ ٱلْعَوْجَاءِ وَلَمْ تَدْخُلْ مِنَ ٱلْبَابِ ٱلضَّيِّقِ ٱلَّذِي عِنْدَ رَأْسِ هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ وَلِذٰلِكَ أَخْشَى أَنْ يُحْكَمَ عَلَيْكَ يَوْمَ ٱلدَّيْنُونَةِ بِأَنَّكَ لِصٌّ وَسَارِقٌ عِوَضَ أَنْ يُحْكَمَ لَكَ بِٱلدُّخُولِ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ. فَقَالَ يَا أَخَوَيَّ أَنْتُمَا غَرِيبَانِ لَا أَعْرِفُكُمَا فَٱتْبَعَا مَذْهَبَ قَوْمِكُمَا وَأَنَا أَتْبَعُ مَذْهَبَ قَوْمِي وَعَسَى كُلٌّ مِنْ ذٰلِكَ يَكُونُ صَالِحًا. وَأَمَّا ٱلْبَابُ ٱلضَّيِّقُ فَإِنَّهُ بَعِيدٌ بُعْدًا قَاصِيًا عَنْ مَدِينَتِنَا وَأَظُنُّ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ كُلِّ هٰذِهِ ٱلْأَطْرَافِ يَعْرِفُ ٱلطَّرِيقَ ٱلْمُؤَدِّيَةَ إِلَيْهِ. عَلَى أَنَّهُمْ لَا يُبَالُونَ أَعَرَفُوهُ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوهُ لِأَنَّ لَنَا طَرِيقًا سَهْلًا مُخْتَصَرًا يُؤَدِّي مِنْ مَدِينَتِنَا إِلَى هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ. فَلَمَّا رَأَى ٱلْمَسِيحِيُّ هٰذَا ٱلرَّجُلَ يَدَّعِي ٱلْحِكْمَةَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْهَا قَالَ لِلرَّاجِي سِرًّا إِنَّ لِلْجَاهِلِ رَجَاءً أَكْثَرَ مِنْ هٰذَا ٱلرَّجُلِ (١) فَكَيْفَ تَرَى أَنَخُوضُ مَعَهُ فِي ٱلْحَدِيثِ أَمْ نَسْبِقُهُ وَنَدَعُهُ يُرَاجِعُ رَأْيَهُ فِي مَا سَمِعَ مِنَّا ثُمَّ نَنْتَظِرُهُ إِلَى أَنْ يُدْرِكَنَا

(١) ام ٢٦: ١٢

وَنَرَى كَيْفَ ثَبَتَ عَزْمُهُ فَلَعَلَّنَا نَقْدِرُ أَنْ نَصْنَعَ مَعَهُ خَيْرًا . فَقَالَ ٱلرَّاجِي ٱرْتِجَالًا

خَلِّ ٱلْفَتَى مُتَفَكِّرًا فِي قَوْلِنَا عَنْ طُرْقِهِ
فَعَسَاهُ يَقْبَلُ نُصْحَنَا وَيَرَى مَنَافِعَ صِدْقِهِ
قَدْ قَالَ رَبُّكَ إِنَّ مَنْ لَا فَهْمَ فِيهِ لِحَقِّهِ
لَا يَسْتَتِمُّ خَلَاصَهُ وَلَئِنْ يَكُنْ مِنْ خَلْقِهِ

ثُمَّ قَالَ أَرَى أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ أَنْ نَتَكَلَّمَ مَعَهُ دَفْعَةً وَاحِدَةً عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلٰكِنْ إِنْ شِئْتَ فَلْيَكُنْ ذٰلِكَ شَيْئًا فَشَيْئًا عَلَى قَدْرِ مَا يُمْكِنُهُ ٱحْتِمَالُهُ . فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ نَعَمْ وَٱسْتَرْسَلَا فِي جَرْيِهِمَا حَتَّى سَبَقَاهُ وَهُوَ يَتْبَعُهُمَا . وَمَا أَبْعَدَا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى دَخَلَا فِي زُقَاقٍ مُظْلِمٍ جِدًّا وَإِذَا بِرَجُلٍ قَدْ أَوْثَقَهُ سَبْعَةٌ مِنَ ٱلْأَبَالِسَةِ بِسَبْعَةِ حِبَالٍ مَتِينَةٍ وَكَانُوا يَحْمِلُونَهُ لِيَرْجِعُوا بِهِ إِلَى ٱلْبَابِ ٱلَّذِي رَأَيَاهُ فِي جَانِبِ ٱلْجَبَلِ[1] فَٱرْتَاعَا مِنْ ذٰلِكَ ٱلْمَنْظَرِ وَتَفَرَّسَ ٱلْمَسِيحِيُّ فِي ذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ لِيَرَى هَلْ يَعْرِفُهُ فَغَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ رُبَّمَا يَكُونُ هُوَ ٱلَّذِي يُقَالُ لَهُ ٱلْمُرْتَدُّ مِنْ مَدِينَةِ ٱلتَّقَلُّبِ لٰكِنَّهُ لَمْ يُثْبِتْ مَعْرِفَتَهُ

(١) مت ١٢: ٤٥ ولم ٥: ٢٢

لِأَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُثْبِتَ رُؤْيَةَ وَجْهِهِ وَلِكَوْنِهِ كَانَ قَدْ أَحْنَى رَأْسَهُ كَمَا تَفْعَلُ ٱللُّصُوصُ حِينَ يُمْسَكُونَ غَيْرَ أَنَّ ٱلرَّاجِيَ رَأَى عَلَيْهِ صَحِيفَةً قَدْ كُتِبَ فِيهَا هٰذَا مَسِيحِيٌّ فَاسِقٌ وَمُدَلِّسٌ مَلْعُونٌ (١) وَحِينَئِذٍ ذَكَرَ ٱلْمَسِيحِيُّ قِصَّةً فِيهَا شَيْءٌ مِثْلُ هٰذَا ٱلْحَدِيثِ. فَقَالَ لِصَاحِبِهِ قَدْ ذَكَرْتُ ٱلْآنَ حَدِيثَ رَجُلٍ فِي هٰذِهِ ٱلنَّوَاحِي يُقَالُ لَهُ قَلِيلُ ٱلْإِيمَانِ قَالَ وَكَيْفَ ذٰلِكَ. فَقَالَ إِنَّ هٰذَا ٱلْمُشَارَ إِلَيْهِ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا ٱلصِّدْقُ وَكَانَ مِمَّنْ يُمَارِسُونَ ٱلسِّيَاحَةَ. فَلَمَّا ٱنْتَهَى فِي سِيَاحَتِهِ إِلَى مَعْبَرِ هٰذَا ٱلطَّرِيقِ ٱسْتَظَلَّ بِزُقَاقٍ يَتَفَرَّعُ مِنَ ٱلْبَابِ ٱلْوَاسِعِ يُقَالُ لَهُ زُقَاقُ ٱلْمَوْتِ لِكَثْرَةِ مَا يَحْدُثُ فِيهِ مِنَ ٱلْقَتْلِ فَنَامَ هُنَاكَ. وَٱتَّفَقَ فِي ذٰلِكَ ٱلْوَقْتِ أَنَّ ثَلَاثَةً مِنْ أَشِدَّاءِ ٱلرِّجَالِ خَرَجُوا مِنَ ٱلْبَابِ ٱلْوَاسِعِ وَٱخْتَارُوا فِي ذٰلِكَ ٱلزُّقَاقِ وَكَانُوا إِخْوَةً يُقَالُ لِأَحَدِهِمُ ٱلْجَبَانَةُ

---

(١) ان حالة المرتدّين عن سبيل الله حالة يرثى لها لان عقابهم يكون اشدّ وقلوبهم اقسى وحياتهم شرًّا مما لو لم يعرفوا طريق البرّ اولاً. وهم يصلبون ابن الله ثانيةً ويفترون عليه ويزدرون بروح النعمة ولهذا يسلمهم الله الى ضميرٍ فاسدٍ والى قوّة ابليس المحال فينقلبون من الرديء الى الاردإ حتى يقعوا في يد الله الحي ولا يفلتون الى الابد

وَلِلآخَرِ ٱلرَّيْبُ وَلِلآخَرِ ٱلذَّنْبُ. وَلَمَّا ٱنْتَهَوْا إِلَى ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ كَانَ ٱلرَّجُلُ قَدْ نَهَضَ مِنْ مَنَامِهِ وَأَرَادَ ٱلْمَسِيرَ. فَوَثَبُوا عَلَيْهِ وَصَاحُوا بِهِ أَنْ يَقِفَ فَوَقَفَ مُرْتَعِدًا لَا يَقْدِرُ أَنْ يُدَافِعَ عَنْ نَفْسِهِ وَلَا يَنْهَزِمَ. فَقَالَ لَهُ ٱلْجَبَانُ هَاتِ مَا مَعَكَ مِنَ ٱلْمَالِ. فَأَبْطَأَ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ ٱلرَّيْبُ وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى هُمْيَانِهِ وَأَخْرَجَ مِنْهُ صُرَّةَ فِضَّةٍ فَصَرَخَ ٱلرَّجُلُ ٱللُّصُوصَ. فَفَاجَأَهُ ٱلذَّنْبُ بِضَرْبَةٍ عَلَى رَأْسِهِ فَأَلْقَاهُ عَلَى ٱلْأَرْضِ مُضَرَّجًا بِدِمَائِهِ (١). وَٱتَّفَقَ أَنَّ أُولٰئِكَ ٱللُّصُوصَ سَمِعُوا صَوْتَ مُشَاةٍ عَلَى ٱلطَّرِيقِ وَكَانَ فِي تِلْكَ ٱلْأَطْرَافِ رَجُلٌ مَهِيبٌ يُقَالُ لَهُ عَظِيمُ ٱلنِّعْمَةِ مِنْ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا ٱلثِّقَةُ وَكَانَ كَثِيرَ ٱلْجَوَلَانِ فِي كَشْفِ ظَلَامَاتِ ٱلضُّعَفَاءِ وَلَهُ وَقَائِعُ مَعَ هٰؤُلَاءِ ٱللُّصُوصِ. فَٱحْتَسَبُوا أَنْ يَكُونَ مِنْ جُمْلَةِ

---

(١) ذكر المؤلّف هنا ما حدث لقليل الايمان من المصائب لكي ينفع بذلك الضعفاء من المسيحيين. لان ذلك مما يقوّي عزائمهم على الثبات ولعلهم يتهيبون ما يقال على المرائين المرتدين فلا يتورّطون في هذه الطريق الملتوية. ولا يخفى ان كثيرين ممن يُظَن انهم من اهل التقوى قد يعرض لهم اضطهاد فيرتدّون عن طريقهِ تعالى الى طريق الشيطان. وهكذا يقتل هذا المحال انفس الناس بوعيدهِ لهم بقتل اجسادهم وهذا هو زقاق الموت الذي يفضي الى الطريق الرحبة المؤدية الى الهلاك

ٱلْعَابِرِينَ فَتَرَكُوا ٱلرَّجُلَ وَٱنْصَرَفُوا . فَلَبِثَ كَذٰلِكَ بُرْهَةً إِلَى أَنْ سَكَنَ رَوْعُهُ فَقَامَ وَسَارَ فِي طَرِيقِهِ . فَتَأَوَّهَ ٱلرَّاجِي لِمُصَابِهِ وَقَالَ هٰذَا مُسَافِرٌ يَحْتَاجُ إِلَى ٱلنَّفَقَةِ فِي سَفَرِهِ فَهَلْ سَلَبُوا مِنْهُ كُلَّ مَا كَانَ مَعَهُ أَمْ بَقِيَ لَهُ شَيْءٌ يُنْفِقُهُ فِي ٱلطَّرِيقِ . فَقَالَ سَلَبُوا مِنْهُ مَا وَقَعَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ ٱلْفِضَّةِ وَلٰكِنْ كَانَ مَعَهُ جَوَاهِرُ لَمْ يَصِلُوا إِلَيْهَا وَرُبَّمَا بَقِيَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ ٱلْفِضَّةِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَقُومُ بِنَفَقَةِ طَرِيقِهِ . فَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ يَتَسَوَّلُ فِي سَفَرِهِ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَبِيعَ جَوَاهِرَهُ . فَكَانَ يَحْتَمِلُ ٱلْجُوعَ أَكْثَرَ بَقِيَّةِ ٱلطَّرِيقِ (١) قَالَ لَعَلَّهُمْ لَمْ يَسْلُبُوا مِنْهُ صَحِيفَتَهُ ٱلْمَخْتُومَةَ ٱلَّتِي يَجِبُ أَنْ تَكُونَ وَسِيلَةً لَهُ إِلَى دُخُولِ ٱلْمَدِينَةِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ وَغَفْلَتُهُمْ عَنْهَا كَانَتْ بِلُطْفٍ مِنَ ٱللهِ . فَقَالَ لَا شَكَّ فِي ذٰلِكَ لِأَنَّهُ لَمَّا غَشِيَهُ ٱلْخَوْفُ ذَهَلَ عَنْ نَفْسِهِ فَلَمْ يَفْطَنْ لِتَخْبِئَةٍ وَفَضْلًا عَنْ ذٰلِكَ لَمْ تَكُنْ لَهُ فُرْصَةٌ لِأَدْنَى حَرَكَةٍ مِنْ ذٰلِكَ . فَكَانَ تَغَافُلُهُمْ عَنْ تِلْكَ ٱلصَّحِيفَةِ مِنَ ٱلْعِنَايَةِ ٱلْإِلٰهِيَّةِ أَكْثَرَ مِنِ ٱجْتِهَادِهِ (٢) قَالَ إِنَّهَا نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ يَتَعَزَّى بِهَا عَمَّا

---

(١) ابط ١٨:٤ ان قليل الايمان بلغ السماء اخيرًا ولكن بجهدٍ عنيف لانهُ كان قد اضاع تلك الذخائر التي معهُ الَّا الجواهر التي حفظتها قوَّة الله حسب وعدهِ بان يحفظ المؤمن من الهلاك الى الابد (٢) ٢تي ١٢:١ الى

فُقِدَ مِنْهُ. فَقَالَ نَعَمْ لَوْ أَنَّهُ تَصَرَّفَ بِهَا كَمَا يَنْبَغِي وَلٰكِنْ بَلَغَنِي أَنَّهُ غَفَلَ أَيْضًا عَنْهَا مِنْ دَهْشَتِهِ فِي مَسَافَةٍ طَوِيلَةٍ مِنْ بَقِيَّةِ ٱلطَّرِيقِ ثُمَّ لَمَّا ٱنْتَبَهَ لَهَا كَانَ يَتَذَكَّرُ مَعَ بَقَائِهَا فَقْدَ ٱلْفِضَّةِ فَيَتَجَدَّدُ ٱلْأَسَفُ فِي قَلْبِهِ وَيَغْلِبُ عَلَى ٱلسَّلْوَى وَٱلتَّعْزِيَةِ. قَالَ ٱلْوَيْلُ لَهُ إِنَّ قَلْبَهُ بَيْتُ ٱلْأَوْجَاعِ لَيْسَ فِيهِ مَوْضِعٌ لِغَيْرِ ٱلْكَآبَةِ وَلَوْ تَوَارَدَتْ عَلَيْهِ أَسْبَابُ ٱلسُّرُورِ. فَقَالَ نَعَمْ وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ قَطَعَ أَكْثَرَ مَا تَبَقَّى مِنْ طَرِيقِهِ بِٱلشَّكْوَى وَٱلتَّظَلُّمِ وَكَانَ يُخْبِرُ بِقِصَّتِهِ كُلَّ مَنْ لَقِيَ فِي ٱلطَّرِيقِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْأَلَ. قَالَ تِلْكَ خَصْلَةٌ عَجِيبَةٌ فِي بَعْضِ ٱلنَّاسِ وَأَعْجَبُ مِنْهَا فِيهِ أَنَّهُ لَمْ يَبِعْ تِلْكَ ٱلْجَوَاهِرَ أَوْ يَرْهَنْهَا عِنْدَ ٱلضَّرُورَةِ. فَقَالَ أَرَاكَ تَهْذِي كَٱلْأَطْفَالِ مَنْ تَرَاهُ يَشْتَرِيهَا أَوْ يَسْتَرْهِنُهَا مِنْ أَهْلِ تِلْكَ ٱلدِّيَارِ وَهِيَ عِنْدَهُمْ كَٱلْهَبَاءِ ٱلْمَنْثُورِ لَيْسَ لَهَا قِيمَةٌ وَلَا ثَمَنٌ. وَلَئِنْ سَلَّمْنَا بِذٰلِكَ فَهُوَ لَا يَقْبَلُ ذٰلِكَ ٱلْإِمْدَادَ ٱلَّذِي يَنَالُهُ مِنْ هُنَاكَ لِأَنَّهُ لَا يُرْضِيهِ. وَزِدْ عَلَى ذٰلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ جَيِّدًا أَنَّهَا إِذَا لَمْ تَكُنْ مَعَهُ عِنْدَ وُصُولِهِ إِلَى بَابِ ٱلْمَدِينَةِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ لَا يُؤْذَنُ لَهُ بِٱلدُّخُولِ[1] قَالَ أَلَا تَلِينُ يَا أَخِي

---

١٤ و ابط ١: ٥-٩ (١) هذه الجواهر رمز عن الايمان بالمسيح والولادة

فِي هٰذِهِ ٱلْمَسْئَلَةِ . فَإِنَّ عِيسُوَ بَاعَ بَكُورِيَّتَهُ بِأَكْلَةٍ وَاحِدَةٍ (١) وَتِلْكَ ٱلْبَكُورِيَّةُ كَانَتْ هِيَ جَوْهَرَتَهُ ٱلْعُظْمَى . وَإِنْ كَانَ ذَاكَ قَدْ فَعَلَ كَذٰلِكَ أَفَلَا يُمْكِنُ هٰذَا أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَهُ . قَالَ نَعَمْ إِنَّ عِيسُوَ بَاعَ بَكُورِيَّتَهُ وَحَرَمَ نَفْسَهُ ٱلْبَرَكَاتِ ٱلسَّمَاوِيَّةَ كَمَا يَفْعَلُ كَثِيرُونَ مِنْ أَمْثَالِهِ . لٰكِنَّهُ كَانَ رَجُلًا جَاهِلِيًّا لَيْسَ لَهُ حَظٌّ فِي ٱلْإِيمَانِ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلشَّهَوَاتِ ٱلَّذِينَ آلِهَتُهُمْ بُطُونُهُمْ . فَلَمْ يَكُنْ يَهْتَمُّ إِلَّا بِإِتْمَامِ شَهَوَاتِهِ حَيْثُ قَالَ هُوَذَا أَنَا أَمُوتُ فَلِمَاذَا تَنْفَعُنِي ٱلْبَكُورِيَّةُ (٢) وَلَمْ يَكُنْ لِتِلْكَ ٱلْبَكُورِيَّةِ قِيمَةٌ عِنْدَهُ لِأَنَّهُ لَا يَعْتَبِرُ مَا فِيهَا مِنَ ٱلسِّرِّيرَةِ . فَلَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ أَنْ يَبِيعَ شَيْطَانُ ٱلْهَاوِيَةِ نَفْسَهُ فَضْلًا عَنْ بَكُورِيَّتِهِ كَمَا يَكُونُ فِي مَنْ يَتَسَلَّطُ جَسَدُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَلَيْسَ لَهُ إِيمَانٌ يَرْدَعُهُ . فَيَكُونُ كَحِمَارِ وَحْشٍ مَتَى ٱسْتَنْشَقَ رِيحَ هَوَاهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَرُدَّهُ (٣) وَأَمَّا هٰذَا فَإِنَّ لَهُ قَلِيلًا مِنَ ٱلْإِيمَانِ وَلَيْسَ مِنْ أَرْبَابِ ٱلنَّهَمِ وَٱلشَّهَوَاتِ . لِأَنَّ فِكْرَهُ يَمِيلُ إِلَى ٱلْإِلٰهِيَّاتِ وَحَيَاتَهُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى

الثانية فان الاول يجعل لنا حقًّا في ميراث الملكوت والثاني يؤهلنا للتمتع به وبدون هذين الامرين لا يقدر احدٌ ان يدخل ملكوت الله

(١) عب ١٢ : ١٦ (٢) تك ٢٥ : ٣٢ (٣) ار ٢ : ٢٤

ٱلرُّوحِيَّاتِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ وَهُوَ يَعْرِفُ قِيمَةَ جَوَاهِرِهِ وَلَا يَرْضَى أَنْ يَعْتَاضَ عَنْهَا بِشَيْءٍ مِنَ ٱلدَّنَايَا ٱلْبَاطِلَةِ كَمَا أَنَّ ٱلْيَمَامَةَ لَا تَغْتَذِي بِٱلْفَرَائِسِ كَٱلْغُرَابِ. فَمَنْ كَانَ قَلْبُهُ خَالِيًا مِنَ ٱلْإِيمَانِ ٱلْحَقِيقِيِّ قَدْ يَرْهَنُ أَوْ يَبِيعُ كُلَّ مَا عِنْدَهُ وَنَفْسَهُ أَيْضًا لِأَجْلِ شَهَوَاتِهِ وَلَكِنْ صَاحِبُ ٱلْإِيمَانِ لَا يَفْعَلُ ذٰلِكَ وَلَوْ كَانَ إِيمَانُهُ قَلِيلًا. قَالَ أَنَا أُسَلِّمُ بِهٰذَا لٰكِنِّي أَتَعَجَّبُ أَنَّ هٰؤُلَاءِ ٱللُّصُوصَ لَمَّا سَمِعُوا صَوْتَ مَاشٍ عَلَى ٱلطَّرِيقِ هَرَبُوا فَظَهَرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْبَأْسِ وَٱلْجَسَارَةِ وَبِحَسَبِ ذٰلِكَ كَانَ ٱلْأَوْلَى بِهِ أَنْ يُقَاوِمَهُمْ حَتَّى يُغْلَبَ ثُمَّ يَسْتَسْلِمَ لَهُمْ فَكَيْفَ سَلَّمَ نَفْسَهُ بِأَيْدِيهِمْ عَفْوًا. فَقَالَ قَدْ أَتَّهَمُهُمْ كَثِيرُونَ بِٱلْجَبَانَةِ أَمَّا عِنْدَ ٱلِٱمْتِحَانِ فَقَلِيلٌ مَنْ وَجَدَهُمْ كَذٰلِكَ. وَأَمَّا هٰذَا ٱلرَّجُلُ فَإِنَّهُ ضَعِيفُ ٱلْقَلْبِ لَا يَجْسُرُ عَلَى ٱلْمُقَاوَمَةِ. وَكَأَنَّكَ تَرَى ٱلْآنَ أَنَّكَ لَوْ كُنْتَ مَكَانَهُ لَقَدَّمْتَ ٱلْمُقَاوَمَةَ عَلَى ٱلتَّسْلِيمِ. وَهٰذَا وَهُمْ مِنْكَ فَإِنَّهُمْ لَوْ وَثَبُوا عَلَيْكَ مِثْلَهُ لَٱنْثَنَى هٰذَا ٱلْعَزْمُ ٱلَّذِي تَجِدُهُ ٱلْآنَ (١) عَلَى أَنَّ هٰؤُلَاءِ

---

(١) ما اهون التكلم في غيبة الاعداء ولكنهُ لا يجدي نفعًا. وما اجهل الذي يعتدُّ بنفسهِ ويفتخر بقوَّتهِ ولا يتضع بين يدَي الله الجبَّار عالمًا انهُ ليس بشيءٍ من تلقاء ذاتهِ. ولا يخفى ان المسيح يوبخ مثل هذا كما فعل مرارًا كثيرة وذلك لاجل

ٱللُّصُوصَ أَعْوَانٌ لِمَلِكِ بِئْرِ ٱلْعُمْقِ ٱلَّذِي لَوِ ٱحْتَاجُوا إِلَى نَجْدَةٍ لَأَتَاهُمْ بِنَفْسِهِ وَهُوَ يَزْأَرُ كَٱلْأَسَدِ (١) وَأَنَا قَدْ وَقَعْتُ فِي يَدِهِمْ مَرَّةً كَمَا وَقَعَ قَلِيلُ ٱلْإِيمَانِ فَإِنَّ هٰؤُلَاءِ ٱلثَّلَاثَةَ وَثَبُوا عَلَيَّ وَعِنْدَمَا تَصَلَّبْتُ لِلْمُقَاوَمَةِ صَرَخُوا صَوْتًا وَاحِدًا وَإِذَا بِسَيِّدِهِمْ قَدْ أَقْبَلَ وَلَوْ لَمْ أَكُنْ مُتَسَلِّحًا بِسِلَاحِ ٱلْحَقِّ كَمَا شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى لَسَلَّمْتُهُمْ نَفْسِي عَلَى أَنَّنِي مَعَ ذٰلِكَ ٱلسِّلَاحِ مَا كِدْتُ أَدْفَعُهُمْ عَنِّي إِلَّا بِجَهْدٍ عَنِيفٍ. وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَصِفَ مَا يُصِيبُنَا مِنَ ٱلْأَهْوَالِ فِي تِلْكَ ٱلْمَعْرَكَةِ إِلَّا مَنِ ٱخْتَبَرَهَا بِنَفْسِهِ قَالَ هٰذَا لَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ وَلٰكِنْ لَمَّا تَرَاءَى لَهُمْ أَنَّ عَظِيمَ ٱلنِّعْمَةِ مُقْبِلٌ هَلْ كَانُوا يَثْبُتُونَ أَمْ يَهْرُبُونَ. فَقَالَ وَهٰذَا لَا يُنْكَرُ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مِرَارًا كَثِيرَةً يَهْرُبُونَ هُمْ وَسَيِّدُهُمْ مِنْ لِقَاءِ عَظِيمِ ٱلنِّعْمَةِ. وَلَا عَجَبَ مِنْ ذٰلِكَ لِأَنَّ هٰذَا ٱلرَّجُلَ بَطَلُ مَلِكِ ٱلْمَجْدِ (٢) وَأَمَّا بَقِيَّةُ رَعَايَاهُ فَلَيْسَ هُمْ

غيرتهِ على مجد الله وشدَّة محبتهِ للحق الذي هو يسوع المسيح (١) ١ بط ٥: ٨

(٢) من هنا تطَّلع جليًّا على مقصود صاحب هذا الكتاب بعظيم النعمة الذي يذكرهُ مرارًا. فان الكتاب الالهي يخبرنا بان الرسل شهدوا بقيامة المسيح بقوَّة عظيمة لان نعمة عظيمة كانت على جميعهم (اع ٤: ٣٣) ومن ذلك يتَّضح ان كل شيءٍ من ابتداء الخلاص الى انتهائهِ هو من النعمة. فتقرَّر اننا مهما عملنا من الصلاح لاجل المسيح يجب ان ننسبهُ الى نعمة ربنا العظيمة لا الى انفسنا

فِي طَبَقَةِ هٰذَا ٱلْبَطَلِ مِنَ ٱلثَّبَاتِ وَٱلْإِقْدَامِ . وَفَضْلًا عَنْ ذٰلِكَ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ بَعْضَ ٱلْقَضَايَا قَدْ يَجْرِي عَلَى غَيْرِ ٱلْقِيَاسِ فَمَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ غُلَامًا صَغِيرًا يَقْتُلُ جُلْيَاتَ ٱلْجَبَّارَ كَمَا فَعَلَ دَاوُدُ . وَلَا يَخْفَى أَنَّ ٱلنَّاسَ دَرَجَاتٌ فَمِنْهُمْ أَقْوِيَاءُ وَمِنْهُمْ ضُعَفَاءُ وَهٰذَا ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي سَلَبَتْهُ ٱللُّصُوصُ كَانَ مِنَ ٱلضُّعَفَاءِ فَغَلَبَهُ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ . قَالَ أَشْتَهِي أَنَّ عَظِيمَ ٱلنِّعْمَةِ كَانَ مَكَانَ هٰذَا ٱلرَّجُلِ . فَقَالَ وَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ لَكَانُوا أَتْعَبُوهُ كَثِيرًا لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ حَاذِقًا فِي ٱسْتِعْمَالِ ٱلْأَسْلِحَةِ يَنْجَحُ مَا دَامَ قَادِرًا أَنْ يَدْفَعَ أَعْدَاءَهُ عَنْهُ . وَأَمَّا إِذَا ٱنْعَكَفُوا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَإِنَّهُمْ رُبَّمَا يَصْرَعُونَهُ عَلَى ٱلْأَرْضِ وَيَتَمَكَّنُونَ مِنْهُ وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْتِيَ بِأَدْنَى حَرَكَةٍ . وَمَنْ تَفَرَّسَ فِي وَجْهِهِ يَرَى فِيهِ أَثَرَ ٱلْجِرَاحَاتِ فَيَتَّضِحُ لَهُ صِدْقُ هٰذَا ٱلْكَلَامِ . وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي أَيَّامِ جِهَادِهِ إِنَّهُ قَدْ يَئِسَ حَتَّى مِنَ ٱلْحَيَاةِ وَإِلَّا فَكَيْفَ هٰؤُلَاءِ ٱلْأَنْفَارُ وَأَصْحَابُهُمْ جَعَلُوا دَاوُدَ يَئِنُّ مُتَنَهِّدًا صَارِخًا (١) وَكَذَا حِزْقِيَّا وَإِنْ كَانَ بَطَلًا فِي عَصْرِهِ فَقَدْ ضَايَقُوهُ حَتَّى ٱرْتَبَكَ فِي جِهَادِهِ وَلَمْ

(١) مز ٨٨

يُفْلِتْ إِلَّا وَهُمْ قَدْ مَزَّقُوا ثِيَابَهُ . وَبُطْرُسُ ٱلرَّسُولُ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْتَبِرَ قُوَّتَهُ مَعَهُمْ تَغَلَّبُوا عَلَيْهِ وَأَمْسَكُوهُ حَتَّى جَعَلُوهُ أَخِيرًا يَخَافُ مِنْ جَارِيَةٍ صَغِيرَةٍ . وَفَضْلًا عَنْ ذٰلِكَ إِنَّ مَلِكَهُمْ مُسْتَعِدٌّ دَائِمًا لِٱسْتِمَاعِ صُرَاخِهِمْ وَهُوَ لَا يَتَغَافَلُ عَنْهُمْ أَبَدًا . فَإِذَا حَدَثَ أَنْ يَتَضَايَقُوا بَعْضَ ٱلْأَوْقَاتِ يُبَادِرُ إِلَيْهِمْ بِكُلِّ مُكْنَتِهِ وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ذٰلِكَ ٱلضِّيقَ . وَيُقَالُ إِنَّهُ إِذَا أَدْرَكَهُ ٱلسَّيْفُ لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ وَلَا ٱلرُّمْحُ وَلَا ٱلسَّهْمُ . وَٱلْحَدِيدُ يَحْسِبُهُ مِثْلَ ٱلتِّبْنِ وَٱلنُّحَاسُ مِثْلَ ٱلْخَشَبِ ٱلَّذِي يُخَرِّهُ ٱلسُّوسُ لَا يَهْرُبُ مِنَ ٱلْقَوْسِ وَيَعُدُّ ٱلْحِجَارَةَ بِٱلْمِقْلَاعِ مِثْلَ ٱلْهَشِيمِ وَمِثْلَ ٱلْيَبْسِ يَحْسِبُ ٱلْمِطْرَقَةَ وَيَضْحَكُ عَلَى ٱلْمَزَارِيقِ (١) فَمَاذَا عَسَى ٱلْإِنْسَانُ أَنْ يَفْعَلَ فِي مِثْلِ هٰذِهِ ٱلْوَاقِعَةِ إِلَّا إِذَا كَانَ رَاكِبًا فَرَسَ أَيُّوبَ ٱلَّذِي تَلْبَسُ عُنُقَهُ صَهِيلًا وَهُوَ يَحْفِرُ ٱلتُّرَابَ بِحَافِرِهِ وَيَخْرُجُ لِلِقَاءِ ٱلْمُتَسَلِّحِينَ وَيَضْحَكُ عَلَى ٱلْخَوْفِ وَلَا يَخَافُ وَلَا يَرْجِعُ مِنْ وَجْهِ ٱلسَّيْفِ وَلَا يَحْفَلُ مِنْ صَوْتِ ٱلْبُوقِ وَمِنْ بَعِيدٍ يَسْتَرْوِحُ ٱلْقِتَالَ وَإِغْرَاءَ ٱلْقُوَّادِ وَضَجِيجَ ٱلْجَيْشِ (٢) وَأَمَّا أَنَا وَأَنْتَ ٱلرَّاجِلَيْنِ فَلَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ

---

(١) اي ٤١: ٢٦–٢٩ (٢) اي ٣٩: ١٩–٢٥

نَشْتَهِي مُصَادَقَةَ ٱلْأَعْدَاءِ وَمُصَادَمَتَهُمْ . وَلَا تَخْدَعْنَا حَمِيَّةُ ٱلْفُتُوَّةِ فِي ٱلْآمَالِ وَٱلْمَطَامِعِ لِأَنَّ مَنْ كَانَ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَاصِرًا عِنْدَ ٱمْتِحَانِهِ كَمَا عَلِمْتَ مِنْ أَمْرِ بُطْرُسَ ٱلرَّسُولِ ٱلَّذِي ٱدَّعَى لِنَفْسِهِ ٱلشَّجَاعَةَ وَٱلثَّبَاتَ وَهَيَّأَ لَهُ ضَمِيرُهُ ٱلْبَاطِلُ أَنْ يَقُولَ خَيْرًا وَيَفْعَلَ حَسَنًا وَيَثْبُتَ مَعَ سَيِّدِهِ أَكْثَرَ مِنْ بَقِيَّةِ أَصْحَابِهِ وَلَمَّا مَسَّتِ ٱلْحَاجَةُ هَرَبَ وَسَقَطَ دُونَ ٱلْجَمِيعِ . وَبِنَاءً عَلَى هٰذَا يَجِبُ عَلَيْنَا إِذَا بَلَغَنَا أَنَّ فِي طُرُقِنَا لُصُوصًا أَنْ نَتَّخِذَ أَتْرَاسًا نَتَّقِي بِهَا حِرَابَ ٱلْأَعْدَاءِ أَوْ سِلَاحًا نُخِيفُهُمْ بِهِ مِنَ ٱلْإِقْدَامِ عَلَيْنَا . وَإِذَا خَلَوْنَا مِنْ ذٰلِكَ فَإِنَّهُمْ يَطْمَعُونَ فِينَا وَلَا يَخَافُونَ مِنَّا . وَلِذٰلِكَ نَبَّهَنَا ٱلرَّسُولُ عَلَى ٱتِّخَاذِ مَا نَتَّقِي بِهِ سَطْوَةَ ٱلْعَدُوِّ بِقَوْلِهِ خُذُوا تُرْسَ ٱلْإِيمَانِ فِي كُلِّ شَيْءٍ ٱلَّذِي بِهِ تَقْوَوْنَ عَلَى إِطْفَاءِ جَمِيعِ سِهَامِ ٱلْخَبِيثِ ٱلْمُلْتَهِبَةِ[1] وَأَفْضَلُ مِنْ ذٰلِكَ أَنْ نَطْلُبَ مِنَ ٱلْمَلِكِ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يُمْكِنْ أَنْ يَذْهَبَ مَعَنَا بِنَفْسِهِ يُرْسِلُ مَعَنَا جُنُودًا يَحْفَظُونَنَا فِي سَائِرِ طُرُقِنَا . وَهٰذَا قَدْ جَعَلَ دَاوُدُ يَطْمَئِنُّ وَهُوَ فِي وَادِي ظِلَالِ ٱلْمَوْتِ . وَمُوسَى ٱخْتَارَ أَنْ يَمُوتَ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ

---

(١) اف ٦:١٦

يَذْهَبَ خُطْوَةً وَاحِدَةً بِدُونِ إِلٰهِهِ[١] وَإِذَا حَصَلَ لَنَا هٰذَا ٱلْمَطْلُوبُ لَا نَخَافُ مِنْ رَبَوَاتِ ٱلشَّعْبِ ٱلْمُحِيطِينَ بِنَا[٢] وَبِدُونِهِ نَقَعُ فِي ٱلْأَسْرِ وَنَسْقُطُ بَيْنَ ٱلْمَقْتُولِينَ[٣] وَأَنَا يَا أَخِي قَدْ جَرَّبْتُ ٱلْقِتَالَ قَبْلَ ٱلْآنَ وَلَئِنْ كُنْتُ قَدْ سَلِمْتُ فَإِنَّنِي لَا أَتَجَاسَرُ أَنْ أَفْتَخِرَ بِشَجَاعَتِي لِأَنَّ نَجَاتِي كَانَتْ بِيَدٍ عَالِيَةٍ. وَأَحَبُّ إِلَيَّ لَوْ كُنَّا لَا نُصَادِفُ شَيْئًا مِنْ ذٰلِكَ بَعْدُ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ نَكُونَ لَمْ نَتَجَاوَزْ كُلَّ ٱلْخَطَرِ فِي طَرِيقِنَا وَلٰكِنْ إِذْ إِنَّ ٱلْأَسَدَ وَٱلدُّبَّ مَا ٱبْتَلَعَانِي فَأَنَا أَثِقُ بِٱللهِ أَنَّهُ سَوْفَ يُنْقِذُنَا مِنْ يَدِ ٱلْفِلِسْطِينِيِّ ٱلْأَغْلَفِ أَيْضًا وَأَنْشَدَ يَقُولُ شِعْرًا

يَا قَلِيلَ ٱلْإِيمَانِ مَاذَا رَمَاكَا
بَيْنَ قَوْمٍ مِنَ ٱللُّصُوصِ هُنَاكَا
فَتَذَكَّرْ يَا مُؤْمِنًا ذَاكَ وَٱطْلُبْ
أَنْ يَزِيدَ ٱلْإِيمَانُ فِي أَحْشَاكَا
وَبِهِ تَغْلِبُ ٱلْأُلُوفَ فَإِنْ فَا
تَ فَهَيْهَاتِ ذَا أَوْ بَعْضُ ذَاكَا

---

(١) خر ٣٣: ١٥ (٢) مز ٣: ٥—٨ (٣) اش ١٠: ٤

قَالَ وَلَمَّا فَرَغَ ٱلْمَسِيحِيُّ مِنْ إِنْشَادِهِ ٱنْطَلَقَ بِصَاحِبِهِ وَٱلْجَهْلُ يَتْبَعُهُمَا حَتَّى وَصَلَا إِلَى مَكَانٍ فِيهِ طَرِيقٌ أُخْرَى ظَهَرَتْ أَنَّهَا مُسْتَقِيمَةٌ نَظِيرَ طَرِيقِهِمَا فَلَمْ يَعْلَمَا أَيُّهُمَا يَتَسَلَّمَانِ (١) فَوَقَفَا هُنَاكَ يَتَبَصَّرَانِ . وَإِذَا بِرَجُلٍ أَسْوَدَ عَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ قَدِ ٱسْتَقْبَلَهُمَا وَقَالَ مَا بَالُكُمَا وَاقِفَيْنِ هُنَا . فَقَالَا إِنَّنَا ذَاهِبَانِ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ وَقَدْ أَشْكَلَتْ عَلَيْنَا هَاتَانِ ٱلطَّرِيقَانِ فَلَمْ نَعْلَمْ أَيُّهُمَا طَرِيقُنَا . فَقَالَ أَنَا مَاضٍ إِلَى هُنَاكَ فَٱتَّبِعَانِي فَتَبِعَاهُ وَأَخَذَ بِهِمَا فِي تِلْكَ ٱلطَّرِيقِ ٱلَّتِي بَدَتْ لَهُمَا . وَمَا أَبْعَدُوا قَلِيلًا إِلَّا أَخَذَتْ تَلْتَوِي وَتَدْبُرُ بِهِمْ عَنِ ٱلْمَدِينَةِ ٱلَّتِي كَانَا طَالِبَيْهَا إِلَى أَنْ صَارَتْ وَرَاءَهُمْ وَهُمَا لَا يَنْتَبِهَانِ حَتَّى وَصَلَا إِلَى مَكَانٍ قَدْ نُصِبَتْ فِيهِ حَبَائِلُ خَفِيَّةٌ فَمَا شَعَرَا إِلَّا وَقَدِ ٱشْتَبَكَتْ فِي أَرْجُلِهِمَا فَأَمْسَكَتْهُمَا عَنِ ٱلْعُبُورِ . وَعِنْدَ ذٰلِكَ سَقَطَ ٱلثَّوْبُ ٱلْأَبْيَضُ عَنْ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ ٱلْأَسْوَدِ فَظَهَرَ لَهُمَا ٱلْمَكَانُ ٱلَّذِي هُمَا فِيهِ وَعَرَفَا أَيْنَ هُمَا فَلَمْ يَعْلَمَا مَاذَا يَصْنَعَانِ وَجَعَلَا يَبْكِيَانِ عَلَى سُوءِ

---

(١) هذه الطريق التي ظهرت مستقيمة كالاخرى تشير الى الضلال شبيهًا فشبيهًا عن استقامة الانجيل في التعليم والعمل . وهي التي وصفها الحكيم بقولهِ قد تكون طريقٌ تُرَى للانسان انها مستوية وآخرها يفضي الى الموت ام ١٤ : ١٢

حَالِهِمَا . فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ لِصَاحِبِهِ ٱنْظُرْ يَا أَخِي هٰذِهِ ٱلْغَفْلَةَ . أَمَا حَذَّرَتْنَا ٱلرُّعَاةُ مِنَ ٱلْمُمَلِّقِ . فَقَدْ تَمَّ بِنَا قَوْلُ ٱلْحَكِيمِ ٱلْقَائِلِ إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ ٱلَّذِي يُكَلِّمُ صَدِيقَهُ كَلَامًا لَطِيفًا بِٱلْمَكْرِ فَهُوَ يَبْسُطُ شِبَاكَهُ لِخَطَوَاتِهِ (١) فَقَالَ صَاحِبُهُ بَلَى وَقَدْ أَعْطَوْنَا كِتَابَةً تُرْشِدُنَا فِي ٱلطَّرِيقِ أَيْضًا فَلَمْ نَفْطَنْ لَهَا حَتَّى وَقَعْنَا فِي هٰذِهِ ٱلتَّهْلُكَةِ

قَالَ وَبَيْنَمَا هُمَا كَذٰلِكَ أَبْصَرَا رَجُلًا لَامِعًا قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِمَا وَفِي يَدِهِ سَوْطٌ مِنْ حَبْلٍ . فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمَا قَالَ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُمَا وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبَانِ وَمَا تَصْنَعَانِ هُنَا . فَقَالَا نَحْنُ سَائِحَانِ مُنْطَلِقَانِ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ أَضَلَّنَا عَنِ ٱلطَّرِيقِ رَجُلٌ أَسْوَدُ عَلَيْهِ لِبَاسٌ أَبْيَضُ حَتَّى عَلِقْنَا بِهٰذِهِ ٱلْأَشْرَاكِ كَمَا تَرَى . فَقَالَ هٰذَا مُمَلِّقٌ وَرَسُولٌ كَاذِبٌ قَدْ تَشَبَّهَ بِمَلَاكِ ٱلنُّورِ (٢) ثُمَّ قَطَعَ تِلْكَ ٱلْحَبَائِلَ وَأَطْلَقَهُمَا وَقَالَ لَهُمَا ٱتْبَعَانِي حَتَّى أَرُدَّكُمَا إِلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلْأُولَى .

---

(١) ام ٢٩ : ٥ فلنحذر من الملق والعُجب ومديح الناس والتعاليم التي توافق آراءنا الصادرة من مجرّد حكمتنا وقوّتنا لاننا متى شعرنا بافتقارنا الى الله وتأملنا في ما علّمنا اياهُ نكون في امان وطمأنينة بخلاف ما اذا نسينا ذلك وتغافلنا عنهُ فانهُ لا يبقى لنا شيءٌ من السلامة

(٢) دا ١١ : ٣٢ و٢ كو ١١ : ١٤ و١٤

وَتَقَدَّمَهُمَا وَهُمَا يَتْبَعَانِهِ حَتَّى وَصَلَا إِلَيْهَا . فَقَالَ لَهُمَا أَيْنَ بِتُّمَا ٱلْبَارِحَةَ . فَقَالَا عِنْدَ ٱلرُّعَاةِ عَلَى ٱلْجِبَالِ ٱلْمُبْهِجَةِ . قَالَ أَمَا أَعْطَوْكُمَا صَحِيفَةً تُرْشِدُكُمَا فِي ٱلطَّرِيقِ فَقَالَا بَلَى وَلٰكِنْ ذَهِلْنَا عَنْهَا . قَالَ أَوَلَمْ يُحَذِّرُوكُمَا مِنَ ٱلْمُمَلِّقِ . فَقَالَا قَدْ حَذَّرُونَا وَلٰكِنْ لَمْ نَظُنَّ أَنَّ ذٰلِكَ ٱلْإِنْسَانَ صَاحِبَ ٱلْكَلِمَاتِ ٱلطَّيِّبَةِ هُوَ ٱلْمُمَلِّقُ(١)

قَالَ صَاحِبُ ٱلرُّؤْيَا وَحِينَئِذٍ رَأَيْتُ أَنَّهُ أَضْجَعَهُمَا وَجَلَدَهُمَا جَلْدًا عَنِيفًا لِيُعَلِّمَهُمَا كَيْفَ يَمْشِيَانِ فِي ٱلطَّرِيقِ ٱلْمُسْتَقِيمَةِ(٢) وَبَيْنَمَا هُوَ يَضْرِبُهُمَا قَالَ لَهُمَا إِنِّي مَنْ أُحِبُّهُ أُوَبِّخُهُ وَأُؤَدِّبُهُ فَغَارَا ٱلْآنَ غِيرَةً وَتُوبَا(٣) ثُمَّ كَفَّ ٱلضَّرْبَ عَنْهُمَا وَقَالَ لَهُمَا سِيرَا فِي طَرِيقِكُمَا وَٱحْفَظَا وَصِيَّةَ ٱلرُّعَاةِ فَشَكَرَاهُ عَلَى تَأْدِيبِهِ وَأَسْرَعَا فِي ٱلطَّرِيقِ ٱلْمُسْتَقِيمَةِ يُنْشِدَانِ شِعْرًا

---

(١) رو١٦:١٧ و١٨ (٢) تث ٢:٣٥ و١٢ اي ٦:٢٧

(٣) رؤ٣:١٩ ان الله وان كان لا يحرم بنيه الميراث يتفقد خطاياهم بالعصي وآثامهم بالسياط لاجل محبته الابوية لهم . وحينما يعبس بوجوههم لا يغيّر محبته اياهم وانما يغيّر طريقة معاملته لهم ولا ريب انه يقصد بتأديبهم ان يجعل الخطيئة مكروهة عندهم ويزيدهم مماثلة لصورته القدسية المحبوبة عنده

يَا أَيُّهَا ٱلسَّائِرُونَ هَلَّا ... تُقَدِّمُونَ ٱلْغَدَاةَ رَحْلَا
لِتَنْظُرُوا مَا جَرَى أَحْيَانًا ... لِلسَّائِحَيْنِ ٱللَّذَيْنِ ضَلَّا
صَادَتْهُمَا لِلْعِدَى حِبَالُ ... إِذْ نَسِيَا مَنْ أَشَارَ قَبْلَا
وَٱللّٰهُ نَجَّاهُمَا وَلٰكِنْ ... قَدْ جُلِدَا لِلْقِصَاصِ عَدْلَا
فَٱتَّخِذُوا عِبْرَةً بِهٰذَا ... تَقِي ضَلَالَ ٱلْمَسِيرِ جَهْلَا

وَنَظَرَا فِي أَثْنَاءِ ذٰلِكَ فَلَاحَ لَهُمَا رَجُلٌ عَنْ بُعْدٍ قَدْ أَقْبَلَ يَرْكُضُ فِي ٱلطَّرِيقِ مُنْفَرِدًا. فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ لِصَاحِبِهِ هٰذَا رَجُلٌ رَاجِعٌ مِنْ صِهْيَوْنَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْنَا. فَقَالَ صَاحِبُهُ إِنِّي أَرَاهُ فَلْنَحْتَرِزْ مِنْهُ لِئَلَّا يَكُونَ مُمَلِّقًا أَيْضًا. وَكَانَ ٱلرَّجُلُ يَتَقَدَّمُ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى وَصَلَ إِلَيْهِمَا وَكَانَ يُقَالُ لَهُ ٱلْمُلْحِدُ. فَقَالَ حَيَّاكُمَا ٱللّٰهُ يَا صَاحِبَيَّ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبَانِ. فَقَالَا إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْمُلْحِدُ ذٰلِكَ غَاصَ فِي ٱلضَّحِكِ فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ مَا أَضْحَكَكَ يَا صَاحِ. فَقَالَ أَرَاكُمَا تَتَكَلَّفَانِ سَفَرًا طَوِيلًا وَلَا تَحْصُلَانِ مِنْهُ إِلَّا عَلَى ٱلْمَشَقَّةِ. قَالَ وَلِمَاذَا. فَقَالَ إِنَّ هٰذَا ٱلْمَكَانَ لَا يُوجَدُ فِي جَمِيعِ هٰذَا ٱلْعَالَمِ وَأَنَا قَدْ سَمِعْتُ بِهِ لَمَّا كُنْتُ فِي بَلْدَتِي وَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ كَمَا خَرَجْتُمَا وَقَدْ مَضَى عَلَيَّ عِشْرُونَ سَنَةً

وَأَنَا أَلْتَمِسُهُ وَأَبْحَثُ عَنْهُ وَمَا وَجَدْتُ فِي كُلِّ هٰذِهِ ٱلْمُدَّةِ أَكْثَرَ مِمَّا وَجَدْتُ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ خَرَجْتُ فِيهِ (١) قَالَ إِنَّنَا قَدْ سَمِعْنَا بِهِ وَنُصَدِّقُ وُجُودَهُ أَيْضًا . فَقَالَ وَأَنَا قَدْ سَمِعْتُ أَوَّلًا وَصَدَّقْتُ وَلَوْلَا ذٰلِكَ لَمْ أَخْرُجْ مِنْ وَطَنِي حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى هُنَا وَإِذْ لَمْ أَجِدْهُ عَلِمْتُ أَنَّهُ ٱسْمٌ لَا مُسَمَّى لَهُ لِأَنِّي سَعَيْتُ فِي طَلَبِهِ أَكْثَرَ مِنْكُمَا حَتَّى تَجَاوَزْتُ ٱلْحَدَّ ٱلَّذِي وَصَلْتُمَا إِلَيْهِ كَمَا تَرَيَانِ فَلَوْ كَانَ مَوْجُودًا لَوَجَدْتُهُ . وَلِذٰلِكَ أَنَا أَرْجِعُ إِلَى وَطَنِي لِكَيْ أُمَتِّعَ نَفْسِي بِٱلتَّنَعُّمَاتِ ٱلَّتِي كُنْتُ أَجْتَنِبُهَا طَمَعًا فِي مَا عَلِمْتُ ٱلْآنَ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ (٢) قَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ لِصَاحِبِهِ أَتَرَى هٰذَا ٱلرَّجُلَ صَادِقًا فِي مَا يَقُولُ . فَقَالَ ٱلرَّاحِي ٱحْذَرْ مِنْهُ لِأَنَّهُ أَحَدُ ٱلْمُمَلِّقِينَ . وَتَذَكَّرْ مَا سَلَفَ لَنَا قَبْلَ ٱلْآنَ فِي ٱسْتِمَاعِنَا لِمِثْلِهِ . وَكَيْفَ

---

(١) جا ١٠ : ١٥ وار ١٧ : ١٥ (٢) اننا لا نخلو من اعداء مختلفين يحيطون بنا . فان المسيحي وصاحبه الراجي لم يفارقا المملّق المبرّر لنفسه حتى اتاهما المزدري الدنس الشهواني . وهو كان قد سبقهما في طريق السياحة غير انه رجع على اعقابه خاسرًا بعد ما استمرّ عشرين سنة في طلب المنهج السماوي . والآن قد فقد كل نوع من الايمان والرجاء وهو يزدري بهما ضاحكًا . ولكن ما اعظم رحمة الله التي يتعطّف بها على الذين يحفظهم الى النهاية في طريق الايمان فلا يعثرون بحجر العثرة الذي يلقيه في سبيلهم المرتدون مثل هذا المزدري الفاسد

لَا يُوجَدُ جَبَلُ صِهْيَوْنَ . أَمَا رَأَيْنَا بَابَ ٱلْمَدِينَةِ وَنَحْنُ عَلَى ٱلْجِبَالِ ٱلْمُبْهِجَةِ. وَأَقُولُ فَضْلًا عَنْ ذٰلِكَ إِنَّنَا بِٱلْإِيمَانِ نَسْلُكُ لَا بِٱلْعِيَانِ[1] فَدَعْهُ وَهَلُمَّ بِنَا لِئَلَّا يُدْرِكَنَا ثَانِيَةً صَاحِبُ ٱلسَّوْطِ[2]. وَقَدْ كَانَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُعَلِّمَنِي هٰذِهِ ٱلْمَثَالَةَ ٱلَّتِي أُرْشِدُكَ بِهَا. فَكُفَّ إِذًا وَلَا تَزَلْ تَسْمَعُ ٱلتَّعْلِيمَ وَلَا تَكُنْ غَيْرَ عَالِمٍ بِأَقْوَالِ ٱلْعِلْمِ[3]. وَدَعْنَا نُؤْمِنُ بِخَلَاصِ ٱلنَّفْسِ[4] فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ يَا أَخِي إِنَّنِي لَمْ أَسْأَلْكَ كَأَنَّنِي مُشَكِّكٌ فِي صِدْقِ إِيمَانِنَا وَلٰكِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَمْتَحِنَكَ وَأَجْنِيَ ثَمَرَةَ خُلُوصِ قَلْبِكَ. وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ هٰذَا ٱلرَّجُلَ قَدْ أَعْمَاهُ إِلٰهُ هٰذَا ٱلْعَالَمِ فَلْنَذْهَبِ ٱلْآنَ عَارِفَيْنِ أَنَّ لَنَا دِيَانَةَ ٱلْحَقِّ وَأَنَّ كُلَّ كَذِبٍ لَيْسَ هُوَ مِنَ ٱلْحَقِّ[5] فَقَالَ ٱلرَّاجِي إِنَّنِي أُسَرُّ ٱلْآنَ بِرَجَاءِ مَجْدِ ٱللهِ فَلْنَنْطَلِقْ عَلَيْهِ. وَتَرَكَا ٱلرَّجُلَ فَٱنْطَلَقَ أَيْضًا فِي طَرِيقِهِ وَهُوَ يَضْحَكُ عَلَيْهِمَا

---

(١) ٢كو ٥: ٧

(٢) ان النموذجات التي يقدمها الله لشعبه من جودته ومجده العتيد ان يستعلن هي نافعة جدًّا للاحتراز من الضلالات المهلكة . وبهذا يقدرون ان يقاوموا اعمال المتعنتين الكفرة ويدحضوا جميع حججهم الباطلة

(٣) ام ١٩: ٢٧ (٤) عب ١٠: ٣٩ (٥) ايو ٢: ٢١

قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّهُمَا مَشَيَا حَتَّى وَصَلَا إِلَى أَرْضٍ هَوَاؤُهَا رَطْبٌ يَجْلِبُ ٱلنُّعَاسَ عَلَى ٱلْغُرَبَاءِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَعْتَادُوهُ. فَدَبَّ ٱلنُّعَاسُ فِي أَجْفَانِ ٱلرَّاجِي حَتَّى ثَقُلَتْ وَكَادَ لَا يَتَمَالَكُ أَنْ يَفْتَحَ عَيْنَيْهِ فَقَالَ لِلْمَسِيحِيِّ قَدْ غَلَبَ عَلَيَّ ٱلنُّعَاسُ فَإِنْ شِئْتَ فَلْنَرْقُدْ قَلِيلًا هُنَا. فَقَالَ مَعَاذَ ٱللهِ مِنْ ذٰلِكَ. قَالَ لِمَاذَا يَا أَخِي فَإِنَّ ٱلنَّوْمَ طَيِّبٌ وَلَا سِيَّمَا لِلْمُتْعَبِ فَإِنَّهُ يُعْطِي رَاحَةً تُعِينُ عَلَى ٱلسَّفَرِ. قَالَ نَعَمْ وَلٰكِنْ إِذَا نِمْنَا هُنَا لَا نَعُودُ نَسْتَيْقِظُ أَبَدًا. أَمَا تَذْكُرُ أَنَّ أَحَدَ ٱلرُّعَاةِ حَذَّرَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي مَسَّتْهَا أَعْمَالُ ٱلشَّيْطَانِ. وَعَنَى بِذٰلِكَ أَنَّنَا نَحْتَرِزُ مِنَ ٱلنَّوْمِ. فَلَا نَرْقُدُ ٱلْآنَ كَسَائِرِ ٱلنَّاسِ وَلٰكِنْ فَلْنَكُنْ مُتَيَقِّظَيْنِ صَاحِيَيْنِ (١) قَالَ أَجَرَكَ ٱللهُ يَا أَخِي فَإِنَّنِي قَدْ غَفَلْتُ عَنْ هٰذَا. وَلَوْ كُنْتُ وَحْدِي لَنَزَلَ عَلَيَّ ٱلْمَوْتُ فِي صُورَةِ ٱلنَّوْمِ. وَقَدْ صَدَقَ ٱلْحَكِيمُ بِقَوْلِهِ ٱثْنَانِ خَيْرٌ مِنْ وَاحِدٍ (٢) فَقَالَ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ ٱلْحَدِيثَ مِمَّا يَصْرِفُ ٱلنُّعَاسَ فَهَلَ

---

(١) ١ تس ٥: ٦ الارض التي مسّتها اعمال الشيطان كناية عن حال النجاة من التجارب والنجاح الدنيوي. وعلى الخصوص انهُ ينجح المسيحي في الامور الخارجية بغتةً وتتيسر حوائجهُ من غير عائقٍ ولا مانع. وهذه الحال ليس من حال تقتضي انتباهًا عظيمًا مثلها (٢) جا ٤: ٩

لَكَ فِيهِ . فَقَالَ حَبَّذَا مَا تَقُولُ فَإِنِّي مُشْتَاقٌ إِلَيْهِ جِدًّا . قَالَ بِمَاذَا تَرَى نَفْتَتِحُ الْحَدِيثَ . فَقَالَ حَيْثُ فَتَحَ اللهُ عَلَيْنَا . قَالَ قَدْ حَضَرَتْنِي هٰذِهِ الْأَبْيَاتُ فَأُرِيدُ أَنْ أُنْشِدَكَ إِيَّاهَا أَوَّلًا ثُمَّ أَعُودُ إِلَى الْحَدِيثِ وَأَنْشَدَ

قُلْ لِمَنْ يَغْلِبُ النُّعَاسُ عَلَيْهِ
سَائِرًا فِي طَرِيقِهِ الْمُسْتَقِيمِ
قِفْ بِنَا وَاسْتَمِعْ تُخَاطِبَ ذَيْنِ الـ
سَّائِحَيْنِ الْمُفِيدَ لِلتَّعْلِيمِ
وَتَعَلَّمْ حِفْظَ الْعُيُونِ الثَّقِيلَا
تِ نُعَاسًا مِنْ رَيْبَةِ التَّهْوِيمِ
إِنَّمَا عِشْرَةُ التَّقِيِّ إِذَا مَا
أُخْلِصَتْ مِنْ نَقِيِّ قَلْبٍ سَلِيمِ
تَحْفَظُ الْعَيْنَ فِي تَيَقُّظِهَا وَالْـ
قَلْبَ رَغْمًا عَنْ أَنْفِ أَهْلِ الْجَحِيمِ

وَلَمَّا فَرَغَ الْمَسِيحِيُّ مِنْ إِنْشَادِهِ الْتَفَتَ إِلَى صَاحِبِهِ فَقَالَ يَا أَخِي كَيْفَ كُنْتَ قَبْلَ السِّيَاحَةِ وَمَا حَمَلَكَ عَلَيْهَا . فَقَالَ إِنِّي

بَقِيتُ زَمَانًا مَدِيدًا فِي ٱلتَّنَعُّمِ بِٱلْأَشْيَاءِ ٱلَّتِي كَانَتْ تُرَى وَتُبَاعُ فِي سُوقِنَا وَأَنَا اعْتَقِدُ ٱلْآنَ أَنَّنِي لَوْ بَقِيتُ مُنْعَكِفًا عَلَيْهَا لَكَانَتْ غَرَّقَتْنِي فِي لُجَّةِ ٱلْهَلَاكِ. قَالَ وَمَا هِيَ هٰذِهِ ٱلْأَشْيَاءُ. فَقَالَ هِيَ ذَخَائِرُ هٰذَا ٱلْعَالَمِ وَغِنَاهُ ٱلَّتِي كُنْتُ أَتَمَتَّعُ بِهَا وَكُنْتُ ٱلْتَذُّ جِدًّا بِٱلْمَلَاهِي وَٱلشَّرَاهَةِ وَٱلسُّكْرِ وَٱلْحَلْفِ وَٱلْكَذِبِ وَمُخَالَفَةِ يَوْمِ ٱلرَّبِّ وَأَشْبَاهِ ذٰلِكَ مِمَّا يَقُودُ إِلَى ٱلْهَلَاكِ. غَيْرَ أَنِّي وَجَدْتُ أَخِيرًا بِٱسْتِمَاعِي ٱلْأُمُورَ ٱلْإِلٰهِيَّةَ ٱلَّتِي سَمِعْتَهَا مِنْكَ وَمِنْ صَاحِبِكَ ٱلْأَمِينِ ٱلَّذِي قُتِلَ فِي سُوقِ ٱلْأَبَاطِيلِ أَنَّ غَايَةَ هٰذِهِ ٱلْأَشْيَاءِ هِيَ ٱلْمَوْتُ(١) وَأَنَّهُ مِنْ أَجْلِ هٰذِهِ ٱلْأَشْيَاءِ يَأْتِي غَضَبُ ٱللهِ عَلَى أَبْنَاءِ ٱلْمَعْصِيَةِ(٢) قَالَ فَهَلْ أَثَّرَتْ فِيكَ حَالًا هٰذِهِ ٱلْأَقْوَالُ. فَقَالَ لَا لِأَنِّي مَا أَرَدْتُ حَالًا أَنْ أَعْرِفَ شَرَّ ٱلْخَطِيئَةِ وَلَا ٱلدَّيْنُونَةَ ٱلَّتِي تُجْلَبُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَرْتَكِبُونَهَا. لٰكِنَّنِي كُنْتُ أَجْتَهِدُ عِنْدَمَا يَلْهَجُ ضَمِيرِي بِكَلِمَةٍ أَنْ أُغْمِضَ عَيْنَيَّ لِئَلَّا أَرَى نُورَهَا. قَالَ مَاذَا كَانَ يَجْعَلُكَ تَفْعَلُ ضِدَّ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ فِيكَ رُوحُ ٱللهِ ٱلْقُدُّوسُ. فَقَالَ لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ ذٰلِكَ فِعْلُ ٱللهِ لِأَنَّ

---

(١) رو ٦: ٢١-٢٣ (٢) اف ٥: ٦

نَفْسِي لَمْ تَكُنْ تُحَدِّثُنِي أَنَّ اللهَ يَبْتَدِئُ فِي إِرْجَاعِ الْخَاطِئِ عَنْ إِثْمِهِ بِتَنْبِيهِهِ إِيَّاهُ عَلَى الْخَطِيئَةِ. وَكَانَتِ الْخَطِيئَةُ لَذِيذَةً عِنْدِي حَتَّى لَا أُطِيقَ تَرْكَهَا وَلَا فِرَاقَ أَحِبَّائِي الَّذِينَ كَانُوا شُرَكَائِي فِيهَا. فَكُنْتُ لَا أُطِيقُ التَّوْبِيخَ عَلَيْهَا وَأَمْقُتُ الَّذِينَ يُوَبِّخُونَنِي وَالزَّمَانَ الَّذِي أُوَبَّخُ فِيهِ (١) قَالَ أَمَا خَلَا قَلْبُكَ حِينًا مِنْ هُمُومِ الْآخِرَةِ. فَقَالَ نَعَمْ وَلَكِنْ كَانَتْ تَتَرَدَّدُ إِلَيَّ فَأَكُونُ أَشْقَى مِمَّا كُنْتُ قَبْلًا. قَالَ فَمَاذَا كَانَ يَرُدُّهَا إِلَيْكَ. فَقَالَ كُنْتُ أَذْكُرُهَا إِذَا لَقِيتُ رَجُلًا صَالِحًا أَوْ سَمِعْتُ قِرَاءَةَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ أَوْ مَرِضْتُ أَوْ سَمِعْتُ بِمَرَضٍ أَوْ مَيْتٍ وَلَا سِيَّمَا إِذَا مَاتَ بَغْتَةً أَوِ افْتَكَرْتُ فِي أَنِّي سَأَمُوتُ وَعَلَى الْخُصُوصِ فِي أَنِّي سَأَنْطَلِقُ إِلَى الدَّيْنُونَةِ. قَالَ وَعِنْدَ ذٰلِكَ أَمَا كُنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُلْقِيَ عَنْكَ بِسُهُولَةٍ ثِقْلَ الْخَطِيئَةِ. فَقَالَ لَا بَلْ كَانَ يَغْلِبُنِي هَوَى الطَّبِيعَةِ

(١) ان الخاطئ عند ما يكون منهمكًا في الخطيئة بطمأنينةٍ ومهتمًا بتمتيع حواسهِ باللذات الباطلة ينبههُ الروح الالهي بقوَّتهِ الفعَّالة على ان هذه الاباطيل خيال يزول سريعًا وان لا شيء ثابت الاَّ ما كان ابديًا. وعند ذلك يأخذ في عمل التوبة وتهذيب السيرة. ولكن البلايا التي تعرض لهُ مرارًا كثيرة تعرِّفهُ بضعفهِ فيكلُّ من الجهاد الفارغ ويبأس من نوال بغيتهِ ويرجع الى المسيح المستعلن لهُ من الروح ويفرح متهللاً بهِ وببرِّهِ وبمجدهِ

وَلَوْ كَانَ عَقْلِي يُخَالِفُهُ فَرُبَّمَا تَمَكَّنَتِ ٱلْأَخْوَافُ فِي ضَمِيرِي بِأَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ . قَالَ فَكَيْفَ صَنَعْتَ بَعْدَ ذٰلِكَ . فَقَالَ قَدْ جَرَّدْتُ فِكْرِي لِٱعْتِبَارِ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيَّ ٱلِٱجْتِهَادُ فِي إِصْلَاحِ حَيَاتِي وَإِلَّا فَلَا بُدَّ مِنْ وُقُوعِي تَحْتَ ٱلدَّيْنُونَةِ ٱلصَّارِمَةِ . قَالَ ثُمَّ مَاذَا . قَالَ وَهَرَبْتُ مِنَ ٱلْخَطَايَا وَأَسْبَابِهَا وَمَجَالِسِهَا وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي ٱلصَّلَاةَ وَٱلْقِرَاءَةَ وَٱلْبُكَاءَ وَٱلصِّدْقَ وَهَلُمَّ جَرًّا . قَالَ وَهَلْ شَعَرْتَ فِي نَفْسِكَ حِينَئِذٍ بِٱلرَّاحَةِ . قَالَ نَعَمْ وَذٰلِكَ فِي بُرْهَةٍ يَسِيرَةٍ إِلَّا أَنَّ ذٰلِكَ ٱلِٱضْطِرَابَ رَاجَعَنِي بَعْدَ ذٰلِكَ وَتَغَلَّبَ عَلَى كُلِّ مَا فَعَلْتُ مِنَ ٱلصَّلَاحِ . قَالَ وَكَيْفَ ذٰلِكَ . فَقَالَ بَيْنَمَا كُنْتُ مُنْعَكِفًا عَلَى قِرَاءَةِ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُقَدَّسِ عَثَرْتُ عَلَى قَوْلِهِ إِنَّهُ بِأَعْمَالِ ٱلنَّامُوسِ لَا يَتَبَرَّرُ أَحَدٌ (١) وَقَوْلِهِ إِذَا فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَقُولُوا إِنَّنَا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ (٢) وَعِبَارَاتٍ أُخَرَ كَثِيرَةٍ مِثْلِ هٰذِهِ مِمَّا يُضَعِّفُ رَجَاءَ ٱلْخَلَاصِ . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي إِذَا كَانَ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ فَٱلطَّمَعُ فِي ٱلْخَلَاصِ بِوَاسِطَةِ ٱلنَّامُوسِ جَهَالَةٌ

ثُمَّ ٱلْتَفَتُّ إِلَى تِلْكَ ٱلْحَالَةِ ٱلَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا قَبْلَ ذٰلِكَ

---

(١) غل ٢:١٦ (٢) لو ١٧:١٠

فَقُلْتُ أَحْسِبُ أَنَّنِي ٱقْتَصَرْتُ ٱلْآنَ عَنْهَا فَمَا أَنَا إِلَّا كَمَنْ عَلَيْهِ
دَيْنٌ لِتَاجِرٍ لَا يَزَالُ يَشْتَرِي مِنْهُ أَيْضًا وَلَيْسَ فِي يَدِهِ مَا يَقُومُ
بِإِيفَاءِ ٱلدَّيْنِ وَٱلثَّمَنِ. فَهُوَ يُعْطِيهِ أَثْمَانَ ٱلْأَمْتِعَةِ ٱلَّتِي يَشْتَرِيهَا
مِنْهُ وَأَمَّا ٱلدَّيْنُ فَبَاقٍ عَلَيْهِ يَسْتَحِقُّ ٱلتَّاجِرُ أَنْ يُطَالِبَهُ بِهِ وَيَقْدِرُ
أَنْ يَحْبِسَهُ حَتَّى يَدْفَعَهُ إِلَيْهِ. قَالَ وَكَيْفَ ذٰلِكَ. فَقَالَ إِنِّي قَدْ
سَجَّلْتُ عَلَيَّ دُيُونًا بَاهِظَةً فِي دَفْتَرِ ٱلْعَدْلِ ٱلْإِلٰهِيِّ بِسَبَبِ خَطَايَايَ.
وَأَعْمَالِي ٱلصَّالِحَةُ ٱلْآنَ لَا تُوفِي تِلْكَ ٱلدُّيُونَ وَلِذٰلِكَ لَا أَزَالُ
مَعَ كُلِّ صَلَاحِي ٱلْحَاضِرِ أَفْتَكِرُ فِي أَنِّي كَيْفَ أَنْجُو مِنَ ٱلْعِقَابِ
ٱلَّذِي أَلْقَيْتُ نَفْسِي فِي خَطَرِهِ بِسَبَبِ مُخَالَفَتِي ٱلْقَدِيمَةِ. قَالَ
أَحْسَنْتَ وَأَجْمَلْتَ ثُمَّ مَاذَا. قَالَ قَدْ أَزْعَجَنِي شَيْءٌ آخَرُ مِنْ
أَوَّلِ شُرُوعِي فِي إِصْلَاحِ سِيرَتِي وَهُوَ أَنَّنِي إِذَا أَمْعَنْتُ ٱلنَّظَرَ فِي
أَحْسَنِ مَا يَكُونُ مِنْ أَفْعَالِي أَرَى خَطِيئَةً جَدِيدَةً مَمْزُوجَةً فِيهِ
وَلِذٰلِكَ ٱلْتَزَمْتُ أَنْ أَعْتَقِدَ أَنَّنِي مَعَ كُلِّ تَهْذِيبِ أَعْمَالِي أَرْتَكِبُ
كُلَّ يَوْمٍ خَطَايَا كَافِيَةً لِلْهَلَاكِ وَلَوْ كَانَتْ حَيَاتِي ٱلسَّابِقَةُ بَرِيئَةً
مِنَ ٱلذُّنُوبِ. قَالَ فَمَاذَا فَعَلْتَ حِينَئِذٍ. فَقَالَ إِنِّي لَمْ أَكُنْ أَقْدِرُ
أَنْ أَعْرِفَ مَاذَا أَفْعَلُ وَلٰكِنْ كَانَ لِي ٱتِّصَالٌ مَعَ ٱلْأَمِينِ فَكَاشَفْتُهُ

بِذٰلِكَ فَقَالَ إِنْ لَمْ تَمْتَلِكْ بِرَّ إِنْسَانٍ لَمْ يُخْطَأْ قَطُّ لَا يَقْدِرُ بِرُّكَ وَلَا بِرُّ كُلِّ ٱلْعَالَمِ أَنْ يُخَلِّصَكَ. قَالَ وَكَيْفَ رَأَيْتَ كَلَامَهُ. فَقَالَ لَوْ قَالَ لِي ذٰلِكَ وَأَنَا مُصِرٌّ عَلَى ٱلِٱكْتِفَاءِ بِمُجَرَّدِ أَعْمَالِي ٱلْخَلَاصِيَّةِ لَحَسِبْتُهُ جَاهِلًا وَلٰكِنْ بَعْدَ مَا رَأَيْتُ ضُعْفِي وَمُلَابَسَةَ ٱلْخَطِيئَةِ لِأَحْسَنِ أَعْمَالِي سَلَّمْتُ إِلَى رَأْيِهِ. قَالَ وَهَلْ سَلَّمْتَ بِوُجُودِ إِنْسَانٍ لَمْ يُخْطِئْ قَطُّ كَمَا ذَكَرَ. فَقَالَ إِنَّنِي ٱسْتَغْرَبْتُ ذٰلِكَ أَوَّلًا وَلٰكِنْ بَعْدَ مَا تَقَدَّمْنَا شَيْئًا فِي ٱلْحَدِيثِ سَلَّمْتُ. قَالَ كَأَنَّكَ سَأَلْتَهُ مَنْ هُوَ وَكَيْفَ تَبَرَّرُ بِهِ. فَقَالَ نَعَمْ قَدْ سَأَلْتُهُ. فَقَالَ إِنَّهُ ٱلرَّبُّ يَسُوعُ ٱلْجَالِسُ عَنْ يَمِينِ ٱلْعَظَمَةِ ٱلْعُلْيَا[1] وَقَالَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَبَرَّرَ بِهِ بِٱلِٱتِّكَالِ عَلَى مَا فَعَلَهُ بِذَاتِهِ لَمَّا تَأَنَّسَ وَتَأَلَّمَ وَعُلِّقَ عَلَى ٱلْخَشَبَةِ[2] فَقُلْتُ لَهُ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بِرُّهُ كَافِيًا لِتَبْرِيرِ ٱلْآخَرِينَ قُدَّامَ ٱللّٰهِ. فَقَالَ إِنَّ لَهُ قُدْرَةً عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ قَدْ فَعَلَ مَا فَعَلَ وَٱقْتَبَلَ ٱلْمَوْتَ لَا مِنْ أَجْلِ ذَاتِهِ بَلْ لِأَجْلِكَ فَكُلُّ أَعْمَالِهِ وَكُلُّ ٱسْتِحْقَاقَاتِهَا تُحْسَبُ لَكَ إِذَا آمَنْتَ بِهِ. قَالَ فَمَاذَا فَعَلْتَ حِينَئِذٍ. فَقَالَ قُلْتُ لَهُ أَخَافُ

(١) عب ١٠: ١٢-٢١ (٢) رو ٤: ٥ وكو ١: ١٤ و ١ بط ١: ١٩

أَنْ يَطْرُدَنِي. قَالَ فَمَاذَا قَالَ لَكَ. فَقَالَ قَالَ لِي ٱمْضِ إِلَيْهِ وَٱنْظُرْ فَقُلْتُ تِلْكَ جَسَارَةٌ لَا أَقْدِمُ عَلَيْهَا. فَقَالَ لَا فَإِنِّي أَنَا قَدْ دُعِيتُ لِأَنْ أَمْضِيَ (١) ثُمَّ أَعْطَانِي كِتَابًا قَدْ كَتَبَهُ يَسُوعُ يُرِيدُ أَنْ يُشَجِّعَنِي عَلَى ٱلْمُضِيِّ وَأَخْبَرَنِي بِذٰلِكَ ٱلْكِتَابِ وَقَالَ لِي إِنَّ ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ تَزُولَانِ وَكَلَامُهُ لَا يَزُولُ (٢) فَسَأَلْتُهُ مَاذَا أَفْعَلُ إِذَا مَضَيْتُ إِلَيْهِ. قَالَ تَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ جَاثِيًا عَلَى رُكْبَتَيْكَ (٣) مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَنَفْسِكَ (٤) حَتَّى يُظْهِرَهُ لَكَ ٱلْآبُ. قُلْتُ وَكَيْفَ أَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ وَأَيْنَ أَلْقَاهُ. قَالَ ٱذْهَبْ إِلَيْهِ فَتَجِدَهُ عَلَى عَرْشِ ٱلرَّحْمَةِ حَيْثُ يَجْلِسُ عَلَى ٱلدَّوَامِ لِيَمْنَحَ ٱلْعَفْوَ وَٱلْمَغْفِرَةَ لِكُلِّ مَنْ يَأْتِي إِلَيْهِ (٥) قُلْتُ لَا أَعْلَمُ مَاذَا أَقُولُ إِذَا أَتَيْتُ إِلَيْهِ. قَالَ قُلِ ٱرْحَمْنِي أَللّٰهُمَّ أَنَا ٱلْخَاطِئَ وَٱجْعَلْنِي أَعْرِفُ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحَ وَأُومِنُ بِهِ لِأَنَّنِي أَرَى أَنِّي لَوْلَا بِرُّهُ أَوْ إِذَا لَمْ أُومِنْ بِبِرِّهِ أُطْرَحُ خَارِجًا لَا مَحَالَةَ. يَا رَبُّ إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ أَنَّكَ إِلٰهٌ رَحِيمٌ وَأَنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ ٱبْنَكَ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحَ مُخَلِّصًا لِلْعَالَمِ وَأَنَّكَ تَشَاءُ أَنْ تُفِيضَ

---

(١) مت ١١: ٢٨ (٢) مت ٢٤: ٣٥ (٣) مز ٩٤: ٦ ودا ٦: ١١
(٤) ار ٢٩: ١٢ و١٣ (٥) خر ٣٥: ٢٢ ولا ١٦: ٢ وعد ٧: ٨٩
وعب ٤: ١٦

نِعْمَتَهُ عَلَى ٱلْخَطَاةِ وَأَنَا خَاطِئٌ بِٱلْحَقِيقَةِ فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُعَظِّمَ هٰذِهِ ٱلنِّعْمَةَ بِخَلَاصِ نَفْسِي لِأَجْلِهِ وَحُبًّا بِهِ. قَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ فَهَلْ عَمِلْتَ كَمَا أَمَرَكَ ٱلْأَمِينُ. فَقَالَ نَعَمْ قَدْ فَعَلْتُ كَذٰلِكَ مِرَارًا كَثِيرَةً. قَالَ فَهَلْ أَظْهَرَ ٱلْآبُ لَكَ ٱلِٱبْنَ. فَقَالَ قَدْ طَلَبْتُ ذٰلِكَ إِلَى سِتِّ مَرَّاتٍ فَلَمْ أَجِدْهُ. قَالَ وَمَاذَا عَمِلْتَ بَعْدَ ذٰلِكَ. فَقَالَ لَمْ أَعْلَمْ مَاذَا أَعْمَلُ. قَالَ أَمَا خَطَرَ لَكَ أَنْ تَتْرُكَ ٱلصَّلَاةَ. فَقَالَ بَلَى وَلٰكِنِّي أَبَيْتُ. قَالَ وَلِمَاذَا. فَقَالَ لِأَنِّي ٱعْتَقَدْتُ أَنَّ كُلَّ مَا قِيلَ لِي حَقٌّ فَوَثِقْتُ بِأَنَّ ٱلْعَالَمَ كُلَّهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَنِي بِدُونِ بِرِّ ٱلْمَسِيحِ وَأَنَّنِي إِذَا تَرَكْتُهُ أَمُوتُ. ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَ ٱلْقَائِلِ إِنْ تَوَانَى فَٱنْتَظِرْهُ لِأَنَّهُ سَيَأْتِي إِتْيَانًا وَلَا يَتَأَخَّرُ[1] وَبِنَاءً عَلَى ذٰلِكَ لَمْ أَزَلْ أُصَلِّي حَتَّى أَظْهَرَ ٱلْآبُ لِي ٱبْنَهُ. قَالَ فَكَيْفَ أَظْهَرَهُ لَكَ. فَقَالَ إِنِّي لَمْ أَرَهُ بِعَيْنَيَّ ٱلْحِسِّيَّتَيْنِ وَلٰكِنْ بِأَعْيُنِ فَهْمِي[2] وَذٰلِكَ أَنَّنِي كُنْتُ لَا أَزَالُ أُجَدِّدُ ٱلنَّظَرَ فِي سَمَاجَةِ خَطَايَايَ وَأَتَأَمَّلُ فِي شَنَاعَتِهَا ٱلْهَائِلَةِ إِلَى أَنْ كُنْتُ ذَاتَ يَوْمٍ كَذٰلِكَ فَحَكَمْتُ عَلَى نَفْسِي بِٱلْعِقَابِ ٱلْأَبَدِيِّ وَغَشِيَتْنِي هُنَالِكَ وَحْشَةٌ لَمْ

---

(١) حب ٢:٣ (٢) اف ١:١٨ و١٩

أَجِدْهَا قَبْلَ ذٰلِكَ قَطْ وَبَيْنَمَا أَنَا عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالَةِ إِذْ تَرَاءَى لِي أَنَّ يَسُوعَ يَنْظُرُ إِلَيَّ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَيَقُولُ آمِنْ بِٱلرَّبِّ يَسُوعَ فَتَخْلُصَ[١] فَقُلْتُ يَا رَبُّ أَنَا خَاطِئٌ وَخَطَايَايَ عَظِيمَةٌ جِدًّا. فَقَالَ تَكْفِيكَ نِعْمَتِي[٢] فَقُلْتُ يَا سَيِّدِي مَا هُوَ ٱلْإِيمَانُ. فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلَا يَجُوعُ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلَا يَعْطَشُ[٣] فَظَهَرَ لِي أَنَّ ٱلْإِيمَانَ بِهِ وَٱلْإِقْبَالَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَأَنَّ ٱلَّذِي يُقْبِلُ أَيِ ٱلَّذِي يَنْعَطِفُ قَلْبُهُ نَحْوَ ٱلْخَلَاصِ ٱلَّذِي بِٱلْمَسِيحِ هُوَ ٱلْمُؤْمِنُ بِٱلْمَسِيحِ حَقًّا. فَفَاضَتْ عَيْنَايَ بِٱلدُّمُوعِ فَقُلْتُ يَا سَيِّدِي هَلْ يُسْتَطَاعُ لِمَنْ كَانَ عَظِيمَ ٱلْخَطَايَا مِثْلِي أَنْ يَنَالَ نِعْمَةً مِنْكَ وَيَخْلُصَ بِكَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلَا أَطْرَحُهُ خَارِجًا[٤] فَقُلْتُ وَمَاذَا يَجِبُ عَلَى عَبْدِكَ أَنْ يَعْتَبِرَ إِذَا أَقْبَلَ إِلَيْكَ لِيَكُونَ إِيمَانُهُ مُسْتَقِيمًا. فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّ خُلَاصَةَ ٱلْإِيمَانِ هِيَ أَنَّ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحَ إِنَّمَا جَاءَ إِلَى ٱلدُّنْيَا لِكَيْ يُخَلِّصَ ٱلْخَطَأَةَ[٥] وَهُوَ غَايَةُ سُنَّةِ ٱلتَّوْرَاةِ بِرًّا لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ وَهُوَ أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَقَامَ لِيُبَرِّرَنَا[٦] وَأَحَبَّنَا وَغَسَلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ[٧] وَهُوَ ٱلْوَسِيطُ

---

(١) اع ١٦:٣١ (٢) ٢كو١٢:٩ (٣) يو٦:٣٥ (٤) يو٦:٣٧
(٥) ١تي١:١٥ (٦) رو٤:١٥ و٢٥ (٧) رؤ١:٥

بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱللهِ (١) وَهُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ يَشْفَعُ فِينَا (٢) فَنَتَجَ لِي مِنْ هٰذِهِ ٱلْعِبَارَاتِ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَطْلُبَ ٱلْبِرَّ مِنْهُ وَأَنَّ غُفْرَانَ خَطَايَايَ بِدَمِهِ وَأَنَّ مَا فَعَلَهُ بِطَاعَتِهِ لِشَرِيعَةِ أَبِيهِ وَخُضُوعِهِ لِقِصَاصِهَا لَمْ يَكُنْ لِأَجْلِ ذَاتِهِ بَلْ لِأَجْلِ مَنْ يَقْبَلُهُ بِٱلشُّكْرِ كَخَلَاصِهِ. وَحِينَئِذٍ ٱمْتَلَأَ قَلْبِي سُرُورًا وَعَيْنَايَ دُمُوعًا وَفَاضَتْ عَوَاطِفُ قَلْبِي بِٱلْمَحَبَّةِ لِٱسْمِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ وَشَعْبِهِ وَطُرُقِهِ. قَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ إِنَّ هٰذَا هُوَ ظُهُورُ ٱلْمَسِيحِ لِنَفْسِكَ بِٱلْحَقِيقَةِ فَمَاذَا أَثَّرَ فِي قَلْبِكَ هٰذَا ٱلظُّهُورُ. فَقَالَ جَعَلَنِي أَرَى أَنَّ كُلَّ ٱلْعَالَمِ مَعَ كُلِّ بِرِّهِ تَحْتَ حُكْمِ ٱلْقِصَاصِ وَأَنَّ ٱللهَ ٱلْآبَ يَقْدِرُ أَنْ يُبَرِّرَ ٱلْخَاطِئَ وَلَا يَتَظَلَّمُ عَدْلُهُ لِأَنَّ ٱبْنَهُ ٱلْحَبِيبَ قَدْ فَدَاهُ بِدَمِهِ ٱلْكَرِيمِ وَصَيَّرَنِي أَحْزَى جِدًّا مِنْ سَمَاجَةِ سِيرَتِي ٱلسَّابِقَةِ وَأُحِبُّ ٱلْحَيَاةَ ٱلْمُقَدَّسَةَ وَأَفْعَلُ مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَهُ لِإِكْرَامِ ٱسْمِ ٱلرَّبِّ يَسُوعَ وَمَجْدِهِ وَأُرِيدُ أَنْ أَسْفِكَ دَمِي إِلَى آخِرِ قَطْرَةٍ لِأَجْلِهِ (٣)

---

(١) اتي ٢:٥ (٢) عب ٢٥:٧

(٣) ان الايمان بالمسيح كما تعلمنا الكتب الالهية يكشف لانفسنا عن ذات الله ويقدّمهُ الهًا عادلاً مخلصًا. ولا شك ان مثل هذا الايمان يجعل صاحبهُ يحزن من جرى خطاياهُ ولاسيما الخطايا التي غفرها الله لهُ ويكشف لهُ عن

قَالَ صَاحِبُ ٱلرُّؤْيَا ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّ ٱلرَّاعِيَ ٱلْتَفَتَ إِلَى خَلْفِهِ فَرَأَى ٱلْجَهْلَ ٱلَّذِي كَانَا قَدْ تَرَكَاهُ وَهُوَ يَتْبَعُهُمَا . فَقَالَ لِلْمَسِيحِيِّ ٱنْظُرْ صَاحِبَنَا كَيْفَ يَتَمَشَّى وَرَاءَنَا عَنْ بُعْدٍ . فَقَالَ أَنَا أَنْظُرُهُ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَرْغَبُ فِي مُرَافَقَتِنَا . فَقَالَ نَعَمْ وَلَكِنْ لَوْ كَانَ مَشَى مَعَنَا إِلَى هُنَا لَكَانَ ٱنْتَفَعَ بِصُحْبَتِنَا . قَالَ قَدْ قُلْتَ ٱلْحَقَّ وَلَكِنَّنِي أَظُنُّ أَنَّهُ يَعْتَقِدُ خِلَافَ ذٰلِكَ . فَقَالَ أَظُنُّ هٰذَا وَلَكِنْ فَلْنَنْتَظِرْهُ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْنَا . قَالَ فَٱنْتَظَرَاهُ وَلَمَّا دَنَا مِنْهُمَا قَالَ لَهُ ٱلْمَسِيحِيُّ لِمَاذَا تَخَلَّفْتَ وَرَاءَنَا يَا صَاحِ . فَقَالَ أُحِبُّ ٱلِٱنْفِرَادَ فِي ٱلْمَشْيِ أَكْثَرَ مِنَ ٱلْمُرَافَقَةِ إِلَّا إِذَا كَانَتْ كَمَا أَهْوَى . فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ لِلرَّاعِي سِرًّا أَمَا قُلْتُ لَكَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ مُرَافَقَتَنَا . ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلَى ٱلْجَهْلِ وَقَالَ لَهُ هَلُمَّ يَا أَخِي نَتَحَدَّثُ فِي هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ فَلَعَلَّكَ تَجِدُ فِي صُحْبَتِنَا مَا يَسُرُّكَ . أَخْبِرْنِي كَيْفَ أَنْتَ وَمَا حَالُ نَفْسِكَ مَعَ ٱللهِ ٱلْآنَ . فَقَالَ خَيْرٌ وَسَلَامَةٌ كَمَا أَظُنُّ لِأَنِّي دَائِمًا مُمْتَلِئٌ أَفْكَارًا صَالِحَةً تُعَزِّينِي وَأَنَا مَاشٍ فِي ٱلطَّرِيقِ قَالَ حَيَّاكَ ٱللهُ فَمَا هِيَ هٰذِهِ ٱلْأَفْكَارُ ٱلصَّالِحَةُ . فَقَالَ هِيَ ٱلْأَفْكَارُ فِي ٱللهِ وَٱلسَّمَاءِ .

منظر عمانوئيل البديع ورتبتهِ السامية ويجعل في قلبهِ محبةً ورغبةً حارَّة لتمجيدهِ

قَالَ لَيْسَ هٰذَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ لِأَنَّ أَرْوَاحَ ٱلشَّيَاطِينِ وَأَنْفُسَ ٱلْهَالِكِينَ تَسْتَعْمِلُ هٰذِهِ ٱلْأَفْكَارَ. فَقَالَ نَعَمْ وَلٰكِنْ أَنَا أَفْتَكِرُ فِي ذٰلِكَ وَأَشْتَهِيهِ. قَالَ وَهٰكَذَا يَفْعَلُ كَثِيرُونَ مِمَّنْ لَا يَحْصُلُونَ عَلَيْهِ فَقَدْ قَالَ سُلَيْمَانُ ٱلْحَكِيمُ إِنَّ نَفْسَ ٱلْكَسْلَانِ تَرْغَبُ وَتَشْتَهِي وَلٰكِنَّهَا لَا تَحُوزُ شَيْئًا (١) فَقَالَ أَنَا أَشْتَهِيهِ وَأَتْرُكُ كُلَّ شَيْءٍ لِأَجْلِهِ قَالَ إِنَّنِي أَشُكُّ فِي هٰذَا لِأَنَّ تَرْكَ كُلِّ شَيْءٍ أَمْرٌ صَعْبٌ أَكْثَرُ مِمَّا يَظُنُّ كَثِيرُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَفَضْلًا عَنْ ذٰلِكَ فَكَيْفَ عَلِمْتَ أَنَّكَ قَدْ تَرَكْتَ كُلَّ شَيْءٍ لِأَجْلِ ٱللهِ وَٱلسَّمَاءِ. فَقَالَ إِنَّ قَلْبِي يَقُولُ لِي هٰكَذَا. قَالَ إِنَّ ٱلْحَكِيمَ يَقُولُ مَنْ يَتَّكِلُ عَلَى قَلْبِهِ فَهُوَ جَاهِلٌ (٢) فَقَالَ ذٰلِكَ قِيلَ عَنِ ٱلْقَلْبِ ٱلرَّدِيءِ وَأَمَّا قَلْبِي فَصَالِحٌ. قَالَ فَكَيْفَ تُثْبِتُ ذٰلِكَ. فَقَالَ إِنَّهُ يُعَزِّينِي بِرَجَاءِ ٱلْخَلَاصِ. قَالَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ غِشًّا مِنْهُ لِأَنَّ ٱلْقَلْبَ قَدْ يَجْلُبُ تَعْزِيَاتٍ فِي مَا لَا يَحِقُّ ٱلرَّجَاءُ فِيهِ. فَقَالَ إِنَّ قَلْبِي يُطَابِقُ حَيَاتِي فِي ٱلصَّلَاحِ وَٱلسَّلَامَةِ وَذٰلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ رَجَائِي ثَابِتٌ. قَالَ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ بِهٰذِهِ ٱلْمُطَابَقَةِ. فَقَالَ قَلْبِي يَشْهَدُ لِي بِهَا

---

(١) ام ١٣: ٤ (٢) ام ٢٨: ٢٦

قَالَ إِنْ لَمْ تَشْهَدْ كَلِمَةُ ٱللهِ فِي مِثْلِ هٰذَا فَٱلشَّهَادَاتُ ٱلْأُخَرُ لَا يُعْتَدُّ بِهَا. فَقَالَ أَلَيْسَ ٱلْقَلْبُ ذُو ٱلْأَفْكَارِ ٱلصَّالِحَةِ صَالِحًا أَوْ لَيْسَتِ ٱلْعِيشَةُ ٱلْمُطَابِقَةُ لِوَصَايَا ٱللهِ جَيِّدَةً. قَالَ نَعَمْ وَلٰكِنِ ٱمْتِلَاكُهُمَا بِٱلْحَقِيقَةِ شَيْءٌ وَٱلِٱفْتِكَارُ فِيهِمَا شَيْءٌ آخَرُ. فَقَالَ أَفِدْنِي مَا هِيَ ٱلْأَفْكَارُ ٱلَّتِي تَحْسَبُهَا صَالِحَةً وَٱلْعِيشَةُ ٱلَّتِي تَعُدُّهَا مُطَابِقَةً لِوَصَايَا ٱللهِ. قَالَ إِنَّ ٱلْأَفْكَارَ ٱلصَّالِحَةَ تَكُونُ عَلَى أَنْوَاعٍ فَمِنْهَا مَا يُلَاحِظُ ذَوَاتِنَا وَمِنْهَا مَا يُلَاحِظُ ٱللهَ وَبَعْضُهَا يُلَاحِظُ ٱلْمَسِيحَ وَبَعْضُهَا يُلَاحِظُ أَشْيَاءَ أُخَرَ. فَقَالَ مَا هِيَ ٱلْأَفْكَارُ ٱلصَّالِحَةُ ٱلَّتِي تُلَاحِظُ ذَوَاتِنَا. قَالَ هِيَ ٱلَّتِي تُوَافِقُ كَلِمَةَ ٱللهِ. قَالَ فَمَتَى تُوَافِقُهَا. فَقَالَ حِينَمَا نَحْكُمُ عَلَى ذَوَاتِنَا بِمَا تَحْكُمُ بِهِ فَإِنَّهَا تَقُولُ لَيْسَ بَارٌّ وَلَا وَاحِدٌ وَلَا مَنْ يَعْمَلُ صَلَاحًا[1] وَإِنَّ كُلَّ فِكْرِ ٱلْبَشَرِ مَائِلٌ إِلَى ٱلسُّوءِ فِي كُلِّ أَوَانٍ[2] وَإِنَّ فِكْرَ قَلْبِ ٱلْإِنْسَانِ مَائِلٌ إِلَى ٱلشَّرِّ مُنْذُ صِبَاهُ[3] فَمَتَى حَكَمْنَا عَلَى ذَوَاتِنَا هٰكَذَا شَاعِرِينَ بِذٰلِكَ تَكُونُ أَفْكَارُنَا صَالِحَةً مُوَافِقَةً لِكَلِمَةِ ٱللهِ. قَالَ لَا أُصَدِّقُ أَنَّ قَلْبِي رَدِيءٌ بِهٰذَا ٱلْمِقْدَارِ[4] فقال هٰذَا يَدُلُّ

---

(١) رو٣: ١٠ (٢) تك ٦: ٥ (٣) تك ٨: ٢١ (٤) هذا يشير

عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَكَ قَطُّ فِكْرٌ صَالِحٌ بِخُصُوصِ ذَاتِكَ طُولَ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. ثُمَّ إِنَّ ٱلْكَلِمَةَ تَحْكُمُ عَلَى طُرُقِنَا أَيْضًا كَمَا تَحْكُمُ عَلَى قُلُوبِنَا وَمَتَى ٱتَّفَقَتْ أَفْكَارُ قُلُوبِنَا وَطُرُقُنَا مَعَ حُكْمِ ٱلْكَلِمَةِ عَلَيْهَا تَكُونُ قُلُوبُنَا وَطُرُقُنَا صَالِحَةً. قَالَ أَوْضِحْ لِي مَعْنَاكَ يَا أَخِي. فَقَالَ إِنَّ كَلِمَةَ ٱللهِ تَقُولُ إِنَّ سُبُلَ ٱلْإِنْسَانِ مُعْوَجَّةٌ وَمَنَاهِجَهُ مَذْمُومَةٌ شِرِّيرَةٌ وَتَقُولُ أَيْضًا إِنَّهُمْ بِٱلطَّبِيعَةِ بَعِيدُونَ عَنِ ٱلطَّرِيقِ ٱلصَّالِحَةِ غَيْرُ عَارِفِينَ بِهَا فَحِينَمَا يَفْتَكِرُ ٱلْإِنْسَانُ هٰكَذَا فِي سُبُلِهِ بِصِحَّةِ فِكْرٍ وَتَوَاضُعِ قَلْبٍ تَكُونُ حِينَئِذٍ أَفْكَارُهُ بِطُرُقِهِ صَالِحَةً لِأَنَّهَا تَكُونُ مُطَابِقَةً حُكْمَ كَلِمَةِ ٱللهِ. قَالَ وَمَا هِيَ ٱلْأَفْكَارُ ٱلصَّالِحَةُ فِي ٱللهِ. فَقَالَ كَمَا قُلْتُ سَابِقًا بِخُصُوصِ أَفْكَارِنَا فِي ذَوَاتِنَا هٰكَذَا أَقُولُ بِخُصُوصِ أَفْكَارِنَا فِي ٱللهِ أَيْضًا إِنَّهَا تَكُونُ صَالِحَةً عِنْدَمَا تَكُونُ مُطَابِقَةً لِمَا تَقُولُهُ ٱلْكَلِمَةُ أَيْ عِنْدَمَا نَفْتَكِرُ فِي وُجُودِهِ وَصِفَاتِهِ كَمَا عَلَّمَتْنَا ٱلْكَلِمَةُ وَأَنَا لَا أَقْدِرُ ٱلْآنَ أَنْ

الى ان النور السماوي لم يشرق على قلبهِ ليرى شدَّة رداءتهِ وبالنتيجة يدل على ان القلب يغشُّ الجهال من المسيحيين لانهُ يجعلهم يتوهمون انهم قد امتلكوا الصلاح التام ويمنعهم من الاتكال المحض على كفَّارة المسيح لاجل الغفران وعلى برّهِ فقط لاجل التبرُّر والحياة (١) مز ١٣٤: ٥ وام ٢٠: ١ ورو ٣: ١١

أَسْتَوْفِيَ ٱلْكَلَامَ عَلَى ذٰلِكَ وَلٰكِنْ فَلْنَتَكَلَّمْ فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِنَا فِي أُمُورِهِ تَعَالَى فَنَقُولُ إِنَّ أَفْكَارَنَا تَكُونُ مُسْتَقِيمَةً فِي ٱللهِ عِنْدَ مَا نَفْتَكِرُ أَنَّهُ يَعْرِفُنَا أَحْسَنَ مِمَّا نَعْرِفُ ذَوَاتِنَا وَيَقْدِرُ أَنْ يَرَى ٱلْخَطِيئَةَ فِينَا حِينَمَا أَوْ حَيْثُمَا لَا نَرَاهَا . وَعِنْدَمَا نَفْتَكِرُ أَنَّهُ يَعْرِفُ أَفْكَارَنَا ٱلْبَاطِنَةَ وَأَنَّ قُلُوبَنَا مَعَ كُلِّ أَعْمَاقِهَا مَبْسُوطَةٌ دَائِمًا أَمَامَ عَيْنَيْهِ . وَعِنْدَمَا نَفْتَكِرُ أَنَّ كُلَّ بِرِّنَا يَسْجُ فِي حَضْرَتِهِ وَأَنَّهُ لَا يُطِيقُ أَنْ يَرَانَا وَاقِفِينَ قُدَّامَهُ بِٱلِٱتِّكَالِ وَلَوْ عَلَى أَحْسَنِ أَعْمَالِنَا . قَالَ أَتَظُنُّ أَنَّنِي جَاهِلٌ بِهٰذَا ٱلْمِقْدَارِ حَتَّى أَفْتَكِرَ أَنَّ ٱللهَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَى أَكْثَرَ مِنِّي أَوْ أَنَّنِي أَقْدِرُ أَنْ أُتَمِّمَ وَصَايَاهُ بِأَفْضَلِ أَعْمَالِي ٱلصَّالِحَةِ . فَقَالَ وَكَيْفَ تَفْتَكِرُ فِي شَأْنِ هٰذِهِ ٱلْقَضِيَّةِ . قَالَ أَنَا أَقُولُ بِٱلِٱخْتِصَارِ إِنَّنِي أَفْتَكِرُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أُؤْمِنَ بِٱلْمَسِيحِ لِلتَّبْرِيرِ . فَقَالَ يَا لِلْعَجَبِ كَيْفَ تَفْتَكِرُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُؤْمِنَ بِٱلْمَسِيحِ وَأَنْتَ لَا تَرَى ٱحْتِيَاجَكَ إِلَيْهِ وَلَا خَطَايَاكَ ٱلْأَصْلِيَّةَ أَوِ ٱلْفِعْلِيَّةَ لٰكِنَّكَ تَثِقُ بِنَفْسِكَ وَبِعَمَلِكَ كَأَنَّكَ لَا تَرَى ٱفْتِقَارًا إِلَى بِرِّ ٱلْمَسِيحِ ٱلشَّخْصِيِّ لِكَيْ يُبَرِّرَكَ قُدَّامَ ٱللهِ . فَكَيْفَ نَقُولُ إِنَّكَ تُؤْمِنُ بِٱلْمَسِيحِ . قَالَ إِنِّي أُؤْمِنُ مَعَ كُلِّ ذٰلِكَ بِٱلْحَقِيقَةِ .

فَقَالَ كَيْفَ تُؤْمِنُ. قَالَ إِنِّي أُومِنُ أَنَّ ٱلْمَسِيحَ مَاتَ لِأَجْلِ ٱلْخَطَاةِ وَأَنِّي أَتَبَرَّرُ أَمَامَ ٱللهِ مِنَ ٱللَّعْنَةِ بِقَبُولِهِ مِنِّي ٱلطَّاعَةَ لِشَرِيعَتِهِ. أَوْ أَنَّ ٱلْمَسِيحَ يَجْعَلُ وَاجِبَاتِي ٱلدِّينِيَّةَ مَقْبُولَةً مِنْ أَبِيهِ بِوَاسِطَةِ قُوَّةِ ٱسْتِحْقَاقَاتِهِ وَهٰكَذَا أَتَبَرَّرُ(١) فَقَالَ أُرِيدُ أَنْ أُجِيبَكَ عَنْ إِيمَانِكَ هٰذَا. فَأَقُولُ أَوَّلًا إِنَّكَ تُؤْمِنُ إِيمَانًا وَهْمِيًّا لِأَنَّ هٰذَا ٱلْإِيمَانَ غَيْرُ مَذْكُورٍ قَطْعًا فِي كَلِمَةِ ٱللهِ. ثَانِيًا إِنَّكَ تُؤْمِنُ إِيمَانًا كَاذِبًا لِأَنَّكَ تَأْخُذُ ٱلتَّبْرِيرَ مِنْ بِرِّ ٱلْمَسِيحِ ٱلشَّخْصِيِّ وَتُضِيفُهُ إِلَى بِرِّكَ. ثَالِثًا إِنَّ هٰذَا ٱلْإِيمَانَ لَا يَجْعَلُ ٱلْمَسِيحَ مُبَرِّرًا لَكَ بَلْ مُبَرِّرًا لِأَفْعَالِكَ وَمُبَرِّرًا لَكَ لِأَجْلِ أَفْعَالِكَ وَهٰذَا بَاطِلٌ. رَابِعًا إِنَّ هٰذَا ٱلْإِيمَانَ غَاشٌّ حَتَّى إِنَّهُ سَيُلْقِيكَ تَحْتَ ٱلْغَضَبِ فِي يَوْمِ ٱللهِ ٱلرَّهِيبِ. لِأَنَّ ٱلْإِيمَانَ ٱلْمُبَرِّرَ يَجْعَلُ ٱلنَّفْسَ عِنْدَ مَا تَشْعُرُ بِحَالَتِهَا ٱلْمُهْلِكَةِ بِوَاسِطَةِ ٱلشَّرِيعَةِ تَلْتَجِئُ إِلَى بِرِّ ٱلْمَسِيحِ. وَهٰذَا ٱلْبِرُّ لَيْسَ هُوَ فِعْلَ نِعْمَةٍ يَجْعَلُ طَاعَتَكَ مَقْبُولَةً عِنْدَ ٱللهِ لِأَجْلِ ٱلتَّبْرِيرِ لٰكِنَّهُ إِطَاعَةُ ٱلْمَسِيحِ ٱلشَّخْصِيَّةُ لِلنَّامُوسِ بِعَمَلِهِ وَٱحْتِمَالِهِ لِأَجْلِنَا

---

(١) ان كلام الجهل يطابق كلام كثيرين من المسيحيين بالاسم الذين لا ينكرون برّ المسيح بالفاظٍ صريحة ولكن بسبب الشروط التي يضعونها يجعلونهُ عادم التأثير اصلاً

مَا يَطْلُبُهُ ٱلنَّامُوسُ مِنَّا . فَأَقُولُ إِنَّ هٰذَا ٱلْبِرَّ يَقْبَلُهُ ٱلْإِيمَانُ ٱلْحَقِيقِيُّ وَبِتُرْسِهِ يُحَامِي عَنِ ٱلنَّفْسِ وَيُحْضِرُهَا قُدَّامَ ٱللهِ مِنْ غَيْرِ عَيْبٍ مَقْبُولَةً وَمُعْتَقَةً مِنَ ٱلْعِقَابِ . قَالَ يَا لِلْعَجَبِ هَلْ تُرِيدُ أَنْ نَتَّكِلَ عَلَى مَا فَعَلَهُ ٱلْمَسِيحُ بِنَفْسِهِ مِنْ دُونِنَا . إِنَّ هٰذَا ٱلرَّأْيَ يُطْلِقُ عِنَانَ شَهَوَاتِنَا وَيَأْذَنُ لَنَا أَنْ نَعِيشَ كَمَا نُرِيدُ . لِأَنَّنَا إِذَا كُنَّا نَقْدِرُ أَنْ نَتَبَرَّرَ بِبِرِّ ٱلْمَسِيحِ ٱلشَّخْصِيِّ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ بِوَاسِطَةِ إِيمَانِنَا بِهِ فَمَاذَا يَضُرُّنَا كَيْفَمَا عَمِلْنَا فَقَالَ صَدَقَ ٱلَّذِي سَمَّاكَ ٱلْجَهْلَ وَجَوَابُكَ هٰذَا يُثْبِتُ صِدْقَهُ . وَأَنْتَ تَجْهَلُ مَاهِيَّةَ ٱلْبِرِّ ٱلْمُبَرِّرِ وَلَا تَعْلَمُ كَيْفَ تَحْفَظُ نَفْسَكَ بِٱلْإِيمَانِ بِهِ مِنْ غَضَبِ ٱللهِ وَتَجْهَلُ أَيْضًا تَأْثِيرَاتِ ٱلْإِيمَانِ بِبِرِّ ٱلْمَسِيحِ ٱلْحَقِيقَةَ ٱلَّتِي تُخْضِعُ ٱلْقَلْبَ وَتُمِيلُهُ إِلَى ٱللهِ بِٱلْمَسِيحِ لِيُحِبَّ ٱسْمَهُ وَكَلِمَتَهُ وَطُرُقَهُ وَشَعْبَهُ لَا كَمَا تَتَوَهَّمُ أَنْتَ بِجَهْلِكَ

فَقَالَ ٱلرَّاجِي سَلْهُ هَلِ ٱسْتَعْلَنَ لَهُ ٱلْمَسِيحُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ حِينًا مَا . قَالَ ٱلْجَهْلُ أَنْتَ رَجُلٌ تَطْلُبُ ٱلْاِسْتِعْلَانَ وَأَنَا أَرَى أَنَّ كُلَّ مَا تَقُولُهُ أَنْتَ وَيَقُولُهُ غَيْرُكَ فِي شَأْنِ هٰذِهِ ٱلْقَضِيَّةِ لَيْسَ إِلَّا نَتَائِجَ جُنُونٍ . فَقَالَ ٱلرَّاجِي لِمَاذَا تَقُولُ هٰكَذَا أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ إِنَّ

ٱلْمَسِيحَ مَحْجُوبٌ عَنْ إِدْرَاكِ كُلِّ ٱلطَّبِيعَةِ ٱلْبَشَرِيَّةِ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْرِفَهُ أَحَدٌ مُطْلَقًا إِلَّا مَنْ أَظْهَرَهُ ٱلْآبُ لَهُ . قَالَ ٱلْجَهْلُ إِنَّ هٰذَا إِيمَانُكُمَا لَا إِيمَانِي وَلٰكِنَّنِي لَا أَرْتَابُ فِي أَنَّ إِيمَانِي جَيِّدٌ كَإِيمَانِكُمَا وَلَوْ كَانَ رَأْسِي خَالِيًا مِنَ ٱلتَّخَيُّلَاتِ بِخِلَافِ رَأْسَيْكُمَا . فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ لِلرَّاجِي يَا أَخِي دَعْنِي أُكَلِّمُهُ كَلِمَةً أُخْرَى . وَٱلْتَفَتَ إِلَى ٱلْجَهْلِ وَقَالَ لَهُ إِنَّهُ لَا يَلِيقُ بِكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي شَأْنِ هٰذِهِ ٱلْقَضِيَّةِ مُسْتَخِفًّا بِهَا لِأَنَّنِي أُثْبِتُ بِجَرَاءَةٍ كَمَا فَعَلَ رَفِيقِي ٱلصَّالِحُ أَنَّهُ لَا أَحَدَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحَ إِلَّا بِٱلْإِسْتِعْلَانِ مِنَ ٱلْآبِ وَأَنَّ ٱلْإِيمَانَ ٱلَّذِي بِهِ تَتَمَسَّكُ ٱلنَّفْسُ بِٱلْمَسِيحِ إِذَا كَانَ مُسْتَقِيمًا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مِنْ فِعْلِ قُوَّتِهِ ٱلْفَائِقَةِ ٱلْجَلَالِ (١) فَإِنِّي أَرَاكَ أَيُّهَا ٱلْجَهْلُ ٱلْمِسْكِينُ جَاهِلًا عَمَلَ هٰذَا ٱلْإِيمَانِ فَٱسْتَيْقِظْ إِذًا وَٱنْظُرْ شَقَاوَتَكَ وَٱهْرُبْ إِلَى ٱلرَّبِّ يَسُوعَ فَتَخْلُصَ مِنَ ٱلْعِقَابِ بِبِرِّ ٱلَّذِي هُوَ بِرُّ ٱللهِ لِأَنَّهُ هُوَ ٱللهُ . فَقَالَ ٱلْجَهْلُ هٰذَا بَحْثٌ طَوِيلٌ وَأَرَاكُمَا تَسْتَعْجِلَانِ فِي مَسِيرِكُمَا وَأَنَا لَا أَقْدِرُ أَنْ أُرَافِقَكُمَا فَٱسْبِقَانِي

(١) مت ١١ : ٢٧ و ١ كو ١٢ : ٣ و اف ١ : ١٧ — ١٩

قَالَ فَتَرَكَاهُ وَجَعَلَا يَتَرَنَّمَانِ قَائِلَيْنِ شِعْرًا

يَا أَيُّهَا ٱلْجَهْلُ أَتَبْقَى فِي ٱلْحُمَقْ
وَتَرْفِضُ ٱلنُّصْحَ ٱلَّذِي مِنَّا صَدَقْ
إِنْ لَمْ تَزَلْ تَرْفِضُهُ كَمَا سَبَقْ
فَسَتَرَى ٱلشَّرَّ قَرِيبًا قَدْ طَرَقْ
أُذْكُرْ وَلَا تَجْزَعْ فَقَوْلُ ٱلْحَقِّ حَقّ
يُنْجِيكَ فَٱسْمَعْهُ وَثِقْ كَمَنْ وَثَقْ
وَٱعْلَمْ لَئِنْ ظَلِلْتَ تَمْشِي فِي ٱلْغَسَقْ
فَأَنْتَ مَدْفُوعٌ بِهِ إِلَى ٱلْغَرَقْ
فِي بَحْرِ نَارٍ طَبَقًا عَلَى طَبَقْ

قَالَ صَاحِبُ ٱلرُّؤْيَا وَرَأَيْتُ ٱلْمَسِيحِيَّ وَٱلرَّاجِيَ بَعْدَ ذٰلِكَ تَقَدَّمَا وَحْدَهُمَا وَكَانَ ٱلْجَهْلُ يَمْشِي وَرَاءَهُمَا مُتَبَاطِئًا . فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ لِرَفِيقِهِ إِنِّي أَشْفَقُ كَثِيرًا عَلَى هٰذَا ٱلرَّجُلِ ٱلْمِسْكِينِ لِأَنَّ عَاقِبَتَهُ رَدِيئَةٌ . فَقَالَ ٱلْوَيْلُ لَهُ وَإِنَّهُ يُوجَدُ أَيْضًا فِي بَلَدِنَا أُنَاسٌ كَثِيرُونَ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالِ بُيُوتًا كَامِلَةً وَأَسْوَاقًا بِتَمَامِهَا حَتَّى

مِنَ ٱلسَّائِحِينَ أَيْضًا. وَإِذَا كَانَ فِي بَلَدِنَا أُنَاسٌ كَثِيرُونَ كَهٰذَا فَكَمْ تَظُنُّ أَنَّهُ يَكُونُ فِي بَلَدِهِ. قَالَ حَقًّا إِنَّ ٱلْكَلِمَةَ قَالَتْ أُغْمِضُ عُيُونَهُمْ لِئَلَّا يُبْصِرُوا[1] وَلٰكِنْ لِأَنَّنَا ٱلْآنَ وَحْدَنَا نَتَحَدَّثُ فِي هٰذِهِ ٱلْقَضِيَّةِ فَمَاذَا نَفْتَكِرُ فِي أُنَاسٍ مِثْلِ هٰؤُلَاءِ. أَتَظُنُّ لَيْسَ لَهُمْ أَبَدًا أَلَمُ ٱلْخَطِيئَةِ وَلَا خَوْفُ خَطَرِهَا. فَقَالَ ٱلْجَوَابُ إِلَيْكَ عَنْ هٰذِهِ ٱلْمَسْئَلَةِ لِأَنَّكَ أَكْبَرُ مِنِّي سِنًّا. قَالَ إِذًا أَقُولُ إِنِّي أَظُنُّهُمْ يَشْعُرُونَ أَحْيَانًا وَلٰكِنْ لِأَنَّهُمْ جُهَّالٌ طَبْعًا لَا يَفْهَمُونَ أَنَّ مِثْلَ هٰذَا ٱلْأَلَمِ يَحْدُثُ لِأَجْلِ إِصْلَاحِهِمْ وَلِذٰلِكَ يَطْلُبُونَ بِحَمَاقَةٍ أَنْ يُخْمِدُوهُ وَيُوَاظِبُونَ عَلَى مُخَادَعَةِ نُفُوسِهِمْ فِي طَرِيقِ شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ. فَقَالَ أَنَا أَرَى كَمَا تَقُولُ أَيْ أَنَّ ٱلْخَوْفَ يُؤُولُ كَثِيرًا إِلَى نَفْعِ ٱلنَّاسِ وَيَجْعَلُهُمْ مُسْتَقِيمِينَ فِي أَوَّلِ سِيَاحَتِهِمْ. قَالَ نَعَمْ إِنَّهُ يَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ إِذَا كَانَ حَقِيقِيًّا لِأَنَّ ٱلْكَلِمَةَ تَقُولُ بَدْءُ ٱلْحِكْمَةِ مَخَافَةُ ٱلرَّبِّ[2] فَقَالَ كَيْفَ تُمَيِّزُ ٱلْخَوْفَ ٱلْحَقِيقِيَّ. قَالَ إِنَّ ٱلْخَوْفَ ٱلْحَقِيقِيَّ يُبَيَّنُ بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ. ٱلْأَوَّلُ بَدَاءَتُهُ فَإِنَّهُ يَصْدُرُ مِنَ ٱلْأَلَمِ لِلْخَطِيئَةِ ثَابِتَةٍ مُثْمِرَةِ ٱلْخَلَاصِ.

---

(١) يو ١٢: ٤٠ (٢) اي ٢٨: ٢٨ ومز ١١١: ١٠ وام ١: ٧ و٩: ١٠

ٱلثَّانِي إِمَالَتُهُ ٱلنَّفْسَ إِلَى ٱلتَّمَسُّكِ بِٱلْمَسِيحِ لِأَجْلِ ٱلْخَلَاصِ .
ٱلثَّالِثُ تَوْلِيدُهُ فِي ٱلنَّفْسِ عَلَى ٱلدَّوَامِ ٱحْتِرَامًا عَظِيمًا لِلّٰهِ وَكَلِمَتِهِ وَطُرُقِهِ وَحِفْظُهُ لَهَا مُنْسَحِقَةً وَجَعْلُهُ إِيَّاهَا تَخَافُ أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا إِلَى ٱلْأَشْيَاءِ ٱلَّتِي تُهِينُهُ وَتُعْدِمُ سَلَامَتَهَا وَتُحْزِنُ ٱلرُّوحَ أَوْ تَجْعَلُ ٱلْعَدُوَّ يَتَكَلَّمُ بِٱلْهُزْءِ . قَالَ قَدْ أَصَبْتَ وَلٰكِنْ أَسْأَلُكَ هَلْ قَرُبْنَا مِنَ ٱلْخُرُوجِ عَنِ ٱلْأَرْضِ ٱلْمَسْحُورَةِ . فَقَالَ وَمَا بَالُكَ تَسْأَلُ عَنْ هٰذَا أَلَعَلَّكَ ضَجِرْتَ مِنْ هٰذَا ٱلْخِطَابِ . قَالَ كَلَّا وَلٰكِنْ أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ أَيْنَ نَحْنُ . فَقَالَ قَدْ بَقِيَ لَنَا مِيلَانِ حَتَّى نَخْرُجَ مِنْهَا . وَلٰكِنْ دَعْنَا نَرْجِعُ إِلَى مَوْضُوعِنَا . فَنَقُولُ أَنَّ ٱلْجُهَّالَ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ هٰذِهِ ٱلْآلَامَ ٱلَّتِي تَحْدُثُ لِتَخْوِيفِهِمْ هِيَ لِأَجْلِ مَنْفَعَتِهِمْ وَلِذٰلِكَ يَطْلُبُونَ تَخْفِيفَهَا . قَالَ وَكَيْفَ يَطْلُبُونَ ذٰلِكَ . فَقَالَ أَوَّلًا إِنَّ هٰذِهِ ٱلتَّخْوِيفَاتِ وَلَوْ كَانَتْ صَادِرَةً مِنَ ٱللّٰهِ فَإِنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهَا صَادِرَةٌ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ وَيُضَادُّونَهَا كَأَنَّهَا تُؤَدِّي إِلَى هَلَاكِهِمْ . ثَانِيًا يَظُنُّونَ أَنَّ هٰذِهِ ٱلتَّخْوِيفَاتِ تَحْدُثُ لِتَسْلُبَ إِيمَانَهُمْ حِينَمَا لَا يَكُونُ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ ٱلْإِيمَانِ . وَلِذٰلِكَ يُقَسُّونَ قُلُوبَهُمْ عَلَيْهَا . ثَالِثًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ لَا يَخَافُوا

وَلِذٰلِكَ يَطْمَئِنُّونَ فِي فِعْلِ ٱلشُّرُورِ. رَابِعًا يَرَوْنَ أَنَّ تِلْكَ ٱلتَّخْوِيفَاتِ تَعْرُضُ لِتَسْلُبَ مِنْهُمْ بَرَارَتَهُمُ ٱلْقَدِيمَةَ ٱلْوَهْمِيَّةَ وَلِذٰلِكَ يُقَاوِمُونَهَا بِكُلِّ ٱسْتِطَاعَتِهِمْ قَالَ أَنَا أَعْرِفُ بَعْضًا مِنْ هٰذِهِ ٱلْأُمُورِ لِأَنِّي قَبْلَ أَنْ عَرَفْتُ ذَاتِي كُنْتُ عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالَةِ. فَقَالَ ٱلْمَسِيحِيُّ لِنَتْرُكِ ٱلْآنَ قَرِينَنَا ٱلْجَهْلَ جَانِبًا وَنَتَكَلَّمْ فِي بَحْثٍ آخَرَ مُفِيدٍ. قَالَ إِنِّي أَرْغَبُ فِي ذٰلِكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِي وَلٰكِنْ أُرِيدُ أَنْ تَبْتَدِئَ أَنْتَ فِي ٱلْكَلَامِ. فَقَالَ نَعَمْ هَلْ عَرَفْتَ مُنْذُ عَشْرِ سَنَوَاتٍ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ ٱلْفَانِي يَسْكُنُ فِي نَوَاحِيكُمْ وَكَانَ يَتَظَاهَرُ بِحِفْظِ ٱلدِّيَانَةِ. قَالَ نَعَمْ أَعْرِفُهُ وَهُوَ كَانَ سَاكِنًا فِي دَارٍ بِجَانِبِ بَيْتِ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ ٱلْمُرْتَدُّ فِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا ٱلْخَائِبَةُ مِنَ ٱلنِّعْمَةِ تَبْعُدُ نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ عَنْ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا ٱلصِّدْقُ. فَقَالَ صَدَقْتَ وَإِنَّ هٰذَا ٱلرَّجُلَ ٱنْتَبَهَ مَرَّةً مِنْ غَفْلَتِهِ وَنَظَرَ شَيْئًا مِنْ شَرِّ خَطَايَاهُ وَمِنَ ٱلْأُجْرَةِ ٱلَّتِي تَسْتَحِقُّهَا. قَالَ إِنَّ رَأْيِي يُوَافِقُ رَأْيَكَ فِي ذٰلِكَ لِأَنَّهُ إِذْ كَانَ بَيْتِي لَمْ يَبْعُدْ عَنْهُ إِلَّا نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ كَانَ يَأْتِي إِلَيَّ مِرَارًا كَثِيرَةً بِدُمُوعٍ غَزِيرَةٍ وَكُنْتُ أُشْفِقُ عَلَيْهِ وَلَا أَيْأَسُ مِنْهُ بِٱلْكُلِّيَّةِ. وَلٰكِنْ قَدْ يَسُوغُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَقُولَ

لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ يَا رَبُّ يَا رَبُّ يَدْخُلُ مَلَكُوتَ ٱلسَّمٰوَاتِ (١)
فَقَالَ إِنَّهُ قَالَ لِي مَرَّةً إِنَّهُ عَزَمَ عَلَى ٱلسِّيَاحَةِ كَمَا نَحْنُ ٱلْآنَ
إِلَّا أَنَّهُ تَعَرَّفَ بَغْتَةً بِرَجُلٍ يُقَالُ لَهُ مُخَلِّصُ ذَاتِهِ وَحِينَئِذٍ صَارَ
غَرِيبًا مِنِّي. قَالَ إِذْ قَدْ أَخَذْنَا فِي ٱلْكَلَامِ عَنْهُ فَلْنَبْحَثْ قَلِيلًا عَنْ
سَبَبِ سُقُوطِهِ بَغْتَةً وَسُقُوطِ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ. فَقَالَ عَسَى ذٰلِكَ أَنْ
يَكُونَ نَافِعًا فَقُلْ مَا بَدَا لَكَ. قَالَ إِنَّ عِنْدِي لِذٰلِكَ أَرْبَعَةَ
أَسْبَابٍ ٱلْأَوَّلُ أَنَّ ٱلنَّاسَ ٱلَّذِينَ عَلَى هٰذِهِ ٱلصِّفَةِ وَلَوْ كَانَتْ
ضَمَائِرُهُمْ مُتَيَقِّظَةً عُقُولُهُمْ غَيْرُ مُتَغَيِّرَةٍ وَلِذٰلِكَ حِينَمَا يَعْدَمُونَ
أَلَمَ ٱلْخَطِيئَةِ يُفْقَدُ مَا يُحَرِّكُهُمْ إِلَى ٱلدِّيَانَةِ وَمِنْ ثَمَّ لَا بُدَّ أَنْ
يَرْتَدُّوا إِلَى حَالَتِهِمِ ٱلْقَدِيمَةِ كَمَا نَرَى مِثْلَ ذٰلِكَ فِي ٱلْكَلْبِ
ٱلَّذِي يَأْخُذُهُ ٱلْغَثَيَانُ لِفَسَادِ ٱلطَّعَامِ فِي مَعِدَتِهِ فَيَغْلِبُ عَلَيْهِ
ٱلْقَيْءُ مَا دَامَ كَذٰلِكَ حَتَّى يَسْتَفْرِغَ كُلَّ مَا فِي جَوْفِهِ كُرْهًا فَإِذَا
ذَهَبَ ٱلْغَثَيَانُ وَسَكَنَتْ مَعِدَتُهُ يَرْجِعُ إِلَى قَيْئِهِ فَيَلْحَسُهُ كُلَّهُ لِأَنَّ
ٱلْقَيْءَ لَمْ يَجْعَلْ تِلْكَ ٱلشَّهْوَةَ تُفَارِقُهُ. وَمِنْ ثَمَّ صَدَقَ مَا قِيلَ فِي
مِثْلِهِ إِنَّهُ كَٱلْكَلْبِ ٱلَّذِي عَادَ إِلَى قَيْئِهِ (٢) وَهٰكَذَا أَقُولُ إِنَّ هٰؤُلَاءِ

(١) مت ٧: ٢١ (٢) ٢ بط ٢: ٢٢

إِذَا كَانَتِ ٱلْحَرَارَةُ تَهِيجُ فِيهِمْ لِأَجْلِ ٱلسَّمَاءِ بِقُوَّةِ ٱلْحَوَاسِّ وَٱلْخَوْفِ مِنْ عَذَابَاتِ جَهَنَّمَ كَانُوا كَمَا تَفْتُرُ حَاسَّاتُهُمْ بِجَهَنَّمَ وَيَبْرُدُ خَوْفُهُمْ مِنَ ٱلْعِقَابِ كَذٰلِكَ يَفْتُرُ شَوْقُهُمْ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَتَبْرُدُ رَغْبَتُهُمْ فِي ٱلْخَلَاصِ. وَٱلْحَاصِلُ مِنْ ذٰلِكَ أَنَّهُمْ عِنْدَمَا يَزُولُ أَلَمُهُمْ وَيَذْهَبُ خَوْفُهُمْ تَمُوتُ رَغْبَتُهُمْ فِي ٱلسَّمَاءِ وَٱلسَّعَادَةِ ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى حَالَتِهِمِ ٱلْقَدِيمَةِ. ٱلسَّبَبُ ٱلثَّانِي أَنَّ لَهُمْ تَخْوِيفَاتٍ بَشَرِيَّةً تَسْتَوْلِي عَلَيْهِمْ وَهِيَ ٱلَّتِي تَعْرِضُ لَهُمْ مِنَ ٱلنَّاسِ. لِأَنَّ مَنْ يَخَافُ ٱلْإِنْسَانَ يَسْقُطُ سَرِيعًا (١) فَإِذًا وَلَوْ ظَهَرَ أَنَّهُمْ مُشْتَاقُونَ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَذٰلِكَ مَا دَامَ لَهَبُ ٱلنَّارِ حَوْلَ آذَانِهِمْ هُمْ مَعَ ذٰلِكَ مَتَى خَمَدَ ذٰلِكَ ٱلْخَوْفُ يَمِيلُونَ بِأَنْفُسِهِمْ إِلَى أَفْكَارٍ حَدِيثَةٍ قَائِلِينَ إِنَّهُ يَحْسُنُ بِنَا أَنْ نَكُونَ حُكَمَاءَ وَلَا نَسْتَعْجِلَ مُطَوِّحِينَ أَنْفُسَنَا فِي خَطَرِ خَسَارَةِ كُلِّ شَيْءٍ لِأَجْلِ مَا لَا نَعْلَمُ مَا هُوَ. أَوْ أَقَلُّ مَا يَكُونُ أَنَّا نَجْلُبُ عَلَى أَنْفُسِنَا ٱنْزِعَاجًا لَا يَلْزَمُنَا. وَبِمِثْلِ هٰذِهِ ٱلْأَفْكَارِ يُلْقُونَ أَنْفُسَهُمْ مَعَ ٱلْعَالَمِ ثَانِيَةً. ٱلسَّبَبُ ٱلثَّالِثُ أَنَّ ٱلْعَارَ ٱلْمُلَازِمَ لِلدِّيَانَةِ مَوْضُوعُ كَحَجَرِ عَثْرَةٍ فِي طَرِيقِهِمْ وَلِأَنَّهُمْ

---

(١) ام ٢٩: ٢٥

متكبّرون والديانة عندهم دنيئة يرجعون متى عدموا حاستهم بجهنّم والغضب الآتي إلى حالتهم القديمة. السبب الرابع أنّ الشعور بالخطيئة والخوف من قصاصها ثقيلان عندهم فلا يريدون أن يروا سوء حالهم قبل أن يصلوا إليه مع أنّهم لو أحبّوا ذلك النظر أوّلاً لربّما كان جعلهم يهربون إلى ملجإ الأبرار فيخلصون. ولكن بما أنّهم يهربون من الافتكار في الخطيئة والخوف من عواقبها متى سلموا من ذلك يختارون لهم طرقاً تقسّي قلوبهم. فقال قد أصبت في ما قلته وكلّ ذلك ناتج من عدم تغيير عقولهم وإرادتهم. ولذلك ليس هم إلّا كالمذنب الواقف بين يدي الحاكم وهو يرتعد ويتراءى أنّه تائب من كلّ قلبه. ولكن كلّ ذلك لأجل الخوف من القصاص لا لأجل كراهة الذنب الذي ثبت عليه. لأنّه إذا أطلق يرجع إلى الشرّ الذي اخذ به. ولكنّه لو غيّر ضميره لم يكن كذلك. فقال نعم وأنا قد بيّنت لك أسباب رجوعهم فبيّن أنت كيفيّته. قال حبًّا وكرامة. إنّهم أوّلاً يجتهدون في إبعاد أفكارهم عن ذكر الله والموت ويوم الدينونة. ثانيًا

يَطْرَحُونَ عَنْهُمْ بِالتَّدْرِيجِ ٱلْوَاجِبَاتِ ٱلْخُصُوصِيَّةَ كَٱلصَّلَاةِ ٱلسِّرِّيَّةِ وَضَبْطِ ٱلشَّهَوَاتِ وَٱلسَّهَرِ وَٱلْحُزْنِ لِأَجْلِ ٱلْخَطِيئَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ . ثَالِثًا يَبْعُدُونَ عَنْ مُعَاشَرَةِ ٱلْمَسِيحِيِّينَ ذَوِي ٱلْغِيرَةِ رَابِعًا يَفْتُرُونَ عَنِ ٱسْتِعْمَالِ ٱلْوَاجِبَاتِ ٱلْمَشْهُورَةِ كَٱلسَّمَاعِ وَٱلْقِرَاءَةِ وَٱلْمُفَاوَضَةِ ٱلتَّقْوِيَّةِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ . خَامِسًا يَصِيرُونَ يَثْلِبُونَ بَعْضَ ٱلْصُّلَحَاءِ عَلَى طَرِيقَةٍ شَيْطَانِيَّةٍ حَتَّى يَكُونَ لَهُمْ عُذْرٌ فِي طَرْحِ ٱلدِّيَانَةِ إِلَى وَرَائِهِمْ بِسَبَبِ بَعْضِ عَثَرَاتٍ تَظْهَرُ فِي سُلُوكِ أُولٰئِكَ ٱلصَّالِحِينَ (١) . سَادِسًا يُصَاحِبُونَ ٱلرَّاخِينَ ٱلْمُتَوَغِّلِينَ فِي ٱلْبَذْخِ وَٱلشَّهَوَاتِ ٱلْخَبِيثَةِ . سَابِعًا يَفْتَحُونَ أَبْوَابًا لِلْمُخَاطَبَاتِ ٱلشَّهْوَانِيَّةِ سِرًّا وَيَفْرَحُونَ إِذَا وَجَدُوا نَظِيرَ هٰذِهِ ٱلْأَشْيَاءِ فِي أَحَدٍ مِنْ كِرَامِ ٱلنَّاسِ لِكَيْ يَتَجَرَّأُوا عَلَى فِعْلِهَا مُتَمَثِّلِينَ بِهِ . ثَامِنًا يَأْخُذُونَ فِي ٱرْتِكَابِ بَعْضِ ٱلْهَفَوَاتِ عَلَانِيَةً . تَاسِعًا وَأَخِيرًا عِنْدَمَا

---

(١) من كان قلبهُ شريرًا فعوض ان يتواضع ويندب نفسهُ لاجل عيوبهِ يلتفت الى عيوب الناس ويلومهم عليها بصرامةٍ خلافًا لمن كان قلبهُ صالحًا فانهُ يرى في نفسهِ ما يشغلهُ عن دينونة غيرهِ ومتى رأى في غيرهِ ذنوبًا مهما كانت عظيمة فانهُ يتعلم ما يختبرهُ في نفسهِ ان يترأف عليهم ويرثي لحالهم ويرجو ان يرى منهم ما هو احسن ويعذرهم لاجل شدَّة التجربة وضعف الطبيعة

نَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ يُظْهِرُونَ ذَوَاتِهِمْ كَمَا هُمْ. وَهٰكَذَا يَسْتَغْرِقُونَ فِي ٱلرَّذَائِلِ وَيَنْهَمِكُونَ بِهَا. فَإِنْ لَمْ تُدَارِكْهُمُ ٱلنِّعْمَةُ ٱلْإِلٰهِيَّةُ وَتَنْتَشِلْهُمْ يَهْلِكُوا فِي غَبَاوَتِهِمْ وَٱنْخِدَاعِهِمْ[1].

قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّ ٱلْمَسِيحِيَّ وَٱلرَّاعِيَ خَرَجَا مِنَ ٱلْأَرْضِ ٱلْمَسْحُورَةِ وَدَخَلَا فِي أَرْضٍ مَعْمُورَةٍ[2] وَكَانَتْ تِلْكَ ٱلْأَرْضُ حَسَنَةَ ٱلْمَنْظَرِ لَطِيفَةَ ٱلنَّسِيمِ. وَٱلطَّرِيقُ فِي وَسَطِهَا. فَمَكَثَا فِيهَا أَيَّامًا يَتَنَزَّهَانِ وَكَانَا كُلَّ يَوْمٍ يَنْظُرَانِ فِيهَا زَهْرًا حَدِيثًا يَنْبُتُ فِي رِيَاضِهَا وَيَسْمَعَانِ تَغْرِيدَ ٱلطُّيُورِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ ٱلْأَنْوَاعِ. وَكَانَتِ ٱلشَّمْسُ تُشْرِقُ عَلَى تِلْكَ ٱلْأَرْضِ نَهَارًا وَلَيْلًا لِأَنَّهَا كَانَتْ بَعِيدَةً عَنْ وَادِي ظِلَالِ ٱلْمَوْتِ وَقَلْعَةُ ٱلشَّكِّ ٱلَّتِي يَتَسَلَّطُ عَلَيْهَا ٱلْجَبَّارُ ٱلْمَعْرُوفُ بِٱلْإِيَاسِ وَلَمْ تَكُنِ ٱلْقَلْعَةُ تُرَى مِنْ هُنَاكَ. وَلٰكِنْ كَانَتْ تَظْهَرُ لَهُمَا ٱلْمَدِينَةُ ٱلْمُنْطَلِقَانِ إِلَيْهَا فَيَرَيَانِهَا

---

(١) انظر كيف يرتد العصاة شيئًا فشيئًا الى ورائهم فانهم يبتدئون بضعف الايمان في قلوبهم وينتهون الى الخطايا الظاهرة. وقد نهت الكتب الالهية عن محبة هذا العالم ودعت الطمع عبادة الاوثان. لان كل ما يُبعِد قلب الانسان عن خالقهِ ويصدُّهُ عن المشاركة معهُ تكون عاقبتهُ الارتداد عن طريقهِ

(٢) اش ٦٢: ١-١٢

وَيَتَشَوَّقَانِ إِلَى ٱلْوُصُولِ إِلَيْهَا . وَكَانَ يَلْقَاهُمَا بَعْضُ أَهْلِ تِلْكَ ٱلْأَرْضِ وَكَانُوا يَلْبَسُونَ ٱلنُّورَ مِثْلَ ٱلثَّوْبِ وَيَتَرَدَّدُونَ فِي تِلْكَ ٱلْأَرْضِ ٱلْبَهِجَةِ لِأَنَّهَا كَانَتْ مُتَّصِلَةً بِٱلسَّمَاءِ . وَفِي هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ عُقِدَ ٱتِّفَاقٌ جَدِيدٌ بَيْنَ ٱلْعَرُوسِ وَٱلْعَرِيسِ . وَكَمَا أَنَّ ٱلْعَرِيسَ يَفْرَحُ بِعَرُوسِهِ هٰكَذَا ٱللّٰهُ يَفْرَحُ بِأَهْلِهَا . وَفِي هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ لَمْ يَحْتَاجَا إِلَى حِنْطَةٍ وَلَا خَمْرٍ بَلْ وَجَدَا أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ كُلِّ مَا كَانَا يَطْلُبَانِهِ . وَفِي سِيَاحَتِهِمَا فِيهَا سَمِعَا أَصْوَاتًا عَالِيَةً خَارِجَةً مِنَ ٱلْمَدِينَةِ تَقُولُ قُولُوا لِٱبْنَةِ صِهْيَوْنَ هَا هُوَذَا مُخَلِّصُكِ هَا إِنَّ أُجْرَتَهُ مَعَهُ وَكَانَ يَدْعُوهُمَا كُلُّ أَهْلِ ٱلْبَلْدَةِ شَعْبًا مُفْتَدًى مِنَ ٱلرَّبِّ ٱلْإِلٰهِ (١)

---

(١) اش ٦٢: ١١ و ١٢ الارض المعمورة رمزٌ عن الثقة والسلامة اللتين تحصلان للمسيحي في آخر حياتهِ . ولا ريب ان ليس كل واحدٍ من شعب الله يحصل في آخر سياحتهِ على مثل هذه النعمة السامية . واذا كنت تريد ايها العزيز ان تصرف بقية ايامك في ارض معمورة فاعلم ان طريق الواجبات هي طريق السلامة . وعليك بما قد كُتب لارشادك الى هذه الطريق واجتهد في اثبات دعوتك وانتخابك وصلِّ لله كي يمنحك ضميرًا بلا عثرةٍ من نحو الله والناس واطلب منهُ ان يعطيك اسبابًا ترجو بها ان تنال ما حصل لهذين السائحين من النعمة والعناية

قَالَ وَبَيْنَمَا كَانَا سَائِرَيْنِ فِي تِلْكَ ٱلْأَرْضِ وَجَدَا فِي أَنْفُسِهِمَا سُرُورًا أَكْثَرَ مِنْ بَقِيَّةِ ٱلْأَمَاكِنِ ٱلَّتِي هِيَ أَكْثَرُ بُعْدًا مِنَ ٱلْمَمْلَكَةِ ٱلَّتِي كَانَا قَاصِدَيْنِ إِلَيْهَا. وَكَانَتِ ٱلْمَدِينَةُ تَظْهَرُ لَهُمَا عَلَى أَحْسَنِ مَنْظَرٍ كُلَّمَا ٱقْتَرَبَا إِلَيْهَا. فَكَانَتْ حِجَارَتُهَا كُلُّهَا مِنْ جَوَاهِرَ ثَمِينَةٍ وَشَوَارِعُهَا كُلُّهَا مَطْلِيَّةٌ بِذَهَبٍ إِبْرِيزٍ. وَأَمَّا هُمَا فَلَمَّا لَاحَتْ لَهُمَا أَشِعَّتُهَا ٱلسَّاطِعَةُ تَحْتَ ٱلشَّمْسِ غَلَبَ عَلَيْهِمَا ٱلشَّوْقُ فَمَرِضَا وَٱضْطَجَعَا هُنَاكَ حِينًا وَجَعَلَا يَصْرُخَانِ قَائِلَيْنِ إِذَا وَجَدْتُمْ حَبِيبِي فَأَخْبِرُوهُ أَنِّي مَرِيضَةٌ حُبًّا[1] ثُمَّ أَخَذَا يُشَدِّدَانِ أَنْفُسَهُمَا وَيَتَعَلَّلَانِ بِقُرْبِ ٱلْوُصُولِ حَتَّى ٱنْتَعَشَتْ قُوَّتُهُمَا وَنَهَضَا يَمْشِيَانِ فِي طَرِيقِهِمَا مُتَقَدِّمَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى وَصَلَا إِلَى مَكَانٍ فِيهِ بَسَاتِينُ وَكُرُومٌ وَحَدَائِقُ ذَاتُ أَبْوَابٍ مَفْتُوحَةٍ إِلَى جِهَةِ ٱلطَّرِيقِ. وَرَأَيَا ٱلْبُسْتَانِيَّ جَالِسًا عَلَى ٱلطَّرِيقِ. فَقَالَا لَهُ حَيَّاكَ ٱللهُ لِمَنْ هٰذِهِ ٱلْبَسَاتِينُ. فَقَالَ هِيَ لِلْمَلِكِ قَدْ غُرِسَتْ لِأَجْلِ تَنَزُّهِهِ وَلِأَجْلِ تَسْلِيَةِ ٱلسَّائِحِينَ. ثُمَّ أَدْخَلَهُمَا إِلَى تِلْكَ ٱلْكُرُومِ وَقَالَ لَهُمَا كُلَا

(١) نش ٨:٥ يا لسعادة الانفس التي بمقدار ما تزداد قربًا الى الميناء السماوية تزداد شوقًا الى ما هنالك وتتعطف بميلٍ صادق على الاشياء الروحية وتجتهد ان تحصل على الاشتراك مع المسيح في ملكوته

مِنْ هٰذَا ٱلْعِنَبِ مَا بَدَا لَكُمَا[1] ثُمَّ أَرَاهُمَا مَسَالِكَ ٱلْمَلِكِ وَٱلْأَشْجَارَ ٱلَّتِي يَتَنَزَّهُ تَحْتَهَا. فَأَقَامَا هُنَاكَ وَنَامَا

قَالَ صَاحِبُ ٱلرُّؤْيَا ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّهُمَا لَمَّا ٱسْتَيْقَظَا مِنْ نَوْمِهِمَا طَلَبَا ٱلصُّعُودَ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ. إِلَّا أَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَطِيعَا أَنْ يُحَدِّقَا بِنَظَرِهِمَا إِلَيْهَا إِلَّا بِٱلنَّظَارَةِ مِنْ شِدَّةِ لَمَعَانِهَا لِأَنَّ أَسْوَارَهَا كَانَتْ مُغَشَّاةً بِذَهَبٍ إِبْرِيزٍ وَٱلشَّمْسُ سَاطِعَةٌ عَلَيْهَا[2] قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّهُمَا بَيْنَمَا هُمَا سَائِرَانِ لَقِيَهُمَا رَجُلَانِ مُتَسَرْبِلَانِ بِحُلَلٍ تَلْمَعُ كَٱلذَّهَبِ وَوُجُوهُهُمَا يُضِيئَانِ كَٱلْمِصْبَاحِ. وَقَالَا لَهُمَا مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا فَأَخْبَرَاهُمَا. فَقَالَا أَيْنَ بِتُّمَا وَمَاذَا نَالَكُمَا مِنَ ٱلْمَشَقَّاتِ وَمَاذَا نِلْتُمَا مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ فَحَدَّثَاهُمَا. فَقَالَا إِنَّكُمَا لَا تُصَادِفَانِ أَيْضًا إِلَّا صُعُوبَتَيْنِ وَبَعْدَ ذٰلِكَ تَدْخُلَانِ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ[3] فَقَالَا نَسْتَعِينُ بِٱللهِ عَلَى مَا بَقِيَ كَمَا ٱسْتَعَنَّا فِي مَا مَضَى.

---

(١) تث ٣:٢٤ (٢) رؤ ٢١:١٨ و٢كو ٤:١٨

(٣) ان صاحب الكتاب ربما اشار هنا الى معرفة البعض قرب اجلهم. وهو ينسب ذلك الى الملائكة الذين يحرسون كل مؤمن. ولا يخفى ان الموت والدخول الى المدينة هما الصعوبتان الوحيدتان اللتان يتوقعهما المسيحي ورفيقة الراجي

وَلٰكِنْ نُرِيدُ أَنْ تَذْهَبَا مَعَنَا . قَالَا نَعَمْ وَلٰكِنْ يَجِبُ عَلَيْكُمَا أَنْ تُحَصِّلَا ذٰلِكَ بِإِيمَانِكُمَا . وَٱنْطَلَقُوا جَمِيعًا حَتَّى وَصَلُوا إِلَى مُقَابِلِ ٱلْبَابِ

قَالَ وَرَأَيْتُ نَهْرًا عَمِيقًا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ ٱلْبَابِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ جِسْرٌ فَلَمَّا وَقَفَا عَلَى شَاطِئِ ٱلنَّهْرِ ٱرْتَبَكَا فِي أَمْرِهِمَا . وَقَالَ لَهُمَا ٱلرَّجُلَانِ ٱللَّذَانِ أَتَيَا مَعَهُمَا قَدْ رَأَيْتُمَا هٰذَا ٱلنَّهْرَ ٱلَّذِي يَحُولُ بَيْنَكُمَا وَبَيْنَ ٱلْمَدِينَةِ وَٱعْلَمَا أَنَّكُمَا لَا تَقْدِرَانِ أَنْ تَصِلَا إِلَيْهَا مَا لَمْ تَقْطَعَاهُ . فَٱنْظُرَا مَاذَا تَصْنَعَانِ (١) فَقَالَا أَلَا يُوجَدُ طَرِيقٌ أُخْرَى إِلَى هٰذَا ٱلْبَابِ . قَالَا نَعَمْ وَلٰكِنْ لَمْ يُؤْذَنْ فِي سُلُوكِهَا مُنْذُ إِنْشَاءِ ٱلْعَالَمِ وَلَنْ يُؤْذَنَ حَتَّى يَصْرُخَ ٱلْبُوقُ ٱلْأَخِيرُ إِلَّا لِرَجُلَيْنِ وَهُمَا أَخْنُوخُ وَإِيلِيَّا . فَضَعُفَ رَجَاؤُهُمَا وَلَا سِيَّمَا ٱلْمَسِيحِيُّ وَجَعَلَا يَنْظُرَانِ إِلَى هُنَا وَهُنَاكَ وَلَا يَجِدَانِ سَبِيلًا . فَقَالَا لِذَيْنِكَ ٱلرَّجُلَيْنِ

---

(١) الموت نهر عميق لا جسر له مانعٌ للمؤمن عن الوصول الى ميراثهِ السماوي كما كان نهر الاردن يمنع بني اسرائيل عن ارض الميعاد . ولا ريب ان الانسان بحسب الطبيعة متى نظر الى هذا النهر يتوقف ولو كان فيهِ ايمان ورجاء ومحبة . ولكن متى فقدت منهُ هذه الملكات الثلاث يجتمع فيهِ الخوف والحيرة وعدم الرغبة حتى عند مجرَّد الفكر والعبور فيهِ

هَلِ ٱلْمَاءُ عَمِيقٌ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ فِي هٰذَا ٱلنَّهْرِ. قَالَا لَا يَصِحُّ ٱلْحُكْمُ ٱلْقَاطِعُ فِي ذٰلِكَ عِنْدَنَا فَإِنَّهُ يَكُونُ عَمِيقًا أَوْ غَيْرَ عَمِيقٍ عَلَى حَسَبِ إِيمَانِكُمَا بِٱلْمَلِكِ (١) وَلَمَّا رَأَى ٱلْمَسِيحِيُّ وَصَاحِبُهُ ذٰلِكَ عَوَّلَا عَلَى ٱلنُّزُولِ فِي ٱلْمَاءِ وَلَمَّا نَزَلَا فِيهِ أَخَذَ ٱلْمَاءُ يَعْلُو كُلَّمَا تَقَدَّمَا حَتَّى كَادَ ٱلْمَسِيحِيُّ يَغْرَقُ فَصَرَخَ إِلَى صَاحِبِهِ قَائِلًا أَنَا أَغْرَقُ فِي ٱلْمِيَاهِ ٱلْعَمِيقَةِ وَٱلْأَمْوَاجُ قَدْ تَعَالَتْ فَوْقَ رَأْسِي (٢) فَقَالَ ٱلرَّاعِي يَا أَخِي ثِقْ بِٱللهِ فَإِنِّي أَحِسُّ بِجَمَادٍ مُسْتَوٍ تَحْتَ ٱلْمَاءِ.

---

(١) ان المسيحيين يغلبون عدوّهم الاخير الذي هو الموت بكلمة شهادتهم ودم الخروف وتخصيصهم استحقاقات المسيح بانفسهم عن ثقة وايمان صادق. حتى ان هذه الغلبة تكون كثيرة او قليلة بقدر ما يكون ايمانهم قويًّا او ضعيفًا. ولكن بنعمة المسيح يعبر الضعيف ذلك النهر ولو كان باقل تعزية من القوي

(٢) مز ٤١: ٧ ويون ٢: ٤ ان المسيحي ولو كان اكثر اختبارًا وثباتًا فقد قيل انهُ كان اشد انزعاجًا وخوفًا عند الموت. ومن ذلك نتعلم انهُ لا ينبغي لنا ان نلقي رجاءنا عند الموت الاَّ على المسيح وبرّهِ وصدقهِ في مواعيدهِ. ومن كان في قلبهِ نور الايمان ولو كان عند موتهِ يلقى ظلامًا في طريقهِ فان ذلك الظلام يضمحلُّ ويرجع اليهِ النور فيضيء ما قدامهُ. فلنطلب من الرب ان يقوّي ايماننا بمواعيدهِ الصادقة ويجعل شمسنا عند غروبها صافية. ولنصرخ نحوهُ قائلين اعنَّا اللهمَّ لكي نقول لتكن مشيئتك. وحينما يضعف جسمنا وتخور قوّتنا فكن انت قوّتنا ونصيبنا الى الابد

فَقَالَ آهٍ يَا أَخِي إِنَّ أَحْزَانَ ٱلْمَوْتِ قَدْ أَحَاطَتْ بِي وَلَا أَقْدِرُ أَنْ أُعَايِنَ ٱلْأَرْضَ ٱلَّتِي تَفِيضُ لَبَناً وَعَسَلاً . وَلِلْوَقْتِ غَشِيَتِ ٱلْمَسِيحِيَّ ظُلْمَةٌ دَاجِيَةٌ وَنَزَلَ عَلَيْهِ هَوْلٌ عَظِيمٌ حَتَّى لَمْ يَعُدْ يَقْدِرُ أَنْ يَنْظُرَ مَا قُدَّامَهُ . وَذَهِلَ عَنْ عَقْلِهِ حَتَّى ٱخْتَلَطَ كَلَامُهُ . وَلٰكِنْ كُلُّ مَا كَانَ يَتَكَلَّمُ بِهِ كَانَ يَدِلُّ عَلَى ظَلَامِ ضَمِيرِهِ وَخَوْفِهِ مِنْ أَنْ يَمُوتَ فِي ذٰلِكَ ٱلنَّهْرِ وَلَا يَحْصُلَ عَلَى ٱلدُّخُولِ فِي ٱلْبَابِ . وَكَانَ يَتَرَاءَى لِلْوَاقِفِينَ هُنَاكَ أَنَّهُ كَانَ مُضْطَرِبَ ٱلْأَفْكَارِ مِنْ قِبَلِ ٱلْخَطَايَا ٱلَّتِي سَقَطَ فِيهَا قَبْلَ سِيَاحَتِهِ وَمُنْذُ ٱبْتِدَائِهَا . وَكَانَ يَلُوحُ أَنَّهُ كَانَ مُنْزَعِجاً مِنْ ظُهُورِ ٱلشَّيَاطِينِ وَٱلْأَرْوَاحِ ٱلشِّرِّيرَةِ لَهُ . وَكُلُّ ذٰلِكَ كَانَ يُشِيرُ إِلَيْهِ بِكَلَامِهِ . وَأَمَّا ٱلرَّاجِي فَكَانَ يَجْتَهِدُ أَنْ يَحْفَظَ رَأْسَ أَخِيهِ فَوْقَ ٱلْمَاءِ وَكَابَدَ فِي ذٰلِكَ مَشَقَّةً عَظِيمَةً فَإِنَّهُ كَانَ يَعْلُوهُ ٱلْمَاءُ أَحْيَاناً ثُمَّ يَنْهَضُ وَهُوَ بَيْنَ حَيٍّ وَمَيِّتٍ . وَلَمْ يَكُنْ لِلرَّاجِي هَمٌّ إِلَّا تَعْزِيَةُ أَخِيهِ ٱلْمَسِيحِيِّ . وَكَانَ يَقُولُ لَهُ يَا أَخِي هَا أَرَى ٱلْبَابَ وَٱلنَّاسَ وَاقِفِينَ هُنَاكَ لِٱسْتِقْبَالِنَا . وَٱلْمَسِيحِيُّ يَقُولُ لَيْسَ هُمْ مُسْتَعِدِّينَ لِي بَلْ لَكَ لِأَنَّكَ مَا زِلْتَ طَوِيلَ ٱلرَّجَاءِ مُنْذُ عَرَفْتُكَ . فَقَالَ يَا أَخِي

وَأَنْتَ كَذٰلِكَ. فَقَالَ آهٍ يَا أَخِي لَوْ كُنْتُ مُسْتَقِيمًا لَكَانَ مُخَلِّصِي يَقُومُ ٱلْآنَ وَيُسَاعِدُنِي. وَلٰكِنْ لِأَجْلِ خَطَايَايَ طَرَحَنِي فِي هٰذَا ٱلْفَخِّ وَتَرَكَنِي. قَالَ يَا أَخِي قَدْ نَسِيتَ ٱلْمَكْتُوبَ عَنِ ٱلْأَئِمَّةِ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبَأُوا بِمَوْتِهِمْ وَلَا فِي شِدَّةِ عَذَابِهِمْ وَفِي تَعَبِ ٱلنَّاسِ لَيْسَ هُمْ وَمَعَ ٱلْبَشَرِ لَا يُجْلَدُونَ[1] وَهٰذِهِ ٱلْمَشَقَّاتُ وَٱلْمَخَاطِرُ ٱلَّتِي تَتَكَبَّدُهَا فِي هٰذِهِ ٱلْمِيَاهِ لَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ ٱللهَ قَدْ تَرَكَكَ لٰكِنَّهَا أُرْسِلَتْ لِتَخْتَبِرَكَ هَلْ تَذْكُرُ مَا نِلْتَهُ سَابِقًا مِنَ ٱلْخَيْرَاتِ ٱلَّتِي مَنَّ عَلَيْكَ بِهَا وَهَلْ تَتَّكِلُ عَلَيْهِ فِي شَدَائِدِكَ[2]

قَالَ صَاحِبُ ٱلرُّؤْيَا ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّ ٱلْمَسِيحِيَّ لَبِثَ فِي تِلْكَ ٱلْمِيَاهِ مُتَحَيِّرًا وَفِي أَثْنَاءِ ذٰلِكَ ٱلْتَفَتَ إِلَيْهِ ٱلرَّاعِي وَقَالَ لَهُ طِبْ نَفْسًا وَقِرَّ عَيْنًا يَا أَيُّهَا ٱلْمَسِيحِيُّ فَإِنَّ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحَ يَشْفِيكَ. وَعِنْدَ ذٰلِكَ صَرَخَ ٱلْمَسِيحِيُّ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا هَا إِنِّي أَرَاهُ أَيْضًا وَهُوَ يَقُولُ لِي إِذَا جُزْتَ فِي ٱلْمِيَاهِ فَأَنَا مَعَكَ وَفِي ٱلْأَنْهَارِ فَلَا

---

(١) مز٧٣: ٤ و٥ (٢) اذا اردت ان تزور احد المرضى او المشرفين على الموت فاصحب معك كلمة الله في قلبك وفمك لانك منها فقط ترجو حلول البركة على نفس من تزورهُ لانهُ بكلمة الله قد دخل اولاً في الايمان وبها يتقوّى واخيرًا والمسيح هو كمال الكتب الالهية وجوهرها

تَغْمُرُكَ (١) فَتَشَجَّعَا كِلَاهُمَا حِينَئِذٍ وَلِلْوَقْتِ وَجَدَ ٱلْمَسِيحِيُّ تَحْتَ قَدَمَيْهِ أَرْضًا يَقِفُ عَلَيْهَا فَتَشَدَّدَا وَتَقَدَّمَا حَتَّى خَرَجَا مِنَ ٱلنَّهْرِ. وَلَمَّا وَقَفَا عَلَى ٱلشَّاطِئِ ٱلْآخَرِ رَأَيَا ٱلرَّجُلَيْنِ ٱللَّامِعَيْنِ ٱللَّذَيْنِ كَانَا يَنْتَظِرَانِهِمَا هُنَاكَ. فَسَلَّمَا عَلَيْهِمَا وَقَالَا لَهُمَا إِنَّنَا مِنَ ٱلْأَرْوَاحِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ قَدْ أُرْسِلْنَا لِخِدْمَةِ ٱلْمُزْمِعِينَ أَنْ يَرِثُوا ٱلْخَلَاصَ. فَتَقَدَّمَا نَحْوَ ٱلْبَابِ. وَكَانَتِ ٱلْمَدِينَةُ عَلَى جَبَلٍ شَامِخٍ فَصَعِدَا فِيهِ. وَكَانَ ذَانِكَ ٱلرَّجُلَانِ يَأْخُذَانِ بِمِنَاكِبِهِمَا وَيُنْهِضَانِهِمَا. فَتَقَدَّمَا بِسُهُولَةٍ وَسَاعَدَهُمَا عَلَى ذٰلِكَ أَنَّهُمَا كَانَا قَدْ نَزَعَا ثِيَابَهُمَا ٱلْبَالِيَةَ فِي ٱلنَّهْرِ. وَصَعِدَا إِلَى نَحْوِ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ بِخِفَّةٍ وَسُرْعَةٍ مَعَ أَنَّ ٱلْأَسَاسَاتِ ٱلَّتِي وُضِعَتْ عَلَيْهَا كَانَتْ أَعْلَى

---

(١) اش ٤٣: ٢ ان المسيحي ولوكان قد حصل في ضيقة عظيمة فقد نجا من جميع شكوكهِ ومخاوفهِ الصادرة من ضعف ايمانهِ. وذلك بتصديقهِ الموعد الالهي. ولا ريب ان الايمان بالمسيح مجرَّدًا يسكّن اضطراب قلوبنا ويساعدنا في الآلام التي تنالنا وقت الموت. ومتى آمنَّا ان المسيح مات وانبعث من الاموات لا نعود نخاف من الموت لانهُ لا يعود يأتي الينا بوجه عبوس بل يأتي مبتسمًا كأنهُ رسولٌ الينا من اعزّ احبائنا. لانهُ ولوكانت شوكة الموت هي الخطيئة وقوَّة الخطيئة هي الناموس فان المسيح قد فدانا من لعنة الناموس اذ صار لعنةً لاجلنا وبذلك قد كسر شوكة الموت وابطل غلبة الهاوية

مِنَ ٱلسَّحَابِ وَكَانَا يَصْعَدَانِ إِلَى فَوْقُ عَلَى أَجْنِحَةِ ٱلرِّيَاحِ. وَهُمَا يَشْكُرَانِ ٱللهَ عَلَى نَجَاتِهِمَا مِنْ ذٰلِكَ ٱلنَّهْرِ وَٱنْطِلَاقِهِمَا إِلَى غَايَتِهِمَا ٱلسَّعِيدَةِ مَعَ ذَيْنِكَ ٱلصَّاحِبَيْنِ ٱلْكَرِيمَيْنِ وَكَانَا يَتَكَلَّمَانِ مَعَهُمَا عَنْ مَجْدِ ٱلْمَكَانِ وَجَمَالِهِ. فَقَالَا لَهُمَا إِنَّ مَجْدَهُ وَجَمَالَهُ لَا يُحْصِيهِمَا ٱلْوَصْفُ لِأَنَّهُ يُوجَدُ فِيهِ جَبَلُ صِهْيَوْنَ أُورُشَلِيمُ ٱلسَّمَاوِيَّةُ وَجَمَاعَةُ رِبْوَاتِ ٱلْمَلَائِكَةِ وَأَرْوَاحُ ٱلْأَبْرَارِ ٱلَّذِينَ كَمُلُوا (١) وَأَنْتُمَا تَذْهَبَانِ ٱلْآنَ إِلَى فِرْدَوْسِ ٱللهِ حَيْثُ تَنْظُرَانِ شَجَرَةَ ٱلْحَيَاةِ وَتَأْكُلَانِ مِنْ أَثْمَارِهَا ٱلشَّهِيَّةِ. وَحِينَمَا تَصِلَانِ إِلَى هُنَاكَ تَلْبَسَانِ حُلَلًا بِيضًا وَتَتَكَلَّمَانِ وَتَسِيرَانِ مَعَ ٱلْمَلِكِ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى أَبَدِ ٱلْآبِدِينَ (٢) وَلَنْ تُعَايِنَا هُنَاكَ مِثْلَ ٱلْأَشْيَاءِ ٱلَّتِي رَأَيْتُمَاهَا لَمَّا كُنْتُمَا فِي ٱلْمَمْلَكَةِ ٱلسُّفْلَى عَلَى ٱلْأَرْضِ كَٱلْحُزْنِ وَٱلْمَرَضِ وَٱلْكَآبَةِ وَٱلْمَوْتِ. لِأَنَّ مَا كَانَ قَدِيمًا قَدْ مَضَى (٣) وَتَجْتَمِعَانِ مَعَ إِبْرٰهِيمَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَنْبِيَاءِ ٱلَّذِينَ خَلَّصَهُمُ ٱللهُ مِنَ ٱلشَّرِّ ٱلْآتِي وَهُمُ ٱلْآنَ حَالُّونَ فِي ٱلْمَظَالِّ ٱلسَّمَاوِيَّةِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سَالِكٌ فِي بِرِّهِ. فَقَالَ لَهُمَا ٱلسَّائِحَانِ مَاذَا يَنْبَغِي

---

(١) عب ١٢: ٢٢—٢٤ (٢) رؤ ٧: ٣ و ١٤: ٤ و ٥ و ٢٢: ٥

(٣) اش ٦٥: ١٦ و ١٧ ورو ٢١: ٤

أَنْ نَصْنَعَ فِي ٱلْمَكَانِ ٱلْمُقَدَّسِ. فَقَالَا يَنْبَغِي أَنْ تَنَالَا ٱلتَّعْزِيَةَ عِوَضَ أَتْعَابِكُمَا وَٱلْفَرَحَ عِوَضَ أَحْزَانِكُمَا وَسَتَحْصُدَانِ مَا قَدْ زَرَعْتُمَاهُ أَيْ أَثْمَارَ جَمِيعِ صَلَوَاتِكُمَا وَدُمُوعِكُمَا وَجِهَادِكُمَا ٱلَّذِي كَابَدْتُمَاهُ فِي ٱلطَّرِيقِ لِأَجْلِ ٱلْمَلِكِ (١) وَهُنَاكَ تُتَوَّجَانِ بِأَكَالِيلَ ذَهَبِيَّةٍ وَتَتَمَتَّعَانِ بِمُشَاهَدَةِ ٱلْكُلِّيِّ ٱلْقَدَاسَةِ بِلَا ٱنْقِطَاعٍ لِأَنَّكُمَا تَرَيَانِهِ هُنَاكَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ (٢) وَهُنَاكَ أَيْضًا تَخْدُمَانِ بِٱلتَّسَابِيحِ وَٱلتَّرَانِيمِ وَٱلشُّكْرِ بِغَيْرِ ٱنْقِطَاعٍ لِلَّذِي ٱرْتَضَيْتُمَا أَنْ تَخْدِمَاهُ فِي ٱلْعَالَمِ وَلَوْ بِمَشَقَّةٍ عَظِيمَةٍ لِأَجْلِ ضُعْفِ أَجْسَادِكُمَا. وَهُنَاكَ سَتَقَرُّ أَعْيُنُكُمَا بِٱلنَّظَرِ وَتُسَرُّ آذَانُكُمَا بِسَمْعِ حُسْنِ صَوْتِ ٱلْكُلِّيِّ ٱلِٱقْتِدَارِ. وَتَتَمَتَّعَانِ مَعَ أَصْحَابِكُمَا ٱلَّذِينَ سَبَقُوكُمَا إِلَى هُنَاكَ وَتَقْبَلَانِ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ ٱلَّذِينَ يَتْبَعُونَكُمَا إِلَى ٱلْمَكَانِ ٱلْمُقَدَّسِ وَتَتَسَرْبَلَانِ بِٱلْمَجْدِ وَٱلْجَلَالِ. وَتُوَهَّلَانِ لِأَنْ تَرْكَبَا وَتَخْرُجَا مَعَ مَلِكِ ٱلْمَجْدِ وَسَتَأْتِيَانِ مَعَهُ حِينَ يَأْتِي بِصَوْتِ ٱلْبُوقِ عَلَى ٱلسَّحَابِ كَأَنَّهُ عَلَى أَجْنِحَةِ ٱلرِّيَاحِ. وَسَتَجْلِسَانِ بِجَانِبِهِ عِنْدَ مَا يَجْلِسُ عَلَى عَرْشِ ٱلدَّيْنُونَةِ. وَحِينَمَا يَحْكُمُ عَلَى فَعَلَةِ ٱلْإِثْمِ إِنْ

---

(١) غل ٦: ٨ و ٩ (٢) ١ يو ٣: ٢

كَانُوا مَلَائِكَةً أَوْ بَشَرًا فَأَنْتُمَا أَيْضًا يَكُونُ لَكُمَا صَوْتٌ فِي ذٰلِكَ ٱلْقَضَاءِ لِكَوْنِهِمْ أَعْدَاءَهُ وَأَعْدَاءَكُمَا. وَعِنْدَمَا يَرْجِعُ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ تَرْجِعَانِ بِصَوْتِ ٱلْبُوقِ وَتَكُونَانِ مَعَهُ إِلَى ٱلْأَبَدِ

قَالَ وَبَيْنَمَا كَانَا يَقْتَرِبَانِ مِنَ ٱلْبَابِ إِذَا بِأَجْوَاقِ ٱلسَّمَاوِيِّينَ قَدْ خَرَجُوا لِٱسْتِقْبَالِهِمَا. وَأَمَّا صَاحِبَاهُمَا ٱللَّامِعَانِ فَقَالَا لَهُمْ إِنَّ هٰذَيْنِ هُمَا ٱللَّذَانِ أَحَبَّا رَبَّنَا لَمَّا كَانَ فِي ٱلْعَالَمِ وَتَرَكَا كُلَّ شَيْءٍ لِأَجْلِ ٱسْمِهِ ٱلْقُدُّوسِ وَهُوَ أَرْسَلَنَا لِكَيْ نُحْضِرَهُمَا إِلَى هُنَا. وَهَا نَحْنُ قَدْ أَحْضَرْنَاهُمَا وَلَاحَظْنَاهُمَا فِي سِيَاحَتِهِمَا ٱلْمَرْغُوبَةِ لِكَيْ يُمْكِنَهُمَا ٱلدُّخُولُ وَمُشَاهَدَةُ وَجْهِ فَادِيهِمَا بِٱلْحُبُورِ. وَحِينَئِذٍ هَتَفَتِ ٱلْأَجْوَاقُ ٱلسَّمَاوِيَّةُ قَائِلَةً طُوبَاهُمُ ٱلَّذِينَ دُعُوا إِلَى وَلِيمَةِ عَشَاءِ عُرْسِ ٱلْخَرُوفِ (٢) وَفِي ذٰلِكَ ٱلْوَقْتِ خَرَجَ كَثِيرُونَ مِنَ ٱلْمُرَنِّمِينَ بِٱلْأَبْوَاقِ لِمُلَاقَاتِهِمَا لَابِسِينَ حُلَلًا بِيضًا لَامِعَةً يُرَنِّمُونَ بِأَصْوَاتٍ مُطْرِبَةٍ عَالِيَةٍ حَتَّى كَانَتِ ٱلسَّمَاءُ تَرْتَجُّ مِنْ ضَجِيجِهِمْ. وَسَلَّمُوا عَلَى ٱلْمَسِيحِيِّ وَصَاحِبِهِ بِٱلتَّرْنِيمِ وَصَوْتِ ٱلْبُوقِ قَائِلِينَ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا بِٱلزَّائِرَيْنِ. وَلَمَّا تَمَّ ذٰلِكَ أَحَاطُوا

(١) اتس ٤: ١٢–١٧ وبه ١٤ و١٥ ودا ٧: ٩ و١٠ واكو ٦: ٢ و٣

(٢) رؤ ١٩: ٩

بِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَكَانَ ٱلْبَعْضُ يَمْشُونَ قُدَّامَهُمَا وَٱلْبَعْضُ خَلْفَهُمَا وَٱلْبَعْضُ عَنْ يَمِينِهِمَا وَٱلْبَعْضُ عَنْ يَسَارِهِمَا لِكَيْ يَحْفَظُوهُمَا فِي ٱلْمَصَاعِدِ. وَكَانُوا لَا يَفْتُرُونَ عَنِ ٱلصُّرَاخِ وَهُمْ مُنْطَلِقُونَ بِأَصْوَاتٍ رَخِيمَةٍ وَنَغَمَاتٍ رَفِيعَةٍ حَتَّى خُيِّلَ لِلنَّاظِرِينَ أَنَّ ٱلسَّمَاءَ بِنَفْسِهَا قَدْ نَزَلَتْ لِمُلَاقَاتِهِمَا. وَعَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالِ كَانُوا سَائِرِينَ جَمِيعًا. وَكَانَ أُولٰئِكَ ٱلْمُرَنِّمُونَ تَارَةً بِٱلنَّظَرِ وَتَارَةً بِٱلْأَلْحَانِ يُظْهِرُونَ لِلْمَسِيحِيِّ وَأَخِيهِ عَلَامَاتِ ٱلْبَهْجَةِ وَٱلسُّرُورِ. وَأَمَّا هُمَا فَٱنْدَهَشَا مِنْ نَظَرِ أُولٰئِكَ ٱلْمَلَائِكَةِ وَسَمَاعِ تِلْكَ ٱلْأَلْحَانِ وَمَا زَالَا حَتَّى عَايَنَا ٱلْمَدِينَةَ بِذَاتِهَا وَحَسِبَا أَنَّهُمَا يَسْمَعَانِ كُلَّ أَهْلِهَا يَقْرَعُونَ ٱلنَّوَاقِيسَ لَهُمَا وَيَتَرَحَّبُونَ بِهِمَا. وَأَيُّ لِسَانٍ أَوْ قَلَمٍ يَقْدِرُ أَنْ يَصِفَ ٱلْفَرَحَ ٱلْعَظِيمَ ٱلَّذِي حَصَلَ لَهُمَا عِنْدَ ٱفْتِكَارِهِمَا أَنَّهُمَا يَكُونَانِ هُنَاكَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِثْلِ هٰذِهِ إِلَى أَبَدِ ٱلدُّهُورِ. وَهٰكَذَا صَعِدَا إِلَى ٱلْبَابِ (١) فَلَمَّا وَصَلَا إِلَيْهِ وَجَدَا

(١) لا يقدر احد ان يصف غبطة الذين يحيون في حالة منفصلة عن جسد الموت والخطيئة. ونحن بعض مرّات نرى شيئًا من ذلك بالايمان ونشعر بعذوبته. فاذا كان المسيح لذيذًا بهذا المقدار لمن يحصلون عليه بالايمان وهم على الارض فمن يقدر ان يصف مقدار لذته عند الحصول عليه في السماء وهذا مما لا نقدر ان نقف عليه الاّ بعد الموت

أَنَّهُ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ بِحُرُوفٍ ذَهَبِيَّةٍ طُوبَاهُمُ ٱلَّذِينَ يَغْسِلُونَ ثِيَابَهُمْ بِدَمِ ٱلْخَرُوفِ لِيَكُونَ سُلْطَانُهُمْ عَلَى شَجَرَةِ ٱلْحَيَاةِ وَيَدْخُلُوا ٱلْمَدِينَةَ مِنَ ٱلْأَبْوَابِ (١)

قَالَ صَاحِبُ ٱلرُّؤْيَا ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّ صَاحِبَيْهِمَا ٱللَّامِعَيْنِ أَمَرَاهُمَا أَنْ يَقْرَعَا ٱلْبَابَ. فَقَرَعَاهُ وَإِذَا بِجَمَاعَةٍ قَدْ أَشْرَفُوا مِنْ فَوْقِ ٱلْبَابِ وَهُمْ أَخْنُوخُ وَمُوسَى وَإِيلِيَّا وَنَظَائِرُهُمْ. فَقِيلَ لَهُمْ إِنَّ هٰذَيْنِ ٱلسَّائِحَيْنِ قَدْ أَتَيَا مِنْ مَدِينَةِ ٱلْهَلَاكِ لِأَجْلِ حُبِّهِمَا لِمَلِكِ هٰذَا ٱلْمَكَانِ. ثُمَّ إِنَّ ٱلْمَسِيحِيَّ وَأَخَاهُ أَعْطَيَاهُمْ شَهَادَتَيْهِمَا ٱللَّتَيْنِ أَخَذَاهُمَا فِي ٱبْتِدَاءِ سِيَاحَتِهِمَا. فَأَخَذُوهُمَا إِلَى ٱلْمَلِكِ فَقَرَأَهُمَا وَقَالَ أَيْنَ ٱلرَّجُلَانِ. فَقَالُوا إِنَّهُمَا قَائِمَانِ خَارِجَ ٱلْبَابِ. فَقَالَ ٱفْتَحُوا ٱلْبَابَ لِيَدْخُلَ ٱلشَّعْبُ ٱلصَّالِحُ حَافِظُ ٱلْحَقِّ (٢)

قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّهُمَا دَخَلَا مِنَ ٱلْبَابِ وَلَمَّا عَبَرَاهُ تَغَيَّرَتْ صُورَتُهُمَا وَتَسَرْبَلَا بِمَلَابِسَ تَلْمَعُ كَٱلذَّهَبِ وَٱلْتَقَاهُمَا قَوْمٌ بِٱلْقِيثَارَاتِ وَٱلْأَكَالِيلِ وَقَدَّمُوهَا إِلَيْهِمَا. وَكَانَتْ تِلْكَ

---

(١) رؤ ٢٢: ٤ (٢) اش ٢٦: ٢

ٱلْقِيثَارَاتُ لِأَجْلِ ٱلتَّسْبِيحِ دَائِمًا وَٱلْأَكَالِيلُ عُنْوَانًا لِلشَّرَفِ. وَسَمِعْتُ جَمِيعَ ٱلنَّوَاقِيسِ ٱلَّتِي فِي ٱلْمَدِينَةِ تُقْرَعُ لَهُمَا وَقَائِلًا يَقُولُ ٱدْخُلَا إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكُمَا (١) وَسَمِعْتُهُمَا يُتَرَنَّمَانِ قَائِلَيْنِ لِلْجَالِسِ عَلَى ٱلْكُرْسِيِّ وَلِلْخَرُوفِ ٱلْبَرَكَةُ وَٱلْكَرَامَةُ وَٱلْمَجْدُ وَٱلْقُدْرَةُ إِلَى أَبَدِ ٱلْآبِدِينَ (٢)

قَالَ وَلَمَّا فُتِحَتِ ٱلْأَبْوَابُ عِنْدَ دُخُولِهِمَا نَظَرْتُ وَرَاءَهُمَا إِلَى دَاخِلٍ وَإِذَا بِٱلْمَدِينَةِ تُضِيءُ كَٱلشَّمْسِ وَكَانَتْ أَزِقَّتُهَا مُصَفَّحَةً بِٱلذَّهَبِ وَفِيهَا أُنَاسٌ كَثِيرُونَ يَمْشُونَ وَٱلْأَكَالِيلُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ وَفِي أَيْدِيهِمْ سَعَفُ نَخْلٍ وَقِيثَارَاتٌ ذَهَبِيَّةٌ يُرَنِّمُونَ بِهَا مِنْ غَيْرِ فُتُورٍ. وَكَانَ لِلْبَعْضِ مِنْهُمْ أَجْنِحَةٌ وَأَحَدُهُمْ يُجِيبُ ٱلْآخَرَ مِنْ غَيْرِ ٱنْقِطَاعٍ قَائِلًا قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ رَبُّ ٱلْجُنُودِ. ثُمَّ أَغْلَقُوا ٱلْأَبْوَابَ. وَأَمَّا أَنَا فَلَمَّا رَأَيْتُ ذٰلِكَ ٱشْتَهَيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَهُمْ. وَبَيْنَمَا كُنْتُ كَذٰلِكَ ٱلْتَفَتُّ إِلَى وَرَائِي وَإِذَا بِٱلْجَهْلِ قَدْ وَصَلَ إِلَى جَانِبِ ٱلنَّهْرِ وَقَطَعَهُ عَاجِلًا وَلَمْ يَمَسَّهُ نِصْفُ ٱلْمَشَقَّةِ ٱلَّتِي مَسَّتْ ذَيْنِكَ ٱلرَّجُلَيْنِ لِأَنَّهُ صَادَفَ

---

(١) مت ٢٥: ٢١ (٢) رؤ ٥: ١٣

هُنَاكَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ ٱلرَّجَاءُ ٱلْبَاطِلُ وَكَانَ بَحْرِيًّا فَأَخَذَهُ فِي قَارِبِهِ وَعَبَرَ بِهِ ٱلنَّهْرَ. وَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذٰلِكَ صَعِدَ عَلَى ٱلْجَبَلِ كَمَا فَعَلَ ٱلسَّائِحَانِ إِلَّا أَنَّهُ صَعِدَ وَحْدَهُ وَلَمْ يَسْتَقْبِلْهُ أَحَدٌ وَمَا زَالَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى ٱلْبَابِ فَجَعَلَ يَقْرَعُ طَامِعًا أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ بِٱلدُّخُولِ عَاجِلًا. فَأَشْرَفَ وَاحِدٌ مِنْ فَوْقِ ٱلْبَابِ وَقَالَ لَهُ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ وَمَاذَا تُرِيدُ. فَقَالَ إِنِّي أَكَلْتُ وَشَرِبْتُ بِحَضْرَةِ ٱلْمَلِكِ (١) فَطَلَبُوا مِنْهُ شَهَادَتَهُ لِيَأْخُذُوهَا إِلَى ٱلْمَلِكِ. فَأَخَذَ يُفَتِّشُ عَنْهَا فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا. فَقَالُوا إِنَّهُ لَا يُوجَدُ شَهَادَةٌ مَعَكَ فَلَمْ يُجِبْ بِكَلِمَةٍ. فَدَخَلُوا إِلَى ٱلْمَلِكِ وَأَخْبَرُوهُ فَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَنْزِلَ وَيَرَاهُ لٰكِنَّهُ أَمَرَ ٱللَّامِعَيْنِ ٱللَّذَيْنِ صَحِبَا ٱلْمَسِيحِيَّ وَأَخَاهُ أَنْ يَذْهَبَا إِلَيْهِ وَيَرْبُطَا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَيَطْرَحَاهُ خَارِجًا. فَخَرَجَا لِلْوَقْتِ وَفَعَلَا كَمَا أَمَرَهُمَا وَأَتَيَا بِهِ إِلَى ٱلْبَابِ ٱلَّذِي رَأَيْتُهُ عَلَى جَانِبِ ٱلْجَبَلِ وَزَجَّاهُ فِي تِلْكَ ٱلْهَاوِيَةِ ٱلْجَهَنَّمِيَّةِ. فَحِينَئِذٍ أَيْقَنْتُ أَنَّهُ يُوجَدُ طَرِيقٌ إِلَى جَهَنَّمَ حَتَّى مِنْ بَابِ ٱلسَّمَاءِ كَمَا أَنَّهُ يُوجَدُ مِنْ مَدِينَةِ ٱلْهَلَاكِ إِلَيْهَا (٢) ثُمَّ ٱسْتَيْقَظْتُ وَإِذَا كُلُّ مَا رَأَيْتُهُ وَسَمِعْتُهُ كَانَ

---

(١) لو ١٣: ٢٦ (٢) ان هذه الخاتمة هائلةٌ في الغاية لانهُ امرٌ يُرثى لهُ ان نرى كثيرين يخرجون من العالم بطمأنينةٍ وراحةٍ مع انهم لم يعطوا شهادةً

حُلْمًا فَقُلْتُ شِعْرًا

إِنِّي لَقَدْ أَخْبَرْتُكُمْ بِحُلْمِي فَهَلْ تُفَسِّرُونَهُ عَنْ عِلْمِ
لَكِنْ حَذَارِ فِيهِ عِنْدَ ٱلْحُكْمِ
مِنْ أَعْوِجَاجٍ فِي ٱلضَّلَالِ يَرْمِي
فَٱلشَّرُّ يَأْتِي غَالِبًا بِٱلْوَهْمِ فِي سُوءِ تَفْسِيرٍ وَسُوءِ فَهْمِ
وَلَا تَرَوْا ظَاهِرَهُ عَنْ سُقْمِ فَتَعْبَثُوا بِهِ لِضَعْفِ ٱلْعَزْمِ
وَلَا تَعُدُّوا مَا بِهِ مِنْ رَسْمِ كَضَحْكَةٍ أَوْ كَحِصَامِ ٱلْخَصْمِ
لَكِنْ دَعُوا ذَاكَ لِقَوْمٍ عُجْمِ
لَيْسَ لَهُمْ تَصَرُّفٌ فِي ٱلْحَزْمِ
وَٱبْتَدِرُوا كَشْفَ حِجَابِ ٱلْخَتْمِ
عَنْ سِرِّهِ ٱلْمَرْمُوزِ تَحْتَ ٱلْكَتْمِ

البتّة بان لهم رجاء صالحًا في النعمة اذا كان رجاؤهم الباطل يحفظهم في حال الطمأنينة الى ان يفاجئهم الموت . ولكن اذا كان ما كُتِب صادقًا وكان الذين يجهلون برَّ المسيح خلوًّا من الايمان الذي يصدر عن قوة الروح القدس يموتون مع ذلك بطمأنينة فيكون ذلك لاجل عمى اعينهم وقساوة قلوبهم فهم يهلكون والكذب في يدهم اليمنى . فاحذر يا ايها الحبيب ان تتخذ رسم التقوى بمنزلة القوَّة لئلاَّ يكون نصيبك مع المرائين حينما ترجو ان تكون مقبولاً في السماء . وانا اسأل الله تعالى ان يمدَّنا بنعمته ويجعلنا اهلاً للسياحة المسيحية في طريق انجيلهِ الالهي التي توصلنا الى المدينة السماوية بمنهِ وكرمهِ آمين

ثُمَّ ٱشْرَبُوا عَصِيرَ هٰذَا ٱلْكَرْمِ
فَتَجِدُوا فِيهِ أَلَذَّ طَعْمِ
لِذِي ضَمِيرٍ ظَافِرٍ بِٱلسِّلْمِ يَدْفَعُ بِٱلرَّقْمِ سُمُومَ ٱلرُّقْمِ
وَمَا تَرَوْا مِنْ زَغَلٍ فِي ٱلْجِرْمِ
فَٱنْتَبِذُوهُ كَمُشَاشِ ٱلْعَظْمِ
وَٱتَّخِذُوا ٱلْإِبْرِيزَ صَافِي ٱلْجِسْمِ
فَلَيْسَ يَخْلُو مِنْ غُبَارِ ٱلرَّدْمِ
عِنْدَ ٱلْخُرُوجِ مِنْ تُرَابِ ٱلرَّجْمِ
وَلَيْسَ يُرْمَى ثَمَرٌ لِلْعَجَمِ
كَٱلْعَظْمِ لَا يُوجِبُ رَمْيَ ٱللَّحْمِ
وَإِنْ طَرَحْتُمْ مِنْهُ كُلَّ قِسْمِ
وَهَانَ نَثْرِي عِنْدَكُمْ وَنَظْمِي رَاجَعْتُ حُلْمِي نَائِمًا بِرَغْمِي
أَشْكُو إِلَى ٱللهِ ٱلرَّحِيمِ ظُلْمِي

A.U.B. LIBRARY

DATE DUE

A.U.B. LIBRARY

CA:838.B942pA:v.1:c.2
بنيان ،جون
سياحة المسيحي
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01064545

CA [redacted]
[redacted]
بنيان
سياحة المسيحي .
Borrower's | DATE | Borrower's Number